المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع اللغة

مظاهر التيسير اللغوية في القرآن الكريم

على مستوى الكلمة المفردة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في اللغة

إعداد الطالب
إبراهيم عبد الله الغامدي

إشراف الدكتور
سليمان بن إبراهيم العايد
الأستاذ المشارك بالكلية

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: معالم الدلالة اللغوية فى القرن الثالث الهجرى (على مستوى الكلمة المفردة .

الدرجة : ماجستير .

الطالب : ابراهيم عبدالله بن جمهور الغامدى .

أحمد الله حمد الشاكرين وأصلى وأسلم على النبى الأمين . أما بعد .

فهذا بحث مقدم لكلية اللغة العربية ، وقد اشتمل على سبعة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة . عرضت فى المقدمة لمحتوى البحث . ثم تناولت فى التمهيد الدراسات التى سبقت القرن الثالث فى هذا الميدان .

الفصل الأول : أفردته للحديث عن جهود لغويى القرن الثالث فى تحديد الدلالة وبيان أنواعها .

الفصل الثانى : اضطلع بدراسة تحديد معانى ألفاظ اللغة ، مع بيان منهج القدماء فى هذا التحديد .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن ظاهرة التطور الدلالى وحدوده فى اللغة العربية .

الفصل الرابع : عرضت فيه لظاهرة ارتباط الألفاظ بمعانيها ، مبينا جهود لغويى هذا القرن فى هذا المبحث .

الفصل الخامس : عقدته للحديث عن الحقول الدلالية ، مشيرا الى سبق القدماء فى التطبيق على هذه النظرية .

الفصل السادس : تناولت فيه ظواهر دلالية ثلاث هى : الترادف ، والمشترك ، والتضاد . مع بيان جهود القدماء فى هذه الظواهر .

الفصل السابع : تحدثت فيه عن الدلالة الصرفية مبينا جوانبها .

الخاتمة : عرضت فيها ملخصا لمحتويات البحث ، مع بيان ماتوصل اليه البحث من نتائج وكان من أبرزها مايلى :

(١) سبق الإمام الشافعى غيره فى بيان أنواع الدلالة .

(٢) عناية بعض لغويى هذا القرن بأثر الاسلام فى اللغة مع بيان الألفاظ التى استحدثها .

(٣) سبق لغويى هذا القرن الدراسات اللغوية الحديثة فى التطبيق على نظرية الحقول الدلالية .

(٤) سبقهم فى القول باشتقاق المعنوى من الحسى وأن الأصل فى التسميات للمحسوسات .

(٥) دقتهم فى إثبات مايطرأ على بنية الكلمة ، وأثر ذلك فى تحديد الدلالة .

الطالب	المشرف	عميد الكلية
ابراهيم الغامدى	د/سليمان بن ابراهيم العايد	د/ محمد مريسى الحارثى
	١٤١٠/٦/١٧هـ	١٤٢٠/٦/١٧هـ

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

امتثالاً لقول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " [1] وعملاً بهذا الحديث فإنّي أتقدم بالشكر والثناء للقائمين على هذا الصرح العلمي الشامخ وفي مقدمتهم معالي مديره الدكتور **راشد الراجح** .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الدكتور **عليان بن محمد الحازمي** - العميد السابق لكلية اللغة العربية - الذى أتاح لي فرصة الالتحاق بهذه الكلية ومواصلة دراساتي العليا بها ، سائلاً اللّه عز وجل أن يتولى مَثُوبته ويجزيه عني خير الجزاء .

والشكر أيضا لكلية اللغة العربية ممثّلة في عميدها الحالي استاذى الدكتور **محمد بن مريبي الحارثي** ، ووكيله الدكتور **صالح جمال بدوي** ورئيس قسم الدراسات العليا الأستاذ الدكتور **حسن باجوده** اللذين وفَّروا لنا مانحتاجه أثناء فترة إعداد هذه الرسالة .

وأتوجه ببالغ الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور **محمد حسن حسن جبل** الذى أشرف على هذا العمل في مراحله الأُولى .

وأخصّ بالشكر والثناء استاذي الدكتور **سليمان بن إبراهيم العايد** الّذي قبل برحابة صدر الاشراف على هذه الرسالة فكان نعم العون لي في تخطي ما اعترضني من مسائل علمية دقيقة فجزاه اللّه عني خير الجزاء وجعل

---

(١) سنن الترمذى ٤/٣٣٩ .

ماقدَّمه لي فى موازين أعماله يوم الدين .

وأرفع أكف الدعاء إلى اللّٰه بأَنْ يجزي كل من قدَّم لي عوناً أو نصحاً أو توجيهاً من أساتذة وزملاء .

ولايفوتنى أن أتقدّم بخالص الشكر والتقدير للأساتذة الكرام عضوي لجنة المناقشة على ماسيبذلانه من جهد ووقت فى قراءة هذه الرسالة وتقويمها .

وأسأل الله السداد والتوفيق .

المقدّمة

المقدمـــــــــــــــة

الحمد لله الذى شرفنا بالعربية بأن جعلها لساناً لنا ، ولغة لكتابنا ، كما أشكره على نعمه الّتي لاتُعد ولاتُحصى وأصلّي وأسلّم على نبينا محمد بن عبدالله أبلغ العرب بياناً وأفصحهم لساناً .

أما بعد :

فمن المعلوم أنّ المستوى الدلالي في اللّغة يعدّ من أهم المستويات اللغوية ، حيث يُعْنَى بدراسة المعنى سواء أكان ذلك على مستوى الكلمة المفردة - كما بحثناه - أم على مستوى التركيب . كما أنّ المستويات الأخرى الهدف منها خدمة المعنى وبيانه .

ولقد عُنِي علماء العربية منذ القدم بهذا المستوى ، وكشفوا عن قيمته في الدرس اللغوي ، وهم وإن لم يخصّوه بمؤلفات مستقلة ، إلا أنّهم عرضوا له في كثير من مسائل بحثهم فى دلالة الكلمة ، وأفردوا بعض قضاياه في أبحاث خاصة كالتضاد والمشترك والترادف .

إلا أنّه من الواجب أن نقول هنا : إنّ الجانب التطبيقي كان واضحاً فى دراساتهم حتّى كاد يغيب تحت وطأته الجانب النظرى في دراسة الدلالة .

ومن خلال ملازمتى في دراستى الجامعية لنصوص أمهات الكتب اللّغوية ، كثيراً ماكانت تستوقفنى تلك الرُؤى الجادة في البحث الدلالي

عند لغويي القرن الثالث الهجري ، لا ألبث بعد إعجابي بها وإدراك قيمتها أن أنصرف إلى ماكُتِب في علم الدلالة عند اللغويين المحدثين لعلّي أجد من يستثمر تلك المقولات لتأصيل دراسة جادة تعتدّ بما في تراثنا الخالد من قيمة فكرية متميزة . ولكنني لم أظفر ــ فيما قرأت ــ إلا بكلمات سريعة وإشارات عابرة لا تُنْصِف القدماء ، ولا تضع الأمور في مساقها الصحيح .

ومن أبرز هذه المؤلفات (دلالة الألفاظ) للدكتور إبراهيم أنيس ، و (علم الدلالة) للدكتور أحمد مختار ، وقد كانت المادة العلمية لهذين الكتابين غربية الرؤية تَعْتدّ بالفكر الغربي وتحلل مناهجه وطرائقه ، وبخاصة الكتاب الثاني . أما الفكرة العربية القديمة فتكاد تكون غائبة إلا في بعض الأحيان يوردها المؤلفان وبإشارة عابرة .

كما صَنَّف الدكتور فايز الدايه كتاباً في الدلالة ، وهذا الكتاب ــ وإن كان ألصق بالتراث العربي من صاحبيه ــ بلاغي المنحى يدرس ما وراء التركيب من قيم فنيّة وجماليّة .

وكتب الدكتور عبد الكريم مجاهد كتاباً قيماً في الدلالة اللغوية عند العرب إلا أنه لم يعرض لما قاله لغويو القرن الثالث إلا فيما ندر ، فقد عرض للجوانب الدلالية عند ابن جنّيّ وغيره من علماء القرن الرابع والخامس الهجريين .

أما الدكتور عبدالرحمن الحماد فألف كُتَيِّباً بعنوان : " علم الدلالة فى الكتب العربية " تحدث فيه عن بعض الجوانب الدلالية التي سبقه بها من تقدمه فى التأليف . كعرضه للدلالة عند ابن جني وتقسيم الأصوليين للدلالة .

فهذه المؤلفات الدلالية وإن اختلفت في قيمتها ومناهجها ، إلا أنها لاتُشكِّل فكرة واضحة للدارس عن جهود لغويي القرن الثالث في البحث الدلالي .

ومن هنا عقدت العزم على تتبع معالم الدلالة عند لغويي هذا القرن راصداً مقولاتهم النظرية ، وأبحاثهم التطبيقية ، مُسْتَنيراً في هذا بما وصلت إليه الدراسات اللّغويّة الحديثة من إنجازات فى هذا المجال .

أما منهجي في الدراسة فقد كان منهجاً تأريخياً وصفياً يميل إلى التحليل والاستنباط؛ لأنّ موضوعية البحث اقتضت ذلك .

فهو تأريخي ، نظراً لتتبعي بعض الظواهر الدلالية منذ نشأتها وحتّى العصر الحديث . ووصفيٌ ، لاقتصاري في الدراسة على فترة زمنية معينة هي القرن الثالث الهجري أي من (٢٠٠ هـ - ٣٠٠ هـ) وقد تركت الظاهرة تَصِفُ نفسها دون تدخل مني في ليّ آعناق النصوص .

وقد حاولت جاهداً أن أؤصل لغالبية المباحث الدلالية الواردة في مؤلفاتهم ، كما كنت أوضّح ماكان مُبهماً من النصوص نظراً لغلبة الجانب

التطبيقي على دراساتهم . مستدلاً على كل ما أُورِده من خلال ما أَوْرَدُوه .

وقد اختص موضوع هذه الدراسة بالدلالة اللغوية ، فلم أعرض للدّلالة البلاغية إلاَّ إذا اقتضى البحث ذلك ؛ لأنَّ هذه الدلالة لاتؤخذ في الغالب إلاّ من التركيب ، وقد اختص موضوع البحث بمستوى الكلمة المفردة . كما خُصّ هذا النوع بمؤلفات مستقلة كدلالات التراكيب للدكتور محمد أبوموسى .

كذلك فإنّ موقف اللغوي يختلف عن موقف البلاغي من حيث نظرته للنص ، فيوظف البلاغي المادة اللغوية توظيفاً جمالياً ، باحثاً عن القيم الجمالية في النصوص .

ولم أعرض للدلالة الأصولية أيضاً ، لوجود بعض المؤلفات التي عُنِيت بهذه الدلالة كـ (دلالة الألفاظ عند الأصوليين [1]) للدكتور محمد توفيق ، والتصور اللغوي عند الأصوليين [2] للدكتور السيد أحمد عبد الغفار .

أما المصادر والمراجع التي عَوّلت عليها فقد كانت متعددة ، سواء أكانت قديمة أم حديثة ، تتآزر فيها جهود القدماء والمحدَثين لتكوّن نظرة شمولية من شأنها أن تثريَ البحث وتعمق الرؤية .

---

(١) نشر في : (مصر ، مطبعة الأمانة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

(٢) نشر في : (المملكة العربية السعودية ، جده ، شركة مكتبات عكاظ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

ولم أقف على الكتب ذات الاتجاه أو المنزع اللغوي الصرف ، وإنّما كنت أفيد من كل من تناول فى كتابه الحديث عن قضيتي التي أبحثها ، فكتب التراث متناسجة متواشجة يتعذر على الباحث فصلها عن بعضها .

وقد جاء البحث فى سبعة فصول ، يسبقها تمهيد ، ويعقبها خاتمة .

تحدثت في التمهيد عن المفهوم العام للدلالة قديماً وحديثاً ، متتبعاً في ذلك بداية اطلاق مصطلح علم الدلالة (SeMANtIC) في الدراسات اللغوية الحديثة ، ثم ثنيت بكلمة موجزة عن مستويات الدراسة اللغوية : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، مُبيّناً ما اكتمل من هذه المستويات ـ عند العرب ـ مبكراً ، ثم وقفت القسم الأخير منه لخلاصة سريعة ، عرضت فيها للبحث الدلالي عند القدماء :

(١) الهنود .

(٢) اليونانيون .

(٣) العرب القدماء حتى نهاية القرن الثانى الهجري .

الفصل الأول :

تناولت فيه جهود لغويي القرن الثالث في تحديد الدلالة وبيان أنواعها فبينّت تقسيم الشافعي والجاحظ للدلالة حيث ذكرا بأنها خمسة أنواع : الدلالة اللفظية ، ودلالة الإشارة ، والعقد ، والخط ، ثم النِّصْبَة . وفصّلت القول في كل دلالة من هذه الدلالات على حده . موضحاً سبق القدماء فى القول بهذه النظرية الدلالية . ثم عرضت للمعنى اللغوي

وبيان النسبة بين الدلالة عموماً والمعنى اللغوي خاصة .

كما أثبتُ الأقوال النظرية المتمثلة فى العلاقة الكمية بين الألفاظ ومعانيها ، وختمت الفصل بما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في علم الدلالة .

الفصل الثاني :

اضطلع بدراسة تحرير معاني ألفاظ اللغة مع بيان مناهج القدماء في هذا التحرير فذكرت أنّ التحرير ينقسم إلى قسمين رئيسين : تحرير بالفرق ، وتحرير بالتفصيل . مُبيناً المراد من كلا النوعين ومشيراً إلى تنبه علمائنا القدماء إلى الفروق الدلالية بين الألفاظ ، مؤيداً ذلك بما ورد فى مؤلفاتهم من أمثلة تطبيقية دالّة على عنايتهم بمعاني ألفاظ اللغة .

الفصل الثالث :

أفردت هذا الفصل لظاهرة التطور الدلالي . فبدأتُ بتحديد مفهوم التطور ، وأبعاده ، وحدوده في اللغة العربية ، ومدى تأثرها بهذه الظاهرة . فعرضت لعوامل ومظاهر التطور فى كتابات المحدثين . ثم أنواعه عند لغويي القرن الثالث ، موضحاً أنّ ماكان يُوسَم باللحن عند القدماء ، إنّما هو من قبيل التطور . يدلنا على ذلك صنيعهم في تصحيح ماقيل إنّه من اللحن أو الخطأ ، حيث كان اللغوي يذكر أصل مدلول الكلمة ، وماطرأ على هذا المدلول في عصره من تغير وهذا هو التطور .

كما وَضّحت أثر انفصال العصرين الجاهلي والإسلامي عن بعضهما ، وأثره على مدلولات الألفاظ ، حيث أُهملت بعضها ، ولم يعد لها استخدام في الاستعمال اللغوي ، كما خُصصت مدلولات بعض الألفاظ ، وعُمم مدلول بعضها الآخر ، وانتقال بعض المدلولات من معناها الحقيقي إلى معنى آخر لأسباب ذكرتها بالتفصيل .



الفصل الرابع :

تحدثت في هذا الفصل عن ارتباط الألفاظ بمعانيها ، فتتبعت أقوال بعض العلماء تتبعاً تأريخياً ، وذلك بشكل مختصر ، ابتداء بما قاله الهنود ، وفلاسفة اليونان ، وانتهاء بآراء المحدثين . محاولاً استقراء ماورد في مؤلفات لغويي القرن الثالث من مستويات ، أثبتوا من خلالها علاقة بعض الألفاظ بمدلولاتها علاقة طبيعية ، كدوران اشتقاقات المادة حول معنى واحد ، وتقارب الألفاظ لتقارب المعاني ، والربط الاشتقاقي ، وماورد عنهم من أقوال نظرية ، وأمثلة تطبيقية في تعليلهم لمسميات الأشياء .

الفصل الخامس :

عقدته للحديث عن (الحقول الدلالية) فبدأت بذكر ماتوصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة في هذه النظرية عارضاً لبعض نظريات تحليل المعنى كنظرية السياق، والتحليل التكويني ، مع التركيز على نظرية الحقول الدلالية مبيناً آراء بعض اللغويين المحدثين في هذه النظريات .

كذلك وضّحت سبق القدماء في التطبيق على هذه النظرية حيث صَنّفوا كثيراً من المؤلفات ذات الموضوعات المتعددة سواء أكان في حقل دلالي واحد أو أكثر . وقد كنت استدلّ على ما أورده بالأمثلة التطبيقية الواردة فى مؤلفاتهم مُثبتاً من خلالها معرفتهم التامّة بفكرة الحقول وتطبيقها ، موضحاً ذلك بالجداول البيانية .

الفصل السادس :

أفردت هذا الفصل بالحديث عن ثلاث ظواهر دلالية ، هى : الترادف والمشترك ، والتضاد ، موضحاً مفهوم كل ظاهرة على حده ، وارآء القدماء والمحدَثين فيها ، مع بيان أسباب وجودها في اللغة ، ومناقشة بعض ما أدرج من كلمات تحت هذه الظواهر ، موضحاً موقف لغويي القرن الثالث منها ، ومؤيداً كل ما أذهب إليه بما سجلوه فى مؤلفاتهم . أو ما نُقِل عنهم من آرآء في هذه المباحث الدّلالية .

الفصل السابع :

تناولت فيه الدلالة الصرفية . فبيّنت مفهومها ، مع إيراد نبذة مختصرة عن جهود القدماء المتميزة فى هذا الميدان ، ثُمَّ أتبعت ذلك بالحديث عن معالم الدلالة الصرفية عند لغويي القرن الثالث ، موضحاً جوانب هذه الدلالة المتمثلة فى دلالة الزيادة ، ودلالة الحركة ، وأثرهما في إبراز مدلول الكلمة .

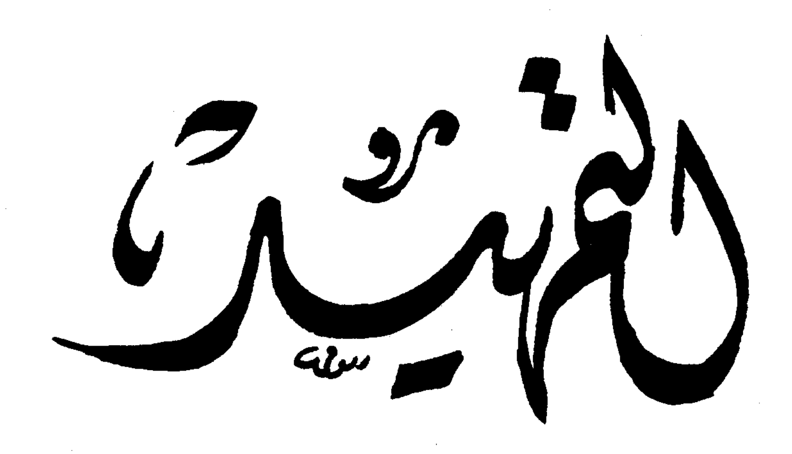
أما الخاتمة فقد أودعتها بعض ما توصل البحث إليه من نتائج .

وعلى الرغم ممّا اعترضنى فى هذا البحث من عقبات ومصاعب فإننى ـ بحمد الله ، ثم بمعونته ـ قد استطعت تخطيها . فإن وقع ماوقع من هنات ، أو أخطاء ، فذلك لصعوبة مثل هذه الموضوعات ، وإن أصبت فهذا بفضل الله تعالى ، ثم بفضل توجيهات وإرشادات آساتذتى الأجلاء .

ولايفوتنى في هذا المقام أن أتوجه بالدعاء لله تعالى أن يثيب عنى الاستاذين المشرفين على هذه الرسالة ، الأستاذ الدكتور **محمد حسن حسن جبل** المشرف الأول الذي كان له فضل معايشة هذا الموضوع منذ كان فكرة تدور في ذهني ، والدكتور **سليمان بن إبراهيم العايد** المشرف الثانى عليها ، الّذي منحني جُلّ وقته وزوّدنى بكثير من المصادر والمراجع النادرة ، فكان له الفضل بعد الله في اكتمال هذا البحث بهذه الصورة فقد آفدت من علمه وخبرته وملاحظاته الشىء الكثير راجياً من الله تعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أفادني في هذا البحث بالرآى والتوجيه وأسآل الله أن يجزيهم الجزاء الأوفى .

وأسآل الله أولاً وآخراً السداد والتوفيق .



التمهيد

ويشتمل على :

- التعريف العام للدلالة .
- مستويات التحليل اللغوى .
- الدرس الدلالى عند القدماء .

بسم الله الرحمن الرحيم

" تمهيد "

تدور مباحث هذه الدراسة حول علم الدلالة (SEMANTIC)، وما أُثِر عن لغويي القرن الثالث في هذا المستوى اللغويّ من المباحث الدّلاليّة ، مستأنساً في ذلك بما انتهى إليه الدرس الدلالي في علم اللّغة الحديث .

من هنا وجب علينا أن نقف باديء ذي بدء على بيان حدود هذا العلم ومفهومه عند القدماء والمحدّثين ، مع إيضاح فروع الدراسات اللُّغويّة ، وما نضج منها مبكراً ، وبيان جهود القدماء في الدرس الدّلالي .

مفهوم الدّلالة عند القدماء

الدلالة في اللّغة من قولهم : " دَلَّه على الشيء يَدُلّه دَلًّا ودَلالة فاندَلَّ : سدده إليه .... والدليل : مايُستدل به . والدليل : الدَّال . وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالةً ودِلالة ودُلُولَةً والفتح أعلى ... "(١) والدِّلالة بفتح الدَّال وكسرها بمعنىً واحدٍ (٢) .

ويقول الراغب : " الدّلالةُ مايُتَوَصَّلُ به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب ، وسواءٌ كان ذلك بقصد ممن يجعله دَلَالةً أو لم يكن بقَصْدٍ كمَن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنَّه حيّ قال تعالى:﴿ مَادَلَّهُم عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ﴾(٣) وأصلُ الدَّلالةِ مصدرٌ كالكتابة والأَمارة

(١) لسان العرب مادة (دلل) .

(٢) ينظر اصلاح المنطق ، لابن السكيت ، تحقيق : أحمد شاكر ، وعبدالسلام هارون ، (القاهرة ، دار المعارف ، ط ٣) ص ١١١ .

(٣) الآية رقم (١٤) من سورة سبأ

والدال من حصل منه ذلك ، ... "(١)

أما الدلالة فى الاصطلاح فلعل أقرب تعريف لها فى تراثنا هو " كون الشئ بحالة يلزم من العلم به العلم بشئ آخر والشئ الأول هو الدّال والثانى : هو المدلول ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة فى عبارة النص ، وإشارة النص ، واقتضاء النص "(٢)

<u>أقسامها :</u>

تنقسم الدلالة - عموماً - إلى ستة أقسام ، فهى " إما لفظية وإما غير لفظية ، وكل منها إما وضعية أو عقلية أو طبيعية ، فاللفظية الوضعية : مثل دلالة الألفاظ الموضوعة على مدلولاتها . واللفظية العقلية : كدلالة اللفظ على وجود اللافظ ، سواء كان مهملا أو مستعملا .

وغير اللفظية الوضعية كدلالة الدوال الأربع على مدلولاتها (٣).
وغير اللفظية الطبيعية ، كدلالة الحمرة على الخجل ، والصفرة على الوجل " (٤).

ويتضح لنا - مما سبق - التقسيم الدلالى عند العرب . والذى نحن بصدد الحديث عنه فى هذا الموضع انما هو الدلالة اللفظية .

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهانى - تحقيق / نديم مرعشلى (دار الكتاب العربى ، مطبعة التقدم العربى ، ١٣٩٢ هـ) ص ١٧٣ مادة (دل) .

(٢) التعريفات ، للشريف على الجرجانى (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص ١٠٤ ، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوى . تحقيق : د/لطفى عبد البديع (القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربى) ٢٨٤/٢ .

(٣) يعنى بها : دلالة الاشارة ، ودلالة النصبة ، ودلالة الخط ، ودلالة العقد .

(٤) الكليات ، لأبى البقاء الحسينى ، تحقيق د: عدنان درويش ومحمد المصرى (دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، احياء التراث العربى ، ١٩٨٢م) ٣٢٤/٢ .

ومفهوم هذه الدلالة : " هى كون اللفظ بحيث متى أطلق ، أو تخيل ، فهم منه معناه للعلم بوضعه "(١).

وهى المنقسمة إلى المطابقة ، والتضمين ، والالتزام ، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ماوضع له بالمطابقة وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى مايلازمه فى الذهن بالالتزام .

أما مفهوم الدلالة فى الدراسات الحديثة ، فقد تعدد بتعدد ميادين البحوث الدلالية .

فبلومفيلد يرى أن المعنى عبارة عن الموقف الذى يتم فيه الحدث اللغوى المعين ، والاستجابة أو رد الفعل الذى يستدعيه هذا الحدث فى نفس السامع .

أما فيرث فالمعنى عنده عبارة عن علاقات سياقية معقدة ، وعلم الأصوات والقواعد والمعاجم والدلالة كل واحد منها يأخذ أجزاءه فى النص المناسب المعقد .

وقد نظر أوجدن وريتشاردز إلى المعنى من خلال عناصر أربعة ، هى: القصد ، والقيمة ، والمدلول عليه ، والعاطفة ، وعندهما أن معنى الكلمات لايرى إلا حيث يتوسع في الرموز بوضعها فى سياقات مختلفة ، فما يمكن أن يسمى حاصل جمع معنى الكلمة أى المعنى الكلى لها إنما هو وظيفة مركبة من القصد ونغمة الاحساس والفكرة .

ويرى أولمان أن المعنى : علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر . (وهى علاقة ذهنية تصوريه).

وقد اهتم المحدثون بهذا العلم اهتماما بالغا ، فأفردوه بالتأليف وبينوا حدوده ، وبحثوا فى أغلب مباحثه - إن لم يكن جميعها - وأصبح بهذا ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة .

ومن بين ماعرض له المحدثون تتبع مصطلح (Semantic) ،ومتى أطلق ، فذكروا أنَّه مأخوذٌ من الكلمة اليونانية (Sema) الَّتي تعنى

---

(١) التعريفات ٢١٥ .

فى الانجليزية (SIGN.) علامةٌ . كما وُجِدت فى الكلمة الإِغريقية (SEMAPHORE) وتعنى مُلَوِّح أو عمود الإِشارات .

وكانت كلمة (SEMANTICK.) قد وردت فِي عبارة (SEMANTICK PHILOSOPHY.) وتعنى : " الكهانة " " إِلاّ أنَّ أَوّل من استعملها مصطلحاً لغويّاً فِي الفرنسيّة (SEMANTIGUE.) هو الفيلولوجي الفرنسي (MICHEL BREAL.) وذلك فى سنة (١٨٨٣ م) فى بحث نشر فيما بعد سنة ١٨٩٧ م ، ثُمَّ انتقل هذا المصطلح إِلى الانجليزيّة (SEMANTICS.) "[١] واستخدمت هذه الكلمة فى الإِشارة إِلى تطور المعنى لا إِلى المعنى نفسه [٢].

إِلَّا أنَّ هذا المصطلح فى عصرنا الحاضر قد تعارف عليه اللغويون المحدَثون بأنَّه يعنى " علم الدلالة " .

وبعد أن عرضنا ـ بشكلٍ مُوجَزٍ ـ لمفهوم الدلالة قديماً وحديثاً يحسن بنا أن نعرض لمستويات التَّحليل اللُّغَوِيِّ .

---

(١) منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د/ على زوين (بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ١٩٨٦ م) ص ٨٤ .

(٢) علم الدلالة ، بالمر ـ ص ١٠ .

مستويات التحليل اللغوى (*)

من المعلوم أن مستويات الدراسة اللغوية هى الأصوات ، والصيغ – (الصرف) ، وتركيب العبارة (النحو) ، والدلالة .

ولاشك أن غالبية هذه المستويات قد نضج منذ زمن مبكر ، فمستوى تركيب العبارة قد نضج منذ القرن الثاني الهجري ، وقد تضمن جوهر مستوى الأصوات والصرف اللّذين استقلّا في القرنين التّاليين .

أمّا دراسة الجانب الدلاليّ فمازال جانبها النظري فى دور التكون في هذه العقود الأخيرة ، وإن كانت الجهود العربية القديمة في الجانب التطبيقيّ غزيرةً ومتنوعةً ، ولكن غياب الجانب النظري في الدراسة القديمة هو الذى جعل دراسة هذا المستوى الدلالي تبدو عند العرب شبه مفقودة ، وفيما يلى سأبين بإيجاز هذه المستويات ومانضج منها مبكراً .

* المستوى الصوتي :

يُعْنَى هذا المستوى بالدراسات الصوتية للغات . فهو يبين الصوت المنطوق ، وذلك بتحديد مخرجه ، ووصف هذا المخرج ، مع بيان الهيئة التى تكون عليها أعضاء النطق حالة إخراج الصوت . ومن ثم توضيح صفات هذه الأصوات المنطوقه من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة ، وإطباق وانفتاح ، وغيرها من الصفات .

(*) تعدّدت آراء اللغويين المحدثين فى تقسيم هذه المستويات فمنهم من يجعلها أربعة مستويات . صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ودلالية ، ومنهم من قال بأنّها ثلاثة حيث جعل مستوى الصرف والنحو معا . ينظر تفصيل ذلك وبيانه فى :أصول تراثية فى علم اللغة (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٥م)ص ٢٦٥ فما بعدها .

ولا ريب في أنّ لعلماء العربية السبق في هذا المجال ، فقد درسوا هذا المستوى في فترة زمنية مبكرة ، حيث إنّ اهتمام القدماء بقراءة القرآن ، وتلاوته ، وتجويده ، حداهم إلى دراسة هذا المستوى دراسة دقيقة ، لضبط وبيان وجوه القراءات المتعدّدة . " فعملوا على ضبط القراءات وإليهم يعود الفضل في وجود هذا التراث في الدراسة الصوتية التي أرسى قواعدها سيبويه ، الذي عاصر قراء القرآن الرواد وأخذ عنهم القراءة عرضاً وسماعاً . "(١) .

وتتمثل هذه الدراسات الصوتية في كتابي (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) و (الكتاب) لسيبويه (١٨٠ هـ) . فكتاب العين حافل بالآراء الصّوتيّة ، بل لقد صُنِّفَ على أساس صوتي ، حيث رتّبه مؤلّفه على مخارج الحروف ، مبتدئاً بأنصعها وأعمقها مخرجاً وهو حرف (العين) ، وقد وسم كتابه بهذا الحرف .

أما منهجهم في دراسة هذه الأصوات وبيان مخارجها ، فقد اعتمد على الذوق (٢) ، وقد طبّق هذا المنهج الخليل، يقول اللّيْثُ حاكياً عنه : " وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثُمَّ يظهر الحرف (٣) نحو اب ـ ات .... "(٤) أي أن الحرف المراد ذوقه ينطق ساكنا وقبله ألف مفتوحة أو مكسورة لبيان مخرج الحرف .

صحيح أنّ هذا المنهج لايقارن بالمناهج الحديثة ، ذلك لتقدّم

---

(١) أصول تراثية في علم اللغة ص ٢٥ .
(٢) المقصود بها : (التجربة الذاتية) .
(٣) أي الحرف المراد ذوقه .
(٤) العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د/مهدي المخزومي والسامرائي (العراق ، دار الرشيد ، ١٩٨٠م)١/٤٧ .

الوسائل الحديثة المستخدمة ، إلا أنه مع بساطته وَفَّى بالغرض المراد من تحديد مخارج الأصوات وصفاتها . حتى يمكن القول بأنَّ ماقرره القدماء في الدراسات الصوتيه أثبتَتْهُ الدراسات اللغوية الحديثة (١).

* المستوى الصرفي :

يهتم هذا المستوى بدراسة الصيغ اللغوية ، ومايعترى هذه الصيغ من زيادة أو نقص ، وما قد ينتج عن هذه الزيادة أو النقص من اختلاف في المعنى .

وقد بحث علماء العربية هذا المستوى بحثاً دقيقاً ، فحصروا كلمات العربية بموازين معينة " وبفضل هذا الميزان الصرفي أمكن استيعاب كل الصيغ من أسماءٍ وأفعالٍ ، ولم يخرج على هذا التصنيف إلا الكلمات الدخيلة والأدوات والضمائر والحروف التَّي تستعصي على هذا الميزان ." (٢)

كما فَرَّقوا بين هذه الصِّيغ ودلالاتها . نرى ذلك واضحاً في الأسماء المشتقة كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وصيغ المبالغة، واسمي الزمان والمكان ، واسم الآله ، واسمي المرة والهيئة .

كذلك تنبّهوا لصيغ الأفعال ، ومايعتريها من زيادات لها أثرها في مدلول الكلمة ، كالتضعيف في قَطَّع وكَسَّر ، الذى يدل على المبالغة في الفعل ، وزيادة الألف والسين والتاء في استعلم ودلالتها على الطلب ،

---

(١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ص ٦٣ .
(٢) أصول تراثية في علم اللغة د/ كريم زكى ، ص ٢٨٣ .

وغيرها من الظواهر الصرفية التى عنوا بها ، ودرسوها دراسة مستوفيه [١].

*** المستوى التركيبي :**

يُعنى هذا المستوى بدراسة التراكيب اللغوية التى تتألف منها الكلمات ، كما يهتم بدراسة العلاقات بين الكلمات المكونة للجملة .
فإذا " كانت الوحدات الصوتية هى مادة التحليل الصوتي ، والصيغ الصرفية هى مادة التحليل الصرفي ، فإنَّ التراكيب أو الجمل هى أساس التحليل التركيبى " [٢].

وقد عَرَف علماء العربية القدماء هذا المستوى، وبَيَّنوه بياناً دقيقاً ، فمستوى التركيب نضج واكتمل منذ القرن الثاني الهجري . يتمثل هذا الاكتمال في كتاب سيبويه ، فقد بَيَّن فيه الأساليب التركيبية ، وعلاقة الكلمات بعضها ببعضٍ داخل التركيب .

كما بَيَّن العلماء أثر الحركة الإعرابية فى إبراز المعنى ، فبموجبها يتحدَّدُ موقع الكلمة التحديدَ الدَّقيقَ ، ويَبْرُز مدلولها من خلال هذا التحديد.

ومن المعلوم أنَّ ترتيب أجزاء الجملة له أثره فى إبراز المعنى ،

---

(١) لمزيد من التفصيل ينظر : أصول تراثية في علم اللغة ص ٢٠١،واللغة العربية معناها ومبناها ، د/تمَّام حسان (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م) ص ٨٢ فما بعدها ، والألسنية العربية ، ريمون طحان (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢ م) ص ١٢٩ ومابعدها .

(٢) أصول تراثية فى علم اللغة ص ٢٣٢ .

ولو اختلّ هذا الترتيب لتبعه اختلالٌ في المعنى . فلو قلنا مثلا : (ألقى مديرُ الجامعةِ محاضرةً قيمةً) لدلّتْ هذه الجملة من خلال ترتيب الكلمات بداخِلها على مدلولٍ واضحٍ ، بينما لَوِ اخْتَلّ هذا الترتيب فقلنا : (مدير محاضرة ألقى قيمة الجامعة) لما فُهِم المدلول المراد .

ولاسبيل إلى إحصاء كل ماورد عن اللُّغَوِيِّيْنَ القدماء فى هذا المستوى من جهود لايُستهان بها فى الدرس اللغوي ، حيث نظروا فِي كل الجوانب اللُّغَوِيَّةِ نظرةً فاحصة دقيقة مِمَّا لايَتَّسِعُ المقام لذكرها [١].

* المستوى الدلالي (SEMANTICS) :

يهتمُّ هذا المستوى بدراسة المعنى ، سواء أكان ذلك على مستوى الكلمة المفردة ، أم على مستوى العبارة أو التركيب .

اهتم القدماء بهذا المستوى اهتماماً بالغاً ، وإن لم يفردوه بمصَنَّفاتٍ مستقلَّةٍ ، حيث إنَّ علوم العربية لم تفصل عن بعضها إلا فِي القرون المُتَأَخِّرَةِ .

وهذا المستوى هو حصيلة المستويات السابقة الصوتية والصرفية والنَّحْوِيَّة ، فالهدف منها هو خدمة المعنى وإظهاره . وقد عرضله علماء العربية القدماء وبَيَّنُوه، وهذا ما سأعرضله فِي هذا البحث بشيء من التفصيل والبيان ، موضّحاً ذلك من خلال ماأَوْرَده القدماء والمحدَثون من آراءٍ تتعلَّقُ بهذا المستوى .

---

(١) لمزيد من البيان فِي هذا المستوى . ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٧٧ ومابعدها ، وأصول تراثية فى علم اللغة ص ٢٣٢ ومابعدها .

وممّا سبق يتّضح لنا أن الفروع أو المستويات اللغوية السابقة هي لب البحث اللغوى وجوهره ، فغالبية الدراسات اللغوية، القديمة والحديثة، تدور حول هذه المستويات ، فمنها ما اختص بمستوى منها ، وأخرى تناولت المستويات مجتمعة بالتحليل والبيان قديماً وحديثاً . ومايعنينا في هذا الموضع هو المستوى الدلاليّ عند لغويي القرن الثالث ، ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ المباحث الدلاليّة عندهم لم تنشأ من فراغ ، بل سُبِقت بجهودٍ دلاليّةٍ متفرقه ، سأعرض لها بشيءٍ من الإيجاز .

* الدرس الدلالي عند القدماء :

عرض كثير من العلماء القدماء من الهنود واليونانيين والعرب لمباحثَ دلاليةٍ متفرقة . وقد كان الهنود أسبق من غيرهم فى المجال اللغويّ [1] عندها ارتأيت اعطاء نبذة موجزة عن الدراسات الدلالية عند الهنود واليونانيين ، ثم أُثَنِّي بما قاله العرب حتى نهاية القرن الثانى الهجريّ .

أولاً : الدرس الدلاليّ عند الهنود واليونانيين :

عالج الهنود منذ وقت مبكر جداً عدة مباحث دلاليّة ، بل إنهم ـ كما يذكر أحد المحدثين ـ قد " ناقشوا مُعْظَم القضايا الّتي يعتبرها علم اللُّغَةِ الحديث من مباحث علم الدلالة . " [2] .

---

(١) البحث اللغوى عند الهنود ، د/ أحمد مختار (بيروت ، لبنان ، دار الثقافة ١٩٧٢ م) ص ٣ .

(٢) السابق نفسه ص ٩٩ ، وينظر : علم الدلالة للمؤلف نفسه ص ١٩ ـ ٢٠ .

ومن الموضوعات التى ناقشوها : نشأة اللغة ، والعلاقة بين اللفظ ومدلوله ، وأنواع الدلالات للكلمة ، فصرحوا بوجود أربعة أقسام لها، تبعاً لعدد الأصناف الموجودة فى الكون وهذه الأقسام هى :(١)

(١) قسم يدل على مدلول عام أو شامل مثال : كلمة (رجل)
(٢) " " " كيفيه " : " (طويل)
(٣) " " " حدث " : " (جاء)
(٤) " " " ذات " : " (محمد)

كما أشاروا إلى العديد من الظواهر الدلالية ، كأهمية السياق وأثره فى إبراز المعنى ، وظاهرتي الترادف والمشترك ، ووظيفة القياس والمجاز في تَغَيُّرِ المَعْنَى (٢).

كذلك الشأن بالنسبة لفلاسفة اليونان ، فقد أُثِر عنهم مباحث دلالية متفرقة ، فأول ما " استرعى انتباههم فتساءلوا عنه : تلك المشكلة التقليدية فى الربط بين اللفظ ومدلوله ." (٣).

فهذا أرسطو يفرق بين الصوت والمعنى ، ويذكر أنَّ المعنى يتطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر . فَمَيَّز بين ثلاثة أمور :(٤)

(١) الأشياء في العالم الخارجيّ .

---

(١) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ١٩ ، والبحث اللغوي عند الهنود للمؤلف ، ص ١٠٥ .
(٢) السابق نفسه ، ص ١٩ ـ ٢٠ بتصرف .
(٣) دلالة الألفاظ ، د/إبراهيم أنيس (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ م) ص ٦٢ .
(٤) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ١٧ .

(٢) التصورات : ويقصد بها المعاني .

(٣) الأصوات : ويعنى بها الرموز أو الكلمات .

" وكان تمييزه بين الكلام الخارجى ، والكلام الموجود فى العقل ، هو الأساس لمعظم نظريات المعنى فى العالم الغربي خلال العصور الوسطى ."(١)

ثانياً : الدرس الدلالي عند علماء العربية القدماء :

إن فهم الدلالة عند العرب ، ومايتعلق بها من تحليل للمعنى ، بدأ أول مابدأ فى الجاهلية ، وحيث كانت مجالس الشعر ومناظراته وأسواقه عامرة بالتحليل النقدى القائم فى بعض أحكامه على معايير دلالية " فالنقد يستعين ضرورة بعلوم اللغة ، إذ مادة الأدب الكلمات ، بما لها من جرس ودلالة ، والجمل بما فيها من كلمات وماتستلزمه من ترتيب خاص ، أو تدل عليه من معان مختلفه ، وماترسم تبعاً لهذا الترتيب من صور ."(٢) ومن بين الملاحظات النقدية فى هذا العصر ماتنبه إليه طرفة بن العبد عندما سمع المتلمس ينشد بيته :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره

بناج عليه الصيعرية مكدم

حيث قال طرفه : " استنوق الجمل ؛ لأنّ الصيعرية سمة تكون فى عنق الناقة لا فى البعير ."(٣)

---

(١) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ١٧ . ولمزيد من البيان فى هذا ينظر : الرمزية الصوتية ، د/البدراوى زهران (القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٦م – ١٩٨٧ م) واللغة بين العقل والمغامرة ، د/مصطفى مندور (الاسكندرية ، منشأة المعارف ، د. ت) ص ٤٢ فما بعدها .

(٢) النقد الأدبى الحديث ،د/محمد غنيمي هلال (مصر،القاهرة ،دارالنهضة)ص ٥

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، طه أحمد ابراهيم– جمعه– أحمد الشايب (دمشق ، دار الحكمة ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م) ص ١١٠ .

فانتقاد طرفة للشاعر يتمثّل فى وضع لفظ " الصيعرية " فى غير موضعه ، حيث إن دلالة هذه اللَّفظة لاتتناسب مع السياق الذى وردت فيه .

وزاد اهتمام علماء العربية بالألفاظ ومدلولاتها فى العصر الإسلامي ، حيث أولوا الألفاظ القرآنية والأحاديث النبوية عنايةً فائقة ، خاصة الغريبة منها ، فوضَّحوا دلالاتها ، وبرز العديد من علماء هذا العصر، كالصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، فقد أُثِر عنه العديد من المسائل التى وضَّحَها وبَيَّن معانيها مستشهداً على مايقول بما ورد من كلام العرب . ويُعَدُّ عمل ابن عباس نواة للمعاجم العربية[1] التالية له ، خاصة فيما يختص بالألفاظ الغريبة .

ومن بين ماورد عنه بيانه لكلمة " الوسيلة " الواردة فى قوله تعالى : " وابتغوا إليه الوسيلة " [2] حيث قال : " معناها : الحاجة . قال عنتره :

إنَّ الرجال لهم إليك وسيلَة
أن يأخذوك تكَحّلي وتَخَضَّبي[3]

فبَيَّن الصحابي الجليل معنى هذه الكلمة ، وذلك بإيرادها فى سياقٍ دَلَّ على معناها ووضَّحه ، وذلك بعد أن أورد معناها المعجمي . وهكذا كان الشأن فى تفسير الألفاظ الغريبة ومحاولة إيضاحها .

---

(١) فصول فى فقه العربية ، د/رمضان عبدالتواب (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م) ص ١١٠ .

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة المائدة .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن ، للسيوطي (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٤ ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) ١٥٨/١ .

فإذا ما انتقلنا إلى القرن الثاني الهجري ، وجدنا غالبية العلوم العربية قد نضج واكتمل . يتمثل هذا فى كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكتاب تلميذه سيبويه . هذان الكتابان اللّذان ضمّا العديد من المباحث الدلالية . فكتاب العين حافل بالآرآء الصوتية والصرفية وغيرها. كما أنّ كتاب سيبويه قد تضمن العديد من المباحث الدلاليه سواء أكان ذلك على مستوى الكلمة المفردة ، أم على مستوى التركيب ، أو العبارة . وسأشير لبعض ماورد عنهما من مباحث فى هذا المستوى كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

كل هذه الدراسات الدلالية السابقه أضاءت الطريق أمام لغويي القرن الثالث ومن تلاهم من اللغويين . ولاشك أن لغويى هذا القرن قد توسعوا فى معظم هذه المباحث السابقه عليهم ، كما أضافوا العديد من المباحث الدلالية المهمة التى سنعرض لها بالتفصيل والبيان ، مؤيدين ذلك بالأدلة والشواهد التطبيقية .

الفصل الأول

جهود لغويي القرن الثالث في تحديد الدلالة وبيان أنواعها

ويشتمل على :-

- مفهوم الدلالة .
- أنواع الدلالات .
- المعنى اللغوي
- العلاقة الكمية بين الألفاظ والمعاني
- علم الدلالة في كتابات اللغويين المحدثين

* تمهيـــــد :

تناول لغويّو هذا القرن كثيراً من المباحث الدلالية ، وَصَنَّفُوا فـي بعضها مؤلّفات مستقلّة . كما عرضوا لبعضها الآخر في ثنايا مؤلّفاتهم .

وقبل البدء بإيراد ماقاله علماء هذا القرن أودُّ أن أشير إلـى أنّ ما أوردوه من مباحث تمثلت فى جانبين هما :-

أولا : الجانـب النظـــري :

وأعني به : مانَصَّ عليه القدماء ، وَصَرَّحوا به فيما ورد عنهم مـن مباحث دلالية كبيان مفهوم الدلالة ، وأنواعها ، وتقسيم الكلام إلى متباين ومترادف، ومشترك، ومتضاد، وغيرها، مِمَّا سنعرض له بالتفصيل .

ثانيا : الجانب التطبيقـــى :

غلب هذا الجانب على الجانب السابق ، فَهُمْ - في الأعمّ الأغلـب - يوردون الأمثلة التطبيقية مع التعليق المجتزأ على بعضها ، دون إفرادها بمباحِثَ مستقلّةٍ .

وأرى أن هذا الصنيع يدلُّ على وضوح الفكرة في أذهانهم ، ممّـا دعاهم إلى عدم التعليق ، أو فَصْل هذه المباحث عن بعضها . لذا نجد بعض المؤلّفات مشتملاً على غالبية المستويات اللغوية والنحوية ، والصرفيـة ، والصوتية ، والدلالية .

كما نجد في الجانب الآخر بعض المؤلفات التى خُصَّتْ لمبحث دلالـي

واحد ، كرسائل الموضوعات التى تندرج ضمن ما أُطلق عليه اللغويون المحدَثون (الحقول الدلالية) فهم وإنْ لم يُصَرِّحوا بهذا المصطلح نظرياً ، فقد أوردوه فى أثناء تطبيقهم ، وماورد عنهم ينطق بهذا .

كما أن ماورد عنهم من تحليل لدلالات الكلمات ، وتسجيل لمعانى الغريب فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، يُعَدّ من بين المباحث الدلالية التى لفتت انتباههم ، فبيَّنوها وجَلوا غامضها (١).

---

(١) ينظر علم الدلالة ، د/ أحمد مختار ، ص ٢٠ بتصرف .

جهود لغويي القرن الثالث فى تحديد الدلالة وبيان أنواعها

* مفهوم الدلالة :

في النصف الأول من القرن الثالث الهجري أو قبله وضعت نظرية دلالية تتجلى فيما كتبه الشافعي وبَيَّنه الجاحظ ، حيث وضعا المعنى اللغوي فى إطاره العام بين الدلالات .

ففى تعريف البيان يقول الجاحظ : " والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان .... والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى ، وهَتَك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ماكان ذلك البيان ، ومِنْ أيِّ جنسٍ كان الدليل ، لأنَّ مدار الأمر، والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، إنَّما هو الفهم والافهام ، فبأيِّ شئ بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع . " (١).

يوضح الجاحظ في النّصّ السابق مفهوم البيان العام بناء على توضيحه لأنواع الدلالة ، فالمقصود بالبيان " الإيصال الدلاليّ العامّ، الّذي يشتمل على الإيصال اللغويّ وغيره . أو بتعبير دى سوسور الإشارات في مفهومها العام ، وتعد اللغة جزءاً منها . وهذا تنبه من الجاحظ لأحد

---

(١) البيان والتبين ، للجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الطبعة ٤ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م) ٧٥/١ - ٧٦ .

المعايير الأساسية للمنهج الوصفي الحديث ، (فالبيان فى تعبيره يرادف (الإشارة) فى تعبيرنا اللغويّ المعاصر ، وهي كل مايُوْصِلنا أو يُوْصِل غيرنا لإفهام الشئ أو تفهمه كالرموز وعلامات الدخان .... إضافة إلى الايصال اللغويّ بالألفاظ والتراكيب والنبر على المقاطع ، مما يُسَمَّى بالدلالة الصرفية / الصوتية، والسياق ، وأنماط الجمل،واختلافاتها الدلالية الدقيقة .... " (١).

وقوله : " كائناً ماكان ذلك البيان ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدليل " يَعني به أيّ نوع من أنواع الإيصال الدلالي ، سواء كان الدليل هو اللفظ أَوِ الإشارة أَو الخطّ أو غيرها من أنواع الدلالة .

فالدلالة ليست خاصّةً باللّفظ دون سواه ، فكلُّ مايقوم بدور العلامات أو الرموز ـ لغويّة أو غيرها ـ يُعَدُّ من صميم هذا العلم .

كما أَنَّ الألفاظ لاتصل إلى الإحاطة بكلّ المعاني " لأَنَّ المعاني مبسوطة إلى غير غايةٍ وممدودة إلى غير نهايةٍ ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحّصلةٌ محدودةٌ .. "(٢) لذلك يُسْتَعاض عَمَّا تقصر عنه الألفاظ ببقيّةِ أنواع الدلالات .

* أنـــواع الـــدلالات :

من المألوف لدى الباحثين المحدثين أن الجاحظ هو أول من عرض لتقسيم

---

(١) منهج البحث اللغوى ، د/ على زوين ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢) تاريخ ابن عساكر (مخطوط) ج ٤ ، ورقة ٤١٧ ، الظاهرية رقم (١٤/٣٣٧٨) تاريخ

الدلالة حتى أصبحت هذه المقولة بمثابة الحقيقة التى لاتقبل الجدل .إلَّا أنَّ هذا التقسيم سبقه إليه الإمامُ الشافعيّ .

فقد نقل ابن عساكر بسنده عن الحسن بن سفيان .... قال : " سمعت الشافعيّ-وكان من معادن الفقه وجهابذة الألفاظ ونقاد المعاني-يقول :.... وجميع أصناف الدلالات على المعانى لفظ وغير لفظ خمسة أشياء،لاتزيد ولاتنقص، أوّلها : اللفظ،ثم الإشارة،ثم العقد،ثم الخط،ثم الذى يسمى النِّصْبَة . والنِّصْبَة : (هى)[1] الحال الدّالّة الّتي تقوم مقام تلك الأصناف،ولاتَقْصُر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهى التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، وعن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها، وأفرادها، وعن خاصّها، وعامّها، وعن طباعها، فى السار والضار، وعَمَّا يكون لهواً بهرجاً، وساقطاً مدحرجاً "[2].

وقد نقل الجاحظ النصّ السّابق عن الشافعي، وإن لم يشر إليه صراحة ، إلا أنَّه لم ينسب هذا الجهد له . فللشافعي فضل السبق فى بيان أنواع الدلالات ، وللجاحظ فضل التوسع، وبيان كل نوع على حدةٍ، شارحاً مبيناً، ومُورداً العديد من التعريفات، والشواهد التى بَيَّنَ من خلالها أهمية كل دلالة ، وسماتها الّتي امتازت بها عن غيرها .

وفيما يلى سأوضح كلَّ دلالة من الدلالات الّتي عرض لها الشافعيُّ مُبَيِّناً ما أضافه الجاحظ من جهودٍ فى كلِّ دلالة منها .

---

(١) مثبته فى تاريخ ابن عساكر (في) وأرى أن الصواب ما أثبته .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤١٧/١٤ ، وينظر البيان والتبين ٧٦/١ ، والحيوان ٣٣/١ .

أولاً : الدّلالـــة اللفظيّـــة :

قَدَّم الشافعي والجاحظ هذه الدلالة على بقية الدلالات لأهميتها فـي حَياة الإنسان، حتّى استأثر الكلام بأن يُسَمّى بياناً فقال عزَّ من قائـلٍ : " الرَّحْمَـٰنُ ، عَلَّمَ القُرْآنَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ ، عَلَّمَهُ البَيَان "[1]، وامتنَّ الله على أبي البشر آدم ـ عليه السلام ـ بتعليمه الأسماء " وَعَلَّمَ آدم الأسماء كلها "[2]، وحتى غدت صفة النطق الصفة المميزة للإنسان عن غيره، من سائر المخلوقات لانفراده بسمات اختص بها ، ومن ثم فإنَّ هذا النوع من الدلالة ينماز من سائر أنواع الدلالات .

وهذه الدلالة ليسرها وسعتها ، قد تقترن بها قرائن ، توضح المراد توضيحاً كافياً ، وتحدده تحديداً دقيقاً . كالحال ، والمقام ، والسياق ، ونبرة الصوت وغيرها .

وقد بدأ بذكر أهمية هذه الدلالة وأثرها فى إبراز المعنى، فيقول : " ... وهي الّتي تكشف لك عن أعيان المعاني فى الجملة ، ثمَّ عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصّها وعامّها ، وعن طباعها في السّارّ والضّارّ ، وعَمَّا يكون لهواً بهرجاً، وساقطاً مدحرجاً . "[3].

فمن النصّ المتقدّم يتضح لنا سُمُوّ هذه الدلالة، فهى توضح المعاني بالنسبة للألفاظ ، حيث إنَّ المعاني الرفيعة لها مايقابلها من الألفاظ

---

(١) الآيات رقم (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) من سورة الرحمن .
(٢) الآية رقم (٣١) من سورة البقرة .وانظر تفسير الطبرى ٢٧/١١٥.
(٣) تأريخ ابن عساكر (١٤) ورقة (٤١٧) وانظر : البيان والتبيين ٧٦/١ .

التى تمثلها ، وكذلك الشأن بالنسبة للمعاني الساقطة أو المستهجنة .
فاللفظ يُمَكِّنُ الإنسان من تحديد المدلول تحديداً دقيقاً .

وقد بَيَّن الجاحظ أبعادَ هذه الدّلالة ، وما تمتاز به على غيرها من الدلالات ، وذلك بإيراد جملةٍ من النُّصوص النظرية، والشواهد التطبيقية، التى أثبت من خلالها القيمة الدلاليّة لِلَّفْظ .

ومن بين ما أورده قوله : " وفهمك لمعاني كلام الناس ، ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجرَّداً ، وأَبعدُ فهمك لصوت صاحبك، ومعاملك، والمعاون لك ، ماكان صياحاً صرفاً ، وصوتاً مصمتاً ، ونداءً خالصاً ، ولايكون ذلك إلا وهو بعيد من المفاهمة ، وعُطْلٌ من الدلالة . فجعل اللفظ لأقرب الحاجات ، والصّوت لأنفسَ من ذلك قليلاً .... "(١)

فمن المعلوم أنّ اللفظ أساسه الصوت، الذى بموجبه يتم الإيصال الدلالي، والجاحظ فى نصه السابق يوضح لنا ماتمتاز به الخصائص الصوتية عن سواها، يتمثّل ذلك في النقاط التالية :

(١) استعمال اللفظ للقريب الحاضر والشاهد الراهن .
(٢) سرعة الفهم .
(٣) أبعد الفهم ماكان من صياح صرف وصوت مصمت ونداءٍ خالص .
(٤) زيادة التجانس الصوتي تُنْقِصُ التقطيع فينقص المعنى .
(٥) قلة التجانس الصوتي يزيد التقطيع فيزيد المعنى .

" فالصّياح مثلا ، والنداء ،وعبارات التفجع ، والتأوه " لاتحمل

---

(١) الحيوان ٤٧/١ – ٤٨ .

فى الغالب أكثر من معنى واحد ، لأنها تلفظ عادة فى تقطيعة واحدة .(١)

كما أنَّ المتكلِّم إذا تحدَّث بلغةٍ هادئة واضحة، يكثر فيها من التقطيع بين الألفاظ، أنضوى كلامه على دلالات أكثر تنوعاً وأدق تحديداً بخلاف مالو كان مجرد صياح لاتقطيع فيه .

كما تكمن قيمة هذه الدلالة عنده في أنَّها الطريقة المُثْلى للبيان والإفصاح فقد شبّهها بالبصر حيث قال : " البيان بصر ، والعيِ عمى ، كما أن العلم بصر والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم والعيِ من نتاج الجهل . "(٢)

فمقابلته بين البيان والعلم ، والجهل والعيِ ، شاهد على قيمة هذه الدلالة ، فمتى كان الإنسان عالماً بالشّيء، استطاع أن يعبر بأسلوب واضح فهو كالمبصر الّذي يعرف طريقه فلا يزل عنه ، ولولا النطق لما تمكن من ذلك .

كما قابل بين الجهل والعيِ فالجاهل لايستطيع الإبانة عما يدور بخلده فهو كالإنسان الّذي لايستطيع النطق والإفصاح . فلا يُتَصور أنَّ هناك حياة بشرية سوية لاتُعَبِّر عن معانيها بالألفاظ ، فهى تمدّ الإنسان بما تعجز

(١) النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، د/ محمد الصغير بنانى (لبنان ، بيروت ، دار الحداثه ، ط ١ ، ص١٩٨٦ م) ص ٩٠ .

(٢) البيان والتبيين ١/٧٧ .

عنه الدّلالات الأخرى ، وإنْ كانت الألفاظ قاصرةً عن الإحاطة بجميع المعاني، إلا أنّها من أدقّها .

ولاشك أنّ الدلالة اللفظية بحاجة إلى وسائل أُخرى، تعضدها وتساعدها على الإحاطة بالمعاني، حيث إنّ الحروف الّتي تتألّف منها هذه الألفاظ معدودة ومعلومة، على حين أنّ المعاني لاحصر لها، من أجل ذلك يُسْتَعان ببقيّة الدلالات، من أجل الإحاطة بهذه المعاني .

وقد أشار الجاحظ إلى عجز اللُّغة عن الاحاطة بجميع المعاني، يتمثل هذا فى قوله : " فمِمّا لا اسم له خاص الخاص . والخاصّيّات كلّها ليست لها أسماءٌ قائمة . وكذلك تراكيب الألوان والأراييح والطعوم ونتائجها "(١).

من أجل هذا تعددت الدلالات عند الشافعيّ والجاحظ ، ولكلٍّ منها خواصُّها الّتي تميزها عن غيرها .

ثانيا : دلالة الإشارة :

وهي من بين الدلالات التى لايُسْتَغْنَى عنها فى الحياة الاجتماعية ، فهى جزء من البيان وعامل من عوامله . فكما أنّ لكل لفظ دلالته المنوطة به، فلكل إشارة دلالتها التى ارتبطت بنوع من الاشارة .

وقد اكتفى الشافعي بذكر هذه الدلالة دون التعليق عليها فِي النّصّ السّابق ، على حين أنّ الجاحظ أَوْلى هذه الدلالة عناية خاصة حتى كاد يقصر

---

(١) الحيوان ٥/٢٠١ .

القول عليها دون سواها من الدلالات . تتمثل هذه العناية فى انفرادها بدلالات معينه ، ومشاركة غيرها في إبراز المعنى الدقيق كمساندتها للدلالة اللفظية، وفي هذا يقول الجاحظ : " والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ماتنوب عن اللفظ، وماتُغْني عن الخط .... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتّة .... "(١).

وتعدّ الإشارة من أهم أنواع الدلالات التى لها صلة وثيقة باللغة ، فالمتعلّم يحتاج لبعض الإشارات في أثناء حديثه، سواء أكانت باليد، أو بالرأس أو غير ذلك . " فلا تكون الحروف كلاماً إلاَّ بالتقطيع والتأليف . وحُسْنُ الإشارة باليدِ والرَّأْس ، من تمام حسن البيان باللِّسان .... "(٢).

كما أنَّ الإشارة تزيد من توصيل المعنى الّذي يقف عنده اللفظ، لتحديد المعنى التَّحْدِيدَ الدَّقِيقَ " فلولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك خاصّ الخاصّ ، إذا كان أخص الخاص قد يدخل فى باب العام ، إلا أنَّه أدنى طبقاته ، وليس يكتفى خاص الخاص باللفظ عمّا أداه ، كما اكتفى عام العام، والطبقات الّتي بينه وبين أخص الخاص " (٣).

فربّما قصد الجاحظ بقوله : " خاص الخاص " إلى مايعجز عنه اللَّفْظُ من الإحاطة بالمعنى ، وفي هذه الحالة تُسْتَخْدَم الإشارة، لتقوِّيَ جانب الدّلالة اللفظية بإضفاء معنىً اضافي عليها حتى يتم تحديد المعنى المراد .

---

(١) البيان والتبيين ٧٨/١ .

(٢) السابق نفسه ٧٩/١ .

(٣) الحيوان ٥٠/١ .

* أَنــــواع الإشــــارات :

ذكر الجاحظ أنَّ الإشارات نوعان :

الأول : ماكان للقريب كرفع الحواجب ، وكَسْر الأجفان ، ولَيِّ الشـفاه ، وتحريك الأعناق ، وبالعين ، واليد ، والرأس وغيرها [(١)].

الثانى: ماكان للبعيد • كأن يلْوِي الشخص بالثوب وبالسيف " على مقطع جبل تجاه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها " [(٢)]

ونحن لانزال نستخدم هذا النوع من الدلالة ، كأنْ ننادي شخصاً ما ، بإشارةٍ من اليد • ونشير إِليه بالذَّهاب ، أَوِ القبول ، أَو الرفض بإشارة من الرأس ، وتستنكر عملاً ما ، بنظرةٍ من العين •

وقد استدلَّ الجاحظ على استعمال هذه الدلالة، بالعديد من الشواهد الشعرية، أذكر من بينها قولَ الشاعر : [(٣)]

أشارت بطرف العين خيفة أهلهــا
إِشارة محزون فلم تتكلــم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبــاً
وأهلاً وسهلاً بالحبيب المُتَيَّـم

فالإشارة فى هذا المقام أبلغ مِمَّا لو كانت الدلالة لفظية نظــراً لما تحتمله هذه الإشارة من دلالة يصعب التصريح بها •

---

(١) البيان والتبين ٧٧/١ •
(٢) الحيوان ٤٨/١ •
(٣) تنظر هذه الشواهد فى البيان والتبيين ٧٨/١ •

وقال الآخر :

يسعى ويمثل والصفير كلامه
وتَجِيِ يداه لهن وحي الأخرس

فالرّاعي يستخدم مع البهائم لغة الاشارة، من صفيرٍ أو إشارة باليد ، أو بترديد أصواتٍ اعتادت عليها . فعرفت مدلول هذه الإشارات .

وقال الشّاعر أيضاً :

العين تُبدى الذي في نفس صاحبها
من المحبّة أو بغضٍ إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة
حتّى ترى من ضَمِير القلب تِبْيَانا

فالإشارة وسيلة تعبيرية أصبحت فى زمننا هذا لغة مستقلة وعِلْماً يتعلّمُهُ الناس ، فاللغة المشهورة " لغة المُورس " قائمة على هذا النوع من الرموز أو الإشارات .

كذلك فإنّ إشارات المرور قائمة على هذا النوع من الدلالة ، فلكل لون من ألوانها دلالة معينة، تعارف عليها جميع الشعوب . وقد أُفْرِدَت العديد من المؤلفات فى هذا النوع (١).

كما أنّ من إيجابيات هذه الدلالة مساعدة المعاقين عن الكلام

---

(١) كعلم الإشارة ، لبيرجيرو ، ترجمة د/ منذر عياش (دمشق ، دار طلاس للترجمة والنشر ، د / ت) ، والأصوات والإشارات ، كندراوف ، ترجمة شوقى جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م) .

للتفاهم من خلالها . فهي - بلاشك - تُعَد في المرتبة الثانية بعد الدلالة اللّفْظِيّة كما صنّفها الشافعيّ والجاحظ (١).

ثالثاً : دلالة الخط :

وضع الشافعيُّ هذه الدّلالة في المرتبة الثالثة من الدلالات واتفق معه الجاحظ . والمقصود بها " التعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة . فالخط لايختلف عن التعبير باللفظ إلّا في كون اللفظ يعتمد على الصوت، والخط يعتمد على الحبر، أو مايقوم مقام الحبر "(٢)

أورد الجاحظ جملةً من النصوص، بَيَّنَ من خلالها أهمِّيَّةَ هذه الدلالة في حياة الأمم . أُورِدُها مُجْمَلَة، ثُمَّ أُفَصِّل القول فيها .

يقول : " وجعل الخطَّ دليلاً على ماغاب من حوائجه عنه ، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانِه ، وجعله خازناً لما لايأمن نِسْيَانَهُ ، مِمَّا قد أحصاه وحَفِظَهُ ، وأتْقَنَهُ وجمعه ، وتكلَّفَ الإحاطةَ به ، ولم يجعل للشّامِّ والذّائِقِ نَصِيباً . "(٣).

وقال في موضعٍ آخر : " والكتاب يُقْرأ بكلّ مكان ، ويدرس في كلّ زمان ، واللِّسان لايعدو سامِعَهُ ، ولايتجاوزه إلى غيره ."(٤)

---

(١) وقد تحدث ابن قتيبة عن الاستدلال بالعين والإشارة والنِّصْبَة في كتابه : عيون الأخبار ،(طبعة الهيئة المصرية للكتاب)١٩٧٣م، ٢/١٨١

(٢) النظريات اللسانية ، ص ٨١ .

(٣) الحيوان ، ١/٤٦ .

(٤) السابق نفسه ، ١/٧٠ .

وقال : " ليس بين الرقوم والخطوط فرق .... ولا بين الحروف المجموعة والمصوَّرة من الصوت المقطَّع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصورة من السواد فى القرطاس فرق . "(١).

وقال : " لولا الخطوط لبَطَلت العهود والشروط والسِّجلاَّت والصِّكاك ، وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهد وعقد ... " (٢).

من النصوص السابقة يتضح لنا كثيرٌ من سمات هذه الدلالة وفوائدها، التى تتمثَّل في النقاط التالية :

(١) تُمَكِّن من الاتّصال بمن هو بعيد بُعْداً مكانياً ، من أعوان وأحياء وغيرهم . يتمثّل هذا في قوله : " ... وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانِهِ "

(٢) يُمَكِّن من نقل المعاني من جيلٍ إلى جيلٍ ، أي : إلى من هو بعيد بعداً زمانياً . يتمثَّل هذا في قوله : " والكتاب يُقْرأ بكل مكان ، ويُدْرَس في كلّ زمان ، واللِّسان لايعدو سامعه ، ولايتجاوزه إلى غيره ... "

(٣) كما يُمَكِّنُ من خزن المعاني والأفكار والمعلومات، وحفظها من الضياع. يفهم هذا من قوله : " ... وجعل الخط دليلاً على ماغاب من حوائجه عنه . " .

(٤) توثيق المعاملات ، والاتفاقات ، والشروط والعقود بين الناس . وهذا يفهم من قوله : " لولا الخطوط لبطلت العهود ... " .

---

(١) الحيوان ، ٧٠/١ .
(٢) السابق نفسه ، ٦٩/١ .

وقد استدَّل الجاحظ على أهمِّيَّةِ هذه الدلالة بالعديد من الشواهد القرآنيه، الّتي بَيَّن من خلالها فضل الخط وأهميته . وحسبه من الأهمية حفظه كلَّ ماأُثِرَ عن العرب القدماء من أقوال ، والأهم من هذا أنّ اللّه جعل الخطَّ سبباً من أسباب حفظ كتابه العزيز ، وسنة نبيِّه صلّى اللّه عليه وسلّم . قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِكْرَ وإِنَّا لَهُ لحافِظُون "(١).

" فاللُّغَةُ المكتوبة تتميز عَنِ اللُّغَةِ المنطوقة بعددٍ من الخصائص .... وخصائص اللُّغَةِ المكتوبة التى نشير إِليها هى المحافظة على الاستعمالات القديمة، والتخلف عن مجاراة اللغة المنطوقه ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى فإنّه لَمَّا كانت الكتابه لاتملك مايملكه المتكلمون، من مناسبة وحركات ونغمة فى الصوت، توضح الكلام الملفوظ ، فإِنَّه لابُدَّ لها من أنْ تستخدم فيِ دقَّةٍ قواعد النحو ومفرداتِ اللغة .... فاللُّغة المكتوبة توضِّحُ الصيغ النَّحويَّة كما توضح قِيَم المفردات .... "(٢) ومن بين الشواهد الّتي أوردها الجاحظ قوله تعالى : " ن . والقلم ومايَسْطُرون "(٣) وقوله تعالى : " اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بالقَلَم . عَلَّمَ الإِنسانَ مالَمْ يَعْلَمْ "(٤) " فالخط إِذن هو إِحدى الدلالات المهمَّةِ فى حياة الأمم والشعوب والأفراد، بل من أهمها، فعن طريق الخَطّ والكتابة يورث الخلف للسلف كل مايصل إِليه الخلف من تقدم، وعلوم، وفنون، وحضارة، وأدب . " (٥).

---

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحجر .

(٢) منهج البحث فى الأدب واللغة ، لانسون ـ وماييه ، ترجمة : د/محمد مندور (دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٩٨٢م) ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٣) الآية رقم (١) من سورة القلم .

(٤) الآيات رقم (٣ ـ ٤ ـ ٥) من سورة العلق .

(٥) علم الدلالة فى الكتب العربية ، د/أحمد عبدالرحمن الحماد ،ص ٤٤ .

فبالشواهد السابقة يتبين أن هذه الدلالة أكثر قدرة على عبور حدود الزمان والمكان من الدلالات الأخرى [1].

رابعاً : دلالة العقد :

عرَّف الجاحظ هذه الدلالة بأنها : الحساب دون اللفظ والخط"[1] ثم بين منافع هذه الدلالة، مستدلاً على ذلك بآيات من كتاب الله، منها قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ . وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحساب ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ .. وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[4] .

والعقد نوع من أنواع الحساب، كان مستعملاً عند العرب القدماء، يقول عنه البغداديّ : " واعلم أنَّ العقود والعقد نوع من الحساب بأصابع اليدين، يقال له حساب اليد. وقد ورد منه في الحديث: " وعَقَدَ عَقْدَ تِسْعِين " وَقَدْ أَلَّفُوا فيه كُتُباً وأَراجيز ، منها أرجوزةُ أبي الحسن عليّ ، الشهير بابن المغربيّ ... "[5]

---

(١) البيان والتبيين ٨٠/١ .
(٢) الآية رقم (٥) من سورة يونس .
(٣) الآية رقم (١٢) من سورة الإسراء .
(٤) الآية رقم (٥) من سورة الرحمٰن .
(٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ٥٣٨/٦ .

كما ورد عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم عددٌ من الأحاديث النبوية المشيرة إلى العقد، ومن بينها الحديث الوارد فى صفة صلاة النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم الّذى جاء فيه قوله : وعَقَدَ ثَلاثاً وخمسين، وأشار بإصبعه السبابه "(١) " أخرجه مسلم عن ابن عمر " .

يقول الصنعانى عند شرحه لهذا الحديث : " واعلم أن قوله فى حديث ابن عمر " وعقد ثلاثاً وخمسين " إشارة إلى طريقة معروفةٍ تواطأت عليها العرب فى عقود الحساب، وهى أنواع من الآحاد والعشرات والمئين والألوف . أمّا الآحاد :

فللواحد : عقد الخنصر إلى أقرب مايليه من باطن الكفّ .

وللاثنين : عقد البنصر معها كذلك .

وللثلاثة : عقد الوسطى معها كذلك .

وللأربعة : حلّ الخنصر .

وللخمسة : حلّ البنصر معها دون الوسطى .

وللسّتّة : عقد البنصر وحلّ جميع الأنامل .

وللسّبعة : بسط البنصر إلى أصل الإبهام ممّا يلى الكفّ .

وللثّمانية : بسط البنصر فوقها كذلك .

وللتسعة : بسط الوسطى فوقها كذلك .

وأمّا العشرات فلها الإبهام والسّبّابة .

---

(١) ينظر الحديث فى صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فوّاد عبدالباقى (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية) ٤٠٨/١ .

فللعشرة الأولى : عقد رأس الإبهام على طرف السبابه .

وللعشرين : إدخال الإبهام بين السبابة والوسطى .

وللثلاثين : عقد رأس السبابه على رأس الإبهام عكس العشرة .

وللأربعين : تركيب الإبهام على العقد الأوسط من السبابه وعطف الإبهام إلى أصلها .

وللخمسين : عطف الإبهام إلى أصلها .

وللسِّتِّين : تركيب السبابه على ظهر الإبهام عكس الأربعين .

وللسبعين : إلقاء رأس الإبهام على العقد الأوسط من السبابه، ورَدّ طرف السَّبَّابةِ إلى الإبهام .

وللثّمانين : رَدّ طرف السّبّابة إلى أصلها ، وبسط الإبهام على جنب السَّبَّابَة من ناحية الإبهام .

وللتسعين : عطف السبابة إلى أصل الإبهام، وضمها بالإبهام .

وأمّا المِئين : فكالآحاد إلى تسعمائة في اليد اليسرى ، والألوف كالعشرات في اليسرى ."(١) .

وقد فصَّلَ ابن شعبان في هذا النوع من الحساب مبيناً دلالة كل حركة من حركات اليد وكيفية الحركة وذلك من خلال ما أورده ابنُ المغربيّ ـ المشار إليه في نصّ البغداديّ السابق ـ في أرجوزته . كما وَضَّحَ المحقِّق لهذه الرسالة ماصُنِّفَ من رسائلَ في هذا العلم .(٢)

(١) سبل السلام ، للصنعاني (بيروت ، دار الفكر ، د / ت) ١/١٨٨/١٨٩، وينظر : حساب العقود ودلالاتها الدلالة على الأعداد بأصابع اليدين ، شرح منظومة على بن المغربى المسماه ب " لوح الحفظ " شرح ابن شعبان ، تحقيق : بسّام عبدالوهاب الجابي (دمشق ،دار البصائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م ـ ١٤٠١ هـ) .

(٢) السابق ص ١٤ فما بعدها .

خامسا : دلالة النِّصْبَة :

صَدَّر الجاحظ حديثه عن هذه الدلالة بتعريف لها فقال : " هى الحال الناطقة بغير اللّفظ ، والمشيرة بغير اليد ... "(١) فهي عبارة عن الحالة أو الهيئة ، الّتي تكون عليها الأشياء ، هذه الهيئة لها دلالتها على مايقابلها، فهي مدلولات من غير دالّ ، معانٍ من غير ألفاظ . وأمثلة هذه الهيئات كثيرة ، فعند رؤية الآثار التأريخية، يتبادر للذهن المدلول الخاص بكل منها ، حيث تبين لنا الدلالة بدون اللفظ ، فهى ناطقة دلالياً رغم كونها صامتةً كما قال الجاحظ : " فالأجسام الخرس الصامتة ، ناطقة من جهة الدلالة ، ومعربة من جهة صحة الشهادة ، على أنّ الّذى فيها من التدبير والحكمة ، مخبر لمن استخبره ، وناطق لمن استنطقه ، كما خبّر الهزال وكسوف اللون ، عن سوء الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحسن النضرة ، عن حسن الحال .... " (٢).

فهى تمثّل اللّفظ وإن لم تكن ناطقةً، وتدلُّ على الحالة أَوِ الهيئة بدون الإشارة ، لأنَّ الوضع الَّذِي هِيَ عليه هو الإشارة نفسها . ولذلك نجده يقول : " سَلِ الأَرْضَ فَقُلْ : من شقَّ أنهارَكِ ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فإنْ لم تُجِبْك حِواراً ، أجابتك اعتباراً . "(٣) فبالطبع هى لاتجيب باللفظ، ولكن الهيئة التي هي عليها ناطقة بما يُغْنِي عن اللفظ .

وأمثلة هذا النوع من الدلالات عديدة، ذكر الجاحظ ، بعضاً منها، وممّا

(١) البيان والتبيين ٨١/١ .
(٢) الحيوان ٣٤/١ ، وانظر نصاً قريبا من هذا فى : البيان والتبين ٨١/١
(٣) البيان والتبيين ٨١/١ .

أورده قول الشاعر :

فَعَاجُوا فأثنَوا بالذى أنت أهلُه

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فالشاعر هنا يقول لو سكتوا عَنِ الثّناء والاعتراف به لأثنت عليك هذه الحقائبُ الّتى مُلِئَت بالعَطَايا، والهبات، فالحالة التي هي عليها هذه الحقائب تُنْبِىء عمّا بها وإن كانت صامتة .

وقال الآخر :

متى تك فى عَدُوٍّ أو صديقٍ

تُخَبِّرْكَ العيون عن القلوب

فالحالة أو الهيئة الّتى عليها الشخص، تنبئك عمّا يُكِنُّه لك، ويُضْمِره في قلبه، يتضح كلُّ هذا على ملامح وجْهِهِ وفى عينيه .

وفي حياتنا اليوميَّة كثير من الشواهد على هذه الدلالة . فكلّ مايُسْتَنْبَط من ظواهر الأشياء من معنىً يعد من دلالة النصبة . فروّية مئذنة فى بلد من بلدان العالم تَقِلُّ فيه نسبة المسلمين تدل على وجود مسجد كما يدل على وجود مسلمين فى هذه البقعة . كما أنَّ ماخُلِّفَ لنا من آثار عن حضارات الأمم السابقة يعد كل هذا من دلالة النصبة، كالأهرامات وغيرها . فمتى " دَلَّ الشىء على معنىً ، فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً ، وأشار إليه وإنْ كان ساكتاً . وهذا القول شائعٌ في جميع اللُّغات ، ومتّفق عليه مع إفراط الاختلافات . "(١) .

وقد يبدو في الظاهر عدم وجود فرق بين دلالتي الإشارة والنِّصْبَة،

---

(١) البيان والتبين ٨٢/١ .

إلاَّ أنَّ المتأمِّل فيهما يجد فروقاً دقيقة، توضح حقيقة كُلٍّ من الدلالتين، ومن هذه الفروق :

(١) دلالة الإشارة هي ما تعارف عليه المجتمع من إشارات دالّة . أمّا دلالة النِّصْبة فهي تؤخذ مما يستنبط من ظواهر الأشياء .

(٢) النِّصْبة تُؤخذ دلالتها من الحالة الّتي هي عليها عموماً . أما الإشارة فتنبىء عن الدلالة بإشارةٍ تشير إليها، فهي جزئيّة .

(٣) دلالة الإشارة في الغالب تُؤْخَذ من شيء متحرّكٍ، سواء أكان من كائن حيٍّ أم من جماد تحرِّكُهُ الآلات، من مثل إشارات المرور . بعكس ما هي عليه دلالة النِّصْبَة فهي حالٌ صامِتةٌ وإن كانت تشير إلى الهيئة أو الحالة فلا تُعَدُّ من هذه الدّلالة .

أما تعريف الجاحظ لدلالة النِّصْبَة بأنَّها " الحالة الناطقة بغير اللَّفظ والمشيرة بغير اليد "(٢) فقد يظنُّ ظانٌّ بناء على هذا التعريف أنَّ إشارات المرور ـ مثلا ـ من دلالة النصبة . لذا نقول : إنَّ هذه الإشارات ليست من هذه الدلالة لأنّها متحرّكة ، فكل لون من ألوانها له دلالة معينة .

وبعد ... فإن ماوضعه الشافعي والجاحظ من نظرية دلالية في هذه الحقبة الزمنية المتقدمة ، لدليلٌ عملي على سبقهما لعلماء الغرب وأقدميتهما في اكتشاف هذه النظرية . لذا يعدان ـ فيما أرى ـ رائدين من رواد هذا العلم .

---

(١) البيان والتبيين ٨٢/١ .
(٢) السابق نفسه ٨٢/١ .

المعنى اللغوى

المعنى فى اللغة كما أورده صاحب اللسان المَقْصِد يقول : " ومعنى كل كلام ومَعْنَاته ومَعْنيتُه . مقصده " كما ذكر بأن المعنى والتفسير والتأويل واحد [١].

وأورد غيره قوله : " إِنَّ معنى القول هو دلالته ومضمونه ومفهومه، وفحواه ، ومقتضاه ... "[٢]

أما تعريف المعنى فى الاصطلاح فيمكن أخذه مما استنبطه الدكتور محمد حسن جبل من كلام الجاحظ [٣] حيث يقول : " معنى اللفظ هو الصورة الذهنية لمسَّماه من حيث وضع اللَّفْظ بإزائها ." [٤].

وقد فَصَّل جزئيات هذا التعريف مِمَّا أُتيح له من مراجع . فقال عن صورة الشىء : إنَّها الشكل الَّذي يحمل خطوط قسماته وملامحه الّتي تميزه عن غيره، كما تحدَّث عن الذِّهن،فقال : هو " قُوَّةٌ للنفس معدَّةٌ لاكتساب الآراء، أي : العُلُوم التصويرية والتصديقية "[٥] كذلك فَصَّل في الذهن ومكانه، وآراء الأطباء في ذلك،مع إشارته إلى تعريف الصورة الذهنية ومصادرها .

---

(١) ٣٤١/١٩ ، مادة (عنى) .

(٢) تاج العروس ٣٥٨/١ ، مادة (عنى) .

(٣) البيان والتبيين ٧٥/١ من قوله : " المعاني القائمة فى صدور الناس ، المقصورة فى أذهانهم ، والمتخلجة فى نفوسهم .. " .

(٤) المعنى اللغوي ، د/محمد حسن جبل ، ص ١٣ ومابعدها .

(٥) السابق نفسه ص ١٣ .

فالمعنى اللغوي جزءٌ من الدلالة عموماً، حيث إنّ الدلالة تشمل جميع أنواع المعاني، من لغوية وغيرها، على حين أنّ المعنى اللغوي يشغل جزءاً من هذا العموم ، لاختصاصه بألفاظ اللغة ، فأنواع المعانى عديدة ، كالمعنى النفسي والمعنى الأسلوبي ، والمعنى الإضافى وغيرها[1].

ولاشك أنّ علماء اللغة القدماء بَيَّنُوا المعنى اللغوي وحدّدوا أبعادَهُ ، والظواهر اللّغوية الّتي لها العلاقة المباشرة به، كالتَّرادف والمشترك والتضاد .

---

(١) ينظر : علم الدلالة ، د/أحمد مختار ص ٣٦ فما بعدها .

العلاقة بين الألفاظ والمعاني

من الواضح أنَّ الأصل أن يكون للفظ معنىً واحد ، وأن يكون للمعنى لفظ واحد . ولكن أحيانا قد يتعدّد اللفظ والمعنى واحد ، وتتعدد المعاني للفظ الواحد ، كما قد يطلق اللفظ على المعنى وضده .

كل هذه الظواهر الدلالية بَيَّنَها القدماء وَجَلوا غامِضَها ، فنجد سيبويه يتحدّث عنها تحت (باب اللفظ للمعاني) ، فيقول : " اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .... "(١)

فالقسم الأول مِمَّا ذكره سيبويه عُرِف باسم التباين وهذا هو الأصل ، نحو جلس وذهب . وهذا الذى عليه أكثر كلام العرب .

والقسم الثانى : عُرِف باسم الترادف وأمثلته عديدة كذهب وانطلق ، وجلس وقعد وغيرها .

والقسم الثالث : عُرِف باسم المشترك كلفظ (وجد) الذى يأتى بمعنى وجدت عليه من المَوْجِدة ، أي : الحزن ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة . وأشباه هذه الأمثلة كثير ، فقد أفرد لها علماء القرن الثالث مؤلفات عديدة (٢).

---

(١) الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبدالسلام هارون (بيروت ، عالم الكتب ، د / ت) ٢٤/١ .

(٢) ينظر : التفصيل فى هذه الظواهر في الفصل السادس من هذا البحث .

وقد عرض تلميذُهُ ـ محمد بن المستنير الشهير بقطرب المتوفَّى (٢٠٦ هـ)[1] ـ لهذا التقسيم الذى أورده شيخه موضحاً ذلك بالأمثلة ومعللاً سبب وجود ظاهرة الترادف في اللّغة بقوله : " إنَّما أرادوا باختلاف اللفظين ـ وإن كان واحدٌ مُجْزِياً ـ أن يوسعوا فى كلامهم وألفاظهم ، كما زاحفوا فى أشعارهم ليتَوسَّعُوا فى أبنيتها ولايلزموا أمراً واحداً "[2]

كما قسم الوجه الثالث ـ وهو اتّفاق اللّفظ واختلاف المعنى ـ إلى قسمين هما :[3]

(١) المشترك . ومَثَّل له بكلمة (الأمّة) التى تأتى لمعان متعددة كالدين ، والرجل وحده يُؤتَمُّ به ، وبمعنى قامة الرجل ، كما تطلق على أُمَّةٍ من الأمم .

(٢) مايأتى من هذه الألفاظ السَّابقة للمعنى وضده . وهذا ماأسماه بالأضداد، ووسم كتابه به، كلفظ الجَوْن الّذى يُطْلَق على الأبيض والأسود ، والناهل للعطشان والرَّيَّان .

كذلك عرض لهذه الظَّواهر المبرِّد المتوفَّى (٢٨٥هـ) بيد أنه اقتصر على ماكان منها في كتاب اللّٰه عزّ وجلّ . فقال : " هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل متفقة الألفاظ، مختلفة المعاني، متقاربة فى القول، مختلفة في الخبر، على مايوجد في كلام العرب ، .... "[4] ثم ذكر نصّ سيبويه السَّابق .

---

(١) فى كتابه / الأضداد ، تحقيق : د/ حنَّا حدّاد (المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار العلوم) ص ٦٩ .

(٢) السابق نفسه ص ٦٩ .

(٣) ينظر : السابق نفسه ص ٧٠ .

(٤) ماتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، للمبرد ، اعتناء عبدالعزيز الميمني (القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٥٠هـ) ص ٢ .

أما الأمثلة التطبيقية فقد عرض لها جُلّ علماء هذا القرن،وذلك في جميع الظواهر السابقة فلا نكاد نجد مؤلّفاً يخلو منها .

ومِمَّا تقدَّم يتَّضح لنا مدى عناية علماء العربيَّة القدماء،واهتمامهم بدراسة هذه الظواهر الدلالية،ومحاولة جمع كُلِّ مايندرج منها في مؤلَّفاتٍ مستقلَّةٍ،مُعَللين أحياناً سبب وجودِ مثل هذه الظَّواهر في اللُّغةِ .

علم الدلالة فى كتابات اللغويين المحدثين
(SEMANTICS .)

شهدت العقود الأخيرة اتّساعاً واضحاً فى الدراسات اللُّغَوِيَّة الغربية، وذلك في جميع المستويات اللّغوية، من صوتيّةٍ، وصرفيّةٍ، ونحويّةٍ، ودلاليّة . نتج عنها ظهور العديد من المؤلّفات اللّغوية التى اشتملت على عدد من النظريات الحديثة .

وقد نقل جُلَّ هذه الأفكار إلى عالمنا العربيِ نخبة من اللغويين المحدثين، سواء كان ذلك بالترجمة إلى العربيّة أو بالتأليف فيها ، مِمَّا جعل الاطِّلاع على هذه الأفكار سهلا ميسوراً للباحثين .

ومن أبرز ما اهتم به المحدثون الدرس الدلاليِ فوضعوا العديد من النظريّات الدلالية ، كنظرية السياق ، والحقول الدلالية ، والنظرية التحليليَّة وغيرها من النظريات [١].

كما بَيَّنُوا حُدُود هذا العلم، وضبطوا مصطلحاته، وبذلك فإِنَّ معالجة قضايا الدلالة بمفهوم علميٍ ، بواسطة المناهج العلمية الخاصة على أيدى لغويين مختصين تُعَدُّ ثمرةً من ثمرات الدراسات اللُّغَوِيَّة الحديثة ، ومن أهمِّ نتائجها [٢].

ويُعد اللغويِ بريال (BREAL .) أول من استخدم مصطلح

---

(١) ينظر حصر وتفصيل هذه النظريات فى كتاب : علم الدلالة ، د/أحمد مختار .

(٢) انظر : السابق نفسه ص ٢٢ .

الـ (SEMANTICS .) كان ذلك فى عام ١٨٩٧ م فيِ بحث له بعنوان " مقالة في السيمانتك "[١] . حيث تعامل " مع الدلالة باعتبارها " علم المعنى "[٢] وقد اهتم فيه بدلالة بعض ألفاظ اللغات الهنديّة الأوروبيّة القديمة[٣] .

إلا أنَّ من أشهر الكتب فى علم الدلالة الكتاب الذى قام بتأليفه كل من : س . ك . أوجدن . (C.K OGDEN .) ، و ا . أ . ريتشاردز . (I.A.RICHARDS.) حيث نُشِر لأوَّلِ مرَّةٍ عام ١٩٢٣ م . " ومع ذلك فإنَّ علم الدلالة لايظهر فى الجزء الرئيسى من الكتاب نفسه ، بل يظهر فى أحد الملاحق ، التقليدية ، آخذاً عنوان : " مشكلة المعنى فيِ اللغات البدائيّةِ " ..... "[٤].

ثم توالى التأليف بعد هذه الفترة فى كل من فرنسا وأوروبا وظهر العديد من المؤلفات " ويعتبر أولمان بداية الثلاثينات أهم فترة فى تاريخ السيمانتك . فقد شهدت نضوج العلم الجديد ... "[٥] .

ومن أهم المؤلّفات الأوروبيّة فى هذا العلم كتاب (أسس علم المعنى) و (علم المعنى) ، و (المعنى والأسلوب) ، و (دور الكلمة فيِ اللّغة)[٦] ، و (علم الدلالة إطار جديد)[٧] وهذان الكتابان الأخيران

---

(١) من قضايا اللغة والنحو ، د/أحمد مختار عمر (القاهرة ، عالم الكتب ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ص ٨ .
(٢) علم الدلالة إطار جديد ، بالمر ص ١٠ .
(٣) من قضايا اللغة والنحو ص ٩ .
(٤) علم الدلالة ، بالمر ص ١١ .
(٥) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ص ٢٣ .
(٦) هذا الكتاب للغويِ . أولمان ، قام بترجمته : د/كمال بشر(القاهرة، مكتبة الشباب ، ١٩٧٢م) .
(٧) قام بترجمته إلى العربية : د/ صبريِ إبراهيم السيد .

تُرجما إلى العربية .

ومن أهم الكتب التى صدرت أخيرا وأشملها ـ كما يقول الدكتور مختار ـ كتاب (علم الدلالة) لمؤلفه (ليونز) (J. LYONS).”وأهم ماحَقَّقَه ... فى كتابه هذا تثبيت مصطلحات هذا العلم ، وتحديد مدلولاتها بدقة ، والتفريق بين المصطلحات التى تبدو متشابهة، أو يستعملها بعضهم على أنَّها متطابقة ، وأخيراً العمق والدّقّة والتفصيل .... "(١).

أمَّا الدرس الدلاليُّ عند اللغويين العرب المحدثين، فأوّلُ كتاب يخص فِي الدلالة، هو ماقام بتأليفه الدكتور إبراهيم آنيس (٢) . اشتمل هذا الكتاب على العديد من المباحث الدلالية، ناقش من خلالها أنواع الدلالة اللغوية ، وارتباط الألفاظ بمعانيها ، مع عرضه لنشأة اللغة، وما دار حولها من نظريّاتٍ .

كما عرض للتّطور الدّلالّي، مبيّناً أنواعه وأسبابه ، كذلك ناقش قضية الحقيقة والمجاز ، وموضوع الترجمة منها، وأسلوبها، وأخيراً عرض لبعض المعاجم العربيَّة القديمة .

تلاه فِي التأليف الدكتور أحمد مختار فى كتابه (علم الدلالة) ناقش فيه العديد من المباحث الدّلالية إلا أنّه تحدّث فِي الغالبية العظمى عن الدراسات الدلالية فِي الغرب، حيث أورد جُلَّ النظريات الدلالية الغربية، كنظرية السِّيَاق ، والحقول الدلاليّة ، والنظريتين الإشارية والتصويرية ،

---

(١) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ وللمزيد من التفصيل فى نشأة الدراسات الدلالية الغربية ينظر : المرجع السابق ص ٢١ ومابعدها ، وعلم الدلالة ، بالمر ص ١٠ ومابعدها .

(٢) دلالة الألفاظ .

والنظرية السلوكية ، كما تحدث عن الظواهر الدلالية، من مشترك ومترادف ومتضاد . وغيرها من المباحث الّتي ضمّها هذا الكتاب (١) .

كما ألّف الدكتور عبدالكريم مجاهد كتاباً فى الدلالة اللغوية عند العرب (٢) عرض فيه للدلالة الأصوليه، وأقسامها، وآراء الأصوليين، والبلاغيين، واللغويين فِي قضية اللّفظ والمعنى ، مع مناقشته للترادف ، والمشترك ، والتضاد . أما القسم الأخير من كتابه فقد خصّصه للحديث عن الدلالة عند ابن جِنّيّ وأنواعها ، وأنواع الاشتقاق وغير ذلك من المباحث الفرعية .

كما صَنّف الدُّكتور فايز الدايه كتاباً (٣) خَصّصَه فى علم الدلالة العربيّ إلاّ أَنّ غالِبيَّة مباحثه طغى عليها الجانب البلاغيِ، ومع هذا فقد عرض لكثيرٍ من المباحث الدلالية العربية عند مشاهير اللغويين والبلاغيين، كابن جنى ، وعبدالقاهر الجرجانى، وغيرهما .

وآخر المؤلفات الدلالّية العربيّة ـ على حَدّ علمي ـ كتابان صغيران، الأول منهما للدكتور أحمد عبدالرحمن الحماد، وهو عبارة عن كُتَيِّب اشتمل على بعض المباحث الدلالية، كالدلالة الأصولية ، والدلالة عند الجاحظ وابن جنى ، وعبدالقاهر الجرجاني، ثم عرض لقضية اللّفظ والمعنى ، وموجز عن الدلالة عند الأوروبيين (٤) .

والثاني ماقام بتأليفه الدكتور / أحمد سليمان ياقوت عرض فيه

---

(١) لمزيد من التفصيل ينظر : علم الدلالة ، د/أحمد مختار .

(٢) نشر فى (الأردن ، عمان ، دار الضياء ، ١٩٨٥م) .

(٣) علم الدلالة العربي ، د/فايز الدايه (دار الفكر ، سوريا ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م) .

(٤) علم الدلالة فى الكتب العربية (الامارات العربية ، دبى ، دار القلم ١٤٠٧ هـ) .

للدلالة فيِ خصائص ابن جنّيّ بطريقةٍ موجزة [١].

وَقلّ أن نجد كتاباً فيِ علم اللُّغة الحديث لم يعرض للجانب الدّلاليّ كفرع من فروع الدراسات اللغوية .

أنواع الدلالة عند اللغويين المحدَثين :

لم يعرض اللغويون المحدَثون لأنواع الدلالة عموماً كما فعل الجاحظ، وإنَّما اقتصروا على الدلالة اللّغوية، حيث قسموها إلى أربعة أقسام هيِ :

(١) الدلالة الصوتية .

(٢) الدلالة الصرفية .

(٣) الدلالة النحوية .

(٤) الدلالة المعجمية .

أولا : الدلالة الصوتية :

وهى التى تستمد من بعض الأصوات فى العبارة . حيث إنّ للصوت آثره فى دلالة الكلمة . وقد تنبه القدماء لهذه الدلالة ومن أمثلتهم " النار خامدة وهامدة "[١] فباختلاف الحرف الأول من الكلمة اختلف المدلول فالنار الخامدة هى التى قد سكن لهبها ، ولم يطفأ جمرها . والهامدة : هيِ التى طُفئت وانقطعت تماماً . وقد بَيَّنْتُ هذا بالتفصيل فى فصل العلاقة بين اللّفظ والمعنى .

وكما أَنّ للصوت دلالته الخاصة به فللحركة أيضاً دلالتها . فباختلاف الحركة تختلف الدلالة.والحركة ـ كما هو معروف ـ أصغر وحدة صوتية فلو

---

(١) ينظر : أدب الكاتب ص ٣٠١ .

قلنا :ـ

مِقْطَع ، و مَقْطَع . فهى بفتح الميم أسم لمكان القطع ، وبكسرها اسم لآلة القطع .

كذلك فإنَّ " من مظاهر هذه الدلالة الصوتية " النبر " فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة "(١)

وظاهرة النبر فى اللغات الأجنبية أوضح منه فى لغتنا العربية، وقد ذكر الدكتور تَمَّام حسان أن النبر فى العربية نوعان هما (٢)

(١) النبر الصرفي .

(٢) النبر الدلالي .

فالأول يختص بنبر الصيغ الصرفية، فيقع على أيِ مقطع منها كصيغة فاعل مثلاً ، فالنبر يقع على المقطع الأوّل، وينبر بالتالى مايقابله فى الموزون .

أمّا النبر الدلالي فيقع على الجمل، لا على الكلمات، وقد وسَمَه الدكتور السعران بارتكاز الجملة (٣) . والفرق بين النبر الدلالي والصرفي " أن نبر السياق يمكن وصفه ، على عكس نبر الصيغة ، بأنه إمَّا أن يكون تأكيديّاً ، وإمَّا أَنْ يكون تقريريّاً ، ويمكن تلخيص الفرق بين التأكيديِّ والتقريريِّ فيِ نقطتين :

(١) أنّ دفعة الهواء فيِ النبر التأكيديِّ أقوى منها فيِ التقريريِّ .

---

(١) دلالة الألفاظ ، د/إبراهيم أنيس ، ص ٤٦ .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ، د/تمَّام حسان (دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٤٠٠ هـ) ص ١٦٠ ـ ١٦٢ .

(٣) ينظر : علم اللغة ـ د/محمود السعران (بيروت ، دار النهضة العربية ، د / ت) ص ١٨٩ ، وينظر : الدلالة اللغوية عند العرب د/عبد الكريم مجاهد ، ص ١٧٢ .

(٢) وأَنَّ الصوت أعلى في التأكيديِّ منه في التقريريِّ . "[١]

ولإيضاح هذا نضرب مثالاً على هذا النوع من النبر . فلو قلنا :
" أأنت قلت ذلك ؟ فنبر أنت تدل على الشّكِّ في القائل ، ونبر قلت يدل على الشَّكِّ فى القول . والأمر لايختلف في التقرير أو التأكيد ، فقد تريد أَنْ تؤكد أنّه القائِلُ ، أو تقرّر أنّ القول قد حصل أو العكس حسب نبر الكلمات فى الجملة ." [٢]

كما أنّ التنغيم ظاهرة دلاليّة صوتيّة وهو " ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام ." [٣] تتضح هذه الظاهرة فى اللغات الأجنبية خاصة فى لغات الشرق الأقصى كالصينية وغيرها [٤].

ومن أمثلة ذلك قولنا : مررت برجل أيّ رجل ! فأَيّ في أصل مدلولها للاستفهام، ولكن عندما خالط الاستفهام التعجب أحال الجملة من استفهامية إلى خبريّة، والسبب فى هذا هو التعجب الّذي قيلت فيه هذه الجملة . وكذلك الشأن بالنسبة لجملة (ما أَحْسَنَ السَّماءَ) ، فالّذي يحدّد المعنى المقصود هو التنغيم .

ثانيا : الدّلالة الصرفيّة :

وتستمدّ عن طريق الصيغ وبنيتها ، فلاشَكّ أنَّ لكلِّ صيغة من الصيغ دلالتَها الخاصّةَ بها . وكل زيادة في المبنى يعقبها زيادة فى المعنى[٥].

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ، د/تمّام حسان ، ص ١٩٧ .
(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ١٧٣ .
(٣) مناهج بحث فى اللغة ، ص ١٩٨ .
(٤) علم اللغة ، د/ السعران ، ص ٢٢٥ .
(٥) ينظر لمزيد من التفصيل الفصل السابع من هذا البحث ، حيث خُصِّص لهذه الدلالة .

ثالثا : الدّلالة النحوية :

لنظام الجملة وعلاقة الكلمات بعضها ببعض أثره في بيان المعنى " فكل كلمة في التركيب لابدَّ أن يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها "(١)

فإن اخْتَلَّ التركيب فالمعنى ـ بالتالى ـ يختل تبعا لاختلال الجملة ، فما الإعراب إلا فرع عن المعنى . وقد اختصت العربية بالإعراب ، فالحركة الإعرابية لها أثرها فى إبراز المعنى . يقول ابن قُتَيْبَةَ في هذا الشأن: " ... ولها الإعرابُ الَّذى جعله الله وشيا لكلامها ، وحلية لنظامها ، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين / كالفاعل والمفعول ، لايفرق بينهما ، إذا تساوت حالاهما فى إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما ـ إلا بالإعراب .. "(٢).

وقد مَثَّل بالعديد من الأمثلة، منها قوله : " ولو أَنَّ قائلاً قال : (هذا قَاتِلٌ أَخِي) بالتنوين،وقال آخَرُ : (هذا قَاتِلُ أخِي) بالإضافة ـ لدَلَّ التَّنْوِين على أَنَّه لم يقتله ، وَدَلَّ حذف التنوين على أَنَّه قد قتله " (٣) فبالتنوين وقعت كلمة (أخي) مفعولاً به لاسم الفاعل،وأعربت بانقطاع التنوين مضافاً إِلَيْه . وهكذا فالحركة كان لها أثرها فى إبراز المعنى وإيضاحِهِ .

رابعا : الدلالة المعجمية أو الاجتماعية :

من المحدَثين من اعتبر هاتين الدلالتين بمعنىً واحدٍ(٤) ومنهم من

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ١٩٤ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ، ص ١٤ .
(٣) السابق نفسه ، ص ١٤ .
(٤) يرى هذا الدكتور/إبراهيم أنيس فى كتابه دلالة الألفاظ ، ص ٤٨ .

فرق بينهما،[1] وقبل أن نبدأ في ترجيح أحد القولين،لابدَّ لنا من أن نقف على مفهوم الدلالتين حتى نتبين إن كان هناك فرق بينهما أم أنهما بمعنى واحد .

فالدلالة المعجميّة : هي دلالة الكلمات المنصوص عليها في المعاجم العربيّة الَّتي تعارف عليها المجتمع . أي (دلالة الكلمة الأصلية) .

أما الدّلالة الاجتماعيّة فهي دلالة الموقف أو السياق الذي قيلت فيه الكلمة . ويحدّد هذه الدلالة العديدُ مِن القَرائِن . فَرُبَّما اتَّفق المعنى المعجميّ والمعنى الاجتماعيّ وربّما اخْتَلَف .

فالدّلالة الاجتماعية أعمُّ من الدَّلالة المعجميَّة لأنَّ المعنى الاجتماعيّ " تحدِّدُه الظروف والملابسات والمَاجرَيَات . وثبات المعنى المعجمىِّ لايمنع السِّياق من أن يوجهه وجهةً معينة،من تخصيصٍ أو تعميم،أو تحريفٍ أو تبديل ، أو تطوير،أو مجاز أو حقيقة ، لأنّ الدلالة الاجتماعية بطبيعتها ديناميكيه تنشأ من خلال تفاعل عوامل عدة من الملابسات أو الظروف الّتي اصطلح على تسميتها بالمقام أو السياق . "[2].

كما أن الكلمة المفردة لها دلالتها المعجمية فإذا ماوضعت في تركيب قد تَبْعُد عن دلالتها المعجمية،خاصّةً إذا كانت هذه الكلمةُ من بين كلماتِ التَّرادف أو المشترك،ففي هذه الحالة يكون الفيصل هو السياق .

وقد تَنَبَّه لُغَوِيُّو القرن الثالث لهذه الدّلالة . ومن أمثلتهم قول

---

(١) قال بالفرق بينهما الدكتور عبدالكريم مجاهد فى كتابه : الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ١٥٧ ومابعدها .

(٢) السابق نفسه ، ص ١٦٥ .

ابن قُتَيبةَ : " ويقولون لمن رفع صَوْته " قد رفع عَقِيرتَه " وأصله أنَّ رجلاً قُطِعَت احدى رجليه فرفعها، ووضعها على الأخرى، وصرخ بأعلى صوتِهِ ، فقيل لكل رافعٍ صَوْتَهُ : قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ، والعقيرة : السَّاقُ المَقْطُوعَة ." (١)

فالّذي حدَّد لنا الدلالة الاجتماعية هو السياق، أو المناسبة الّتي قيلت فيها هذه العبارة، أمّا المعنى المعجمى فلا يُحَدِّد لنا إلاَّ أصل الكلمة، وهو قطع السَّاق . فمادة (ع ق ر) يبعد مدلولها عن رفع الصوت " فرفع عقيرته لم تكتسب هذا المعنى بأصواتها المكونة لها أي:من دلالتها الصوتيَّةِ المطَّردة ، بل اكتسبته مِنَ السبب والسياق الَّذي صاحبها ." (٢)

وممّا سبق يتضح لنا الفرق بين الدلالتين، وتنبُّه القدماء إلى الموقف أو المقام الّذي تُقَال فيه مثل هذه الألفاظ ، وإن لم تنص المعاجم على بعض المقامات التى تُقَال فيها الألفاظ، فقد نَصَّ عليها علماء العربية القدماء .

وممّا تقدّم يتضح لنا تقسيم اللّغويين المحدَثين للدّلالة اللّغويّة ، ومدى تنبُّه علماء العربيَّة القدماء لِكُلِّ دلالة من هذه الدلالات، وإن لم يَنُصُّوا على هذا التَّقْسِيم ، فالأمثلة الَّتي أدلوا بها تُبَيِّنُ للمتأمّل ماورد عنهم.

ولاشكَّ أنّ لِلُّغويِّين المحدَثين عموماً فَضْلَ التَّوَسُّعِ فى هذا العلم وتقنينه، وبيان حدوده، حتَّى أصبح علماً بارزاً من علوم العربيَّة ، كما لاتُنْكر جهودهم في بيان وإيضاح بعض الظواهر اللغوية كالنَّبر والتنغيم وغيرها .

كذلك يجب الإشاده والبيان بما تركه علماء العربية القدماء من آراء لم يُتَنَبَّه لها إلا فى القرون المتأخّرة .

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٥٣ .

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ١٦٣ .

الفصل الثاني

تحرير معاني ألفاظ اللغة

ويشتمل على:

- مفهوم التحرير.
- منهج القدماء فيه.
- أنواعه.

تحديد معانى ألفاظ اللغة

من الأمور التى هدى إليها لغويو القرن الثالث فى سبيل الحفاظ على اللغة وصونها ، تحديدهم معانى ألفاظها حتى تصبح واضحة مفهومة .

وتحديد معانى الألفاظ إنما هو جزء من دراسة المعنى اللغوى عامة ، فالتفصيل فى معنى اللفظة ، والاستشهاد عليه ، أو التفريق بين كلمتين متشابهتين فى الصيغة ، دليل على دقة بيانهم ، وحرصهم على إظهار المعنى ، بحيث لايلتبس مع غيره .

والمقصود بالتحديد هنا : تحديد معنى اللفظ تحديدا دقيقا ، بحيث لايلتبس بغيره من معانى الألفاظ .

أنواع التحديد :

من خلال استقرائنا لما ورد فى مؤلفات لغويى القرن الثالث الهجرى ، وجدنا أن تحرير المعنى يتمثل فى اتجاهين رئيسين :

الأول : التحديد بالفرق وينصب على بيان الفرق بين معنيى كلمتين ملبسين ، أو بين تسميتين ملتبستين .

أنـــواع التحديـــــــد

أولا : التحديـد بالفــرق :

عُنِيَ علماء اللغة القدماء بظاهرة الفروق اللّغويّة عناية بالغة ، ولهذا أثرٌ بَيِّنٌ فيما كتبوا ، حيث أُلفت العديد من الرسائل في هــذه الظّاهرة، ككتاب (الفرق) لقطرب المتوفى (٢٠٦ هـ)(١) ، و (الفــرق) لأبي حاتم السجستاني المتوفى (٢٥٥ هـ) ، و (الفرق) لثابت بن أبــى ثابت (٢) أحد علماء القرن الثالث(*)، و (خلق الإنسان)(٣) له .

كما أنّ من بين اللغويين من أفرد جزءً من مؤلفه خصّه لهذه الفروق ككتاب (الغريب المصنف) لأبى عُبَيْدٍ القاسم بن سلّام المتوفّى (٢٢٤هـ)(٤)، وإصلاح المنطق لابن السِّكِّيت (٢٤٤ هـ) ، وأدب الكاتب) لابن قتيبةَ المتوفى (٢٧٦ هـ)(٥) و (الفصيح) لثعلب المتوفى (٢٩١ هـ)(٦) .

---

(١) حققه الدكتور / خليل إبراهيم العطيه ، و راجعه /رمضان عبدالتواب (القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م)
وقد نشر هذا الكتاب باسم : (ماخالف فيه الإنسان البهيمة .

(٢) حققهما د/حاتم صالح الضامن ، وجمعهما فى كتاب واحد (لبنـان ، بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

(*) لم تحدد المصادر والمراجع تاريخ وفاة هذا العالم . وإنّمـا اكتفوا بقولهم : أحد علماء القرن الثالث .

(٣) نشر بتحقيق : عبدالستار أحمد فراج (الكويت ، وزارة الإرشـاد والأنباء ، ١٩٦٥م) .

(٤) لم ينشر حتى الآن .

(٥) نشر بتحقيق محمد الدالي . وقد ضمنه ابن قتيبةَ كثيرا من أبـواب الفروق مُبْتَدِئاً بباب فروق في خلق الإنسان .

(٦) نشر بتحقيق : د/عاطف مدكور (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ م) ص ٢٩٦ فما بعدها .

الآخر : التحرير بالتوضيح : وأعني به ذكر عدة تفصيلات في معنى الكلمة المُرادِ تحريرها ، حتى يتّضح معناها ، ويَبْعُد معنى اللفظة عن اللّبْس .

وسأتناول فيما يلي كلاً من هذين الاتجاهين على حدة ، مبيناً أقسام التحرير بالفرق ، ومفهوم التحرير بالتوضيح ، مدعماً ذلك بما ورد في مصنّفاتهم من أمثلة تطبيقية توضّح هذه الظّاهرة .

أقســـــامه :

ينقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام هى :

(١) بيان الفرق في المعنى بين كلمتين من جذر واحد مختلفتين فى حركة الصيغة ، وملتبستين فى المعنى ٠

(٢) بيان الفروق بين معانى الألفاظ المختلفة لفظا والمتقاربة معنى إلى درجة الإلباس ٠

(٣) بيان الفرق في الأسماء، التى وضعت لمسمّيات متناظرة موجودة فى أنواع الأحياء ٠

ومن الإجمال إلى التفصيل :

(١) بيان الفرق في المعنى بين كلمتين من جذر واحد ، مختلفتين في حركة الصيغة وملتبستين في المعنى :

تحدّث عن هذا القسم جُلّ علماء هذا القرن ، وقد أَفرد بعضهم أبواباً في مؤلّفاته ، ضَمَّنَها عدداً من أمثلة هذا النّوع ،[١] ومنهم من عرض لهذه الألفاظ في ثنايا مؤلّفاته [٢].

---

(١) ينظر إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، فقد عرض لعدد من الكلمات المختلفة المعنى بسبب اختلاف حركة الصيغة ، وتكاد تكون غالبية أمثلة هذا الكتاب من هذا النوع ٠ وينظر : أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، ص ٣٢٦ - ٣٣٢ ٠ حيث وضع هذه الألفاظ تحت باب " اختلاف الأبنية فى الحرف الواحد لاختلاف المعاني " ٠

(٢) كالفراء ، والأخفش ، وثعلب ، وبقية علماء هذا القرن ، وسأعرض لبعض ماورد عنهم ٠

ويتفرع هذا القسم إلى فرعين :

(آ) ماكان اختلاف المعنى فيه بسبب اختلاف حركة فاء الكلمة :

وأمثلة هذا القسم كثيرةٌ أذكر منها على سبيل الإجمال الوَقُود والوُقُودَ ، والجُهْد والجَهْد ، والحَمْل والحِمْل ، والوَقْر والوِقْر ، والدُّوْلَة والدَّوْلَة ، وعَدْل وعِدْل ، والخَبّ والخِبّ ، والقَرْح والقُرْح .

والأمثلة السابقة كان الاختلاف فيها بسبب اختلاف حركة فاء الكلمة .

ففي المثال الأول يقول الأخفش ـ عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودَ ﴾[1] : " وأما الوَقُود فالحطب ، والوُقُود الفعل ، وهو الاتّقادُ . "[2].

فالكلمتان من جذر واحد (و ق د) إلا أنَّ اختلاف حركة فاء الكلمة ، أدَّى إلى اختلاف المعنى . وقد حَرَّر العلماء هذا الفرق وأجمعوا على ذلك [3].

كما فَرَّق اللغويون بين معنى كلمتي (الجُهْد والجَهْد) فيقول ابن السِّكِّيت نقلاً عن الفرّاء : " يقال : بلغت الجَهْد أَي: الغايةَ . وتقول اجهد جَهْدَك في هذا الأمر ، أَي : أبلغ غايتك . وأَمّا الجُهْدُ فالطاقة . قال اللّه جل وعز : ﴿ والذين لايَجِدون إلّا جُهْدَهم ﴾[4] أي : طاقتهم..."[5]

(١) الآية رقم (٥) من سورة البروج .

(٢) معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق : فائز فارس (الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م) ، وينظر : إصلاح المنطق ، ص ٣٣٢ .

(٣) ينظر : إصلاح المنطق ، ص ٣٣٢ ، ومجاز القرآن ، ٣٤/١ ، الكامل ـ للمبرد ـ تحقيق : محمد الدالي (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ٩٥٧/٢ .

(٤) الآية رقم (٧٩) من سورة التوبه .

(٥) إصلاح المنطق ، ص ١٢٩ .

أما أبوعبيد فيرى أن (الجَهْد) بضم فاء الكلمة أو بفتحها سواء ، ومجازه طاقتهم [١].

بَيْد أَنَّ ابن قتيبة [٢] يرى أَنَّ (الجَهْد) بفتح فاء الكلمة بمعنى المشَقّة " تقول : فعلت ذاك بجَهْدٍ " أَمَّا (الجُهْد) بضم الفاء فيتّفق مع غيره ، من أنّها بمعنى الطّاقة .

وقد اتّفق لُغويّو هذا القرن فى تحديد معنى كلمتى (الحَمْل والحِمْل) [٣] فيقول أحدهم : " الحَمْل ماكان فى بطن أو على رأس شجرة ، وجمعه أحمال . والحِمْل : ماحمل على ظهر أو رأس . [٤]

فحدد العلماء معنى الكلمتين المختلفتين بسبب اختلاف حركة فاء الكلمة مؤيدين مايذكرونه بالشواهد العربية الفصيحة .

كذلك حدد غالبية علماء هذا القرن معنى (الدُّولَة والدَّوْلَة) فيقول الأخفش ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كَيْ لاَيَكُونَ دُولَةً ﴾ [٥] : " والدولة فى هذا المعنى ، أن يكون ذلك المال مَرّةً

---

(١) مجاز القرآن ، لأبى عبيده ، علق عليه : محمد فؤاد سزكين(القاهرة ، مكتبة الخانجى ،د/ت) ٢٦٤/١ .

(٢) ينظر : أدب الكاتب ، ص٣٠٨

(٣) ينظر على سبيل المثال : معانى القرآن ، للأخفش ٣١٣/٢،وأدب الكاتب ص ٣٠٩ ،والفصيح ، لثعلب ،ص ٢٩٦ .

(٤) إصلاح المنطق ، ص ٣ .

(٥) الآية رقم (٧) من سورة الحشر .

لهذا ومرّةً لهذا . وتقول : كانت لنا عليهم الدَّوْلَة يزعمون أنَّ " الدَّوْلَة " أيضاً فى المال لغةٌ للعرب ، ولاتكاد تعرف الدَّوْلَةُ فى المال . " (١)

وقد عَرَض أكثر علماء هذا القرن للَّفْظَةِ السَّابقة . فمنهم من قال إنَّها بمعنىً واحدٍ (٢) ، ومنهم من فَرَّقَ بين معنيى الكلمتين (٣) يتضح هذا من نَصِّ ابن السِّكيت الذى يقول فيه : " قال أبويوسف : أخبرني محمد بن سلام الجمحى قال : سألت يونس عن قول الله عز وجل ﴿ كَيْ لَايَكُونَ دُولَةً ﴾ قال فقال أبوعمرو بن العلاء : الدُّولة في المال ، والدَّولَة فى الحرب . قال : عيسى بن عمر : كلتاهما تكون فى الحرب والمال سواء . قال : وقال : أمَّا أنا فوالله ما أدرى مابينهما "(٤).

فظاهر من النص أن سؤال القدماء بعضهم بعضا عن معنى هذه الكلمة القرآنية يؤكِّد عنايتهم بتحديد معناها الدقيق .

كما يبدو لنا أن أبا عمرو بن العلاء وهو من هو يفرق بين معنى الكلمتين .

---

(١) معانى القرآن ٤٩٧/٢ .

(٢) ينظر مجاز القرآن ٢٥٦/٢ .

(٣) ينظر معانى القرآن للفراء ١٤٥/٣ . ومعانى القرآن للأخفش ، ٤٩٧/٢ .

(٤) اصلاح المنطق ، ص ١١٥ .

كما بَيَّن العلماء الفرق فى معنى كلمتى (الوَقْر والوِقْر) فيقول أبوعبيدة ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ... وفى آذانِهم وَقْراً ﴾(١) " مفتوح ، ومجازه : الثِّقَلُ والصَّمَمُ ، وإن كانوا يسمعون ، ولكنهم صُمٌّ عن الحَقِّ والخير والهُدَى ، والوِقْر هو الحِمل إذا كسرته "(٢)

وقد قال بقول أبى عبيدة جُلُّ علماء هذا القرن حيث يجمعون على أن (الوَقر) بفتح الفاء للثقل فى السمع على حين أنَّ (الوِقر) بكسر فاء الكلمة يدل على الثقل الذى يحمل على رأسٍ أو ظهر .

كذلك الشأن بالنسبة لكلمتى (عَدْل و عِدْل) فقد بين لغويو هذا القرن أثر اختلاف حركة فاء الكلمة فى إبراز المعنى . فأورد الفَرَّاء ـ عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ أو عَدْلُ ذَلِك صِياماً ﴾(٣) ـ قوله : " والعَدْل : ماعادل الشَّىءَ من غَيْر جِنْسِهِ ، والعِدْل : المِثْل . وذلك أن تقول : عندى عدل غُلامِك ، وعدل شاتِكَ ، إذا كان غلاماً يعدل غلاماً أو شاة تعدل شاة ... "(٤). فاذا أردت قيمته من غير جنسه : نصبت العين ، وربما قال بعض العرب : عدله ، وكأنه منهم غلط ، لتقارب معنى العدل من العدل ، وقد اجتمعوا على واحد الأعدال أنه " أعدل " .

بينما ابن قتيبة يرى أن (العَدْل) بفتح العين : المثل ولم يحدد هذا المثل من جنسه أو غيره ، و (العِدْل) بكسر العين الزنة (٥).

---

(١) الآية رقم ٢٥) من سورة الأنعام .
(٢) مجاز القرآن ، ١٨٩/١ ، وينظر : اصلاح المنطق ، ص ٣ ـ ٤ ، وفصيح ثعلب ، ص ٢٩٧ وغيرها .
(٣) الآية رقم (٩٥) من سورة المائدة .
(٤) معانى القرآن ٣٢٠/١ .
(٥) أدب الكاتب ، ص ٣٠٩ .
ولمزيد من الأمثلة ينظر الفرق بين كلمتي (القَرْح ، والقُرْح)معانى القرآن الفراء ٢٤٣/١ ، واصلاح المنطق ، ٩٠ ، وأدب الكاتب ، ص ٣١١ ، و(الخَبّ ، والخِبّ) معانى القرآن للفراء ٢٣٨/١ وغيرها ممالاسبيل الى حصره .

(ب) ماكان اختلاف المعنى فيه بسبب اختلاف حركة عين الكلمة :

والأمثلة على هذا النوع جدّ كثيرة، من بينها خَلْفٌ وخَلَف ، والرَّبْض والرَّبَض ، والمَيْل والمَيَل ، والعَرْض والعَرَض .

ففي المثال الأوّل حرَّر القدماء معنى الكلمتين حتى انجلى المعنى فيهما، فذكر الفرّاء في بيان قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ ﴾[1] و ﴿ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾[2] حيث قال في بيان كلمة (خَلْف) : إنها بمعنى " قرن بجزم اللام . والخَلَفُ : ما استخلفته ، تقول : أعطاك الله خَلَفاً مِمّا ذهب لك ، وأنت خَلَف سَوْءٍ ، سمعته من العرب . "[3] .

وقد عرض لهذه الكلمة معظم القدماء فأجمعوا على أن (خَلْفاً) بتسكين اللام بمعنى القرن . غير أنهم اختلفوا في تحديد مدلول (الخَلْف ، والخَلَف) . فمنهم من قال بأن الأول يستعمل في الشر والثاني في الخير وهم الأكثرية[4] . إلّا أنّ أبا عبيدة يرى أنّ المعنى فيهما واحد ، سواء بتسكين الثاني أو بالتحريك . وقد أورد رأى قوم يجعلون معنى (الخَلْف) بالتسكين للمشركين ، وإذا حرّكوا عين الكلمة جعلوه خلفاً صالحاً[5].

(١) سورة الأعراف ، آية (١٦٩) .
(٢) الآية رقم (٥٩) من سورة مريم .
(٣) معاني القرآن ٣٩٩/١ ، ١٧٠/٢ .
(٤) ينظر معاني القرآن ـ للأخفش ٣١٣/١ ، والفصيح ، ص ٣٠٤ ، وإصلاح المنطق ، ص ١٣ ، و ص ٦٦ .
(٥) مجاز القرآن ٢٣٢/١ .

كما يرى الأخفش وثعلب أَنَّ " خَلَف سَوْءٍ وخَلَف صدق سواء "(١) أمَّا المبرّد فيرى أَنَّ (خَلْف) قلما تستعمل إلَّا في الشَّرّ (٢).

فالخَلْف والخَلَفُ من جذرٍ واحد، إلّا أنّه باختلاف حركة العين اختلف المدلول تبعاً لاختلاف هذه الحركة . فوضح القدماء المعنى الدقيق لكل كلمة على حده دفعاً لتداخل معنى الكلمتين .

كذلك فَرَّق علماء هذا القرن بين معنى (الرَّبْض ، والرَّبَض) ، فقال ابن السكيت : " والرَّبْض : مصدر رَبَض الدَّابَّةَ يربض . والرَّبَضُ : كلُّ ما أويت إليه من امْرَأَةٍ أو أُخْتٍ أَوْ قرابةٍ . قال الشّاعر :

جَاءَ الشِّتاء وَلَمَّا أَتّخذْ رَبَضاً
ياويح كَفّيَّ من حَفْر القَرَامِيصِ(٣)

والرَّبَضُ : رَبَض البَطْن ، وهو ماتحويّ من مصارينه . "(٤)

بينما يرى ابنُ قتيبةَ أَنَّ (ربض الشيء) وسطه ، أمّا (الربض) فبمعنى النواحي ومنه قيل " ربض المدينة " أي نواحيها (٥).

فالتحرير هنا من وجهين :

الأول : بين (الرَّبْض ، والرَّبَض) حيث إنَّ الأول هو الحدث نفسه . أمَّا الثانى فبمعنى المكان . يدلُّنا على ذلك قول الشّاعر السّابق الّذي يُشير فيه إلى أَنَّ الشتاء أقبل ولم يتخذ مكاناً يأوى اليه .

---

(١) معاني القرآن ٣١٣/١ ، وينظر : رأى ثعلب فى الفصيح ، ص ٣٠٤ .
(٢) ينظر الكامل ـ للمبرد ـ ١٣٩٤/٣ ، ١٣٩٥ هـ .
(٣) والقراميص جمع قرماص ، وهو حفرة واسعة الأسفل ضيقة الفتحة ،يُسْتَدْفَأُ بها فى الشتاء .
(٤) إصلاح المنطق ،ص ٧١ ، ٧٢ .
(٥) أدب الكاتب ، ص ٣٠٨ .

الثاني : يتمثل فيما قاله ابن قتيبة من فرق بين (الرَّبْض ، والرَّبَض) حيث إنَّ الأول محدّد ببقعة معيّنة وهي الوسط ، على حين أن (الرَّبَض) عام .

ومن بين ماتحدّث عنه القدماء مِمَّا يندرج تحت هذا النوع، توضيح الفرق بين معنى كلمتي : (المَيْل ، والمَيَل) بسكون الياء في الأولى وفتحها في الثَّانية . فالأولى تدلُّ على فِعْلِ الشَّخْصِ نفسه ، يُقالُ : " مال عن الحَقِّ ميلاً "، غير أَنَّ الثانية تدل على خلقة في الشّخص . كقولك : (في عنقه مَيَلٌ) [(١)].

كما عرضوا لبيان الفَرْق بين (العَرْض وَ العَرَض) باختلاف حركة عين الكلمة فيقول ابن السّكّيت : " والعَرْض : خلاف الطول . والعَرْض : مصدر عرضت العود على الإناء أَعْرُضُه عَرْضاً ، وعَرَضْت السيف على فخذي أَعْرُضُه عَرْضاً ، وأَعْرِضُه أَكْثَر . والعَرَضُ : الشَّيْءُ يعرض لِلإنسان من مرضٍ أو بليّةٍ .... "[(٢)]

وما من شكٍّ في أَنَّ بيان مثل هذه الفروق الدقيقة بين مدلولات الألفاظ يُعَدُّ من الأعمال الدلاليّة في الدرس اللغويّ العربي[(٣)] .

(٢) بيان الفروق بين معاني الألفاظ المختلفة لفظاً ، والمتقاربة معنىً إلى درجة الإلباس .

ومن أمثلة هذا النوع ـ على الجملة ـ مافرقوا فيه بين : الظِّل والفيء ، والحمد والشكر ، والجبهة والجبين ، والحشمة والاستحياء .

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٣٠٨ .

(٢) إصلاح المنطق ، ص ٧٢ .

(٣) ولمزيد من الأمثلة ينظر : إصلاح المنطق ، وأدب الكاتب فقد أفردا العديد من الأبواب التي ضمنوها هذه الفروق .

ففى المثال الأول وَضَّحَ بعض علماء هذا القرن الفرق بين معنى الكلمتين . فقال أحدهم : " ويقال : قعدنا في الظِّلِّ ، وذلك بالغداة إلى الزَّوال ، ومابعد الزَّوال فهو الفيء ، والجمع أَفْيَاءٌ وفُيُوءٌ .
قال أَبُو ذُؤَيب :

لَعمري لأنت البيت أُكْرِمُ أَهْلَه
وأَقْعُدُ في أَفْيَائِه بالأَصَائِلِ

وقال حُمَيْدٌ :

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تستطيعُه
ولا الفىء من بَرْدِ العَشِيِّ تَذوق

والظِّلُّ : مانسخته الشَّمْسُ . والفَيءُ : مانسخ الشَّمْسَ . "(١) .

فالمقصود هنا بالنسخ الإزالةُ بعد الظُّهور (ظهور الشمس) فإذا ماظهرت الشمس أزالت بضوئها الظل . والفيء ناسخٌ للشّمس أيضاً فإذا مالَتِ الشَّمس إلى الغُروبِ غَلَب الفيء على ماتبقّى من ضَوْء الشَّمْس فنسخه أي : أزاله .

كما عرض للّفظتين السّابقتين ابنُ قتيبةَ ، فكان أكثر وضوحاً مِمَّن سبقه .. فيقول : " ومن ذلك " الظِّلّ والفيء " يذهب الناس إلى أَنَّهما شيء واحد ، وليس كذلك ، لأَنَّ الظِّلَّ يكون غداةً وعشيَّةً ، ومن أوَّلِ النهار إلى آخره ، ومعنى الظل السِّتْر ، ومنه قول الناس " أَنَا في ظِلِّك " أَي : في ذَرَاك وفي سترك ، ومنه " ظِلُّ الجَنّة ، وظِلّ شَجَرها " إِنَّما هو سترها ونواحيها ، وظلُّ اللّيْلِ : سَوَادُهُ ؛ لأَنَّه يستر كُلَّ شَيءٍ ، قال ذُو الرُّمَّة :

---

(١) إِصلاح المنطق ، ص ٣٢٠ .

قَدْ أَعْسِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ
في ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ

أي : في سِتْرِ ليل أسود ، فكأنَّ معنى ظلّ الشمس ماسترته الشخوص من مَسْقَطِها ، والفيءُ لايكون إلاَّ بعد الزوال ، لايقال لِمَا كان قبل الزوال فيءٌ ، وإنَّما سُمِّي فيئاً ، لأنَّه ظلٌّ فاءَ من جانب إلى جانب ، أي : رجع (من)[1] جانب المغرب إلى جانب المشرق . والفَيْءُ هو الرجوع ، قال اللّٰه عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[2] أي : ترجع إلى أمر اللّٰه . وقال امْرُؤُ القيس :

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ التي عِنْدَ ضَارِجٍ
يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِ

أي : يرجع عليها الظّلّ من جانب إلى جانب . فهذا يدلّك على معنى الفَيء ... "[3].

فالظّلّ هو الظّلام الّذي ينعكس وراء قائمة الشّيء ، هذا هو مفهومه ، أمّا الفيء : فهو رجوع الظّلّ آخرَ النّهار . ففي أوّل النّهار وآخره يسمّى ظلاً ، وأما تسميته بالفيء فباعتبار رجوعه في آخر النهار ، بدليل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ، بمعنى ترجع .

أمّا قول ذي الرُّمَّةِ ، فبيانه : أَنَّ الشاعر في البيت يصف نفسه بالشجاعة والإقدام ، لكونه يسير في ليلٍ حالك السّواد ، مَلِيءٍ بالمخاطر . فالعسف هو السّير على غَيْرِ طريقٍ ، فاستشهد به المؤلف على أَنَّ الظّلّ بمعنى

---

(١) أثبت المحقق (عن) وذكر في الحاشية " من " فيستقيم الكلام بما أثبته .

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الحجرات .

(٣) أدب الكاتب ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

السّوادِ والسّتْرِ ، وَفَصَّل في معنى الكلمتين بما يكفي ، لإيضاح معنى كلّ كلمة على حِدةٍ ، حتى انتفى اللّبْس بينهما ، مؤيّداً قوله بالشواهد القرآنيّة والشّعريْة .

كذلك حَرَّرَ ابن قُتَيبة معنى كلمتيِ : (الحمد ، والشكر) فقال :
" لايكاد الناس يفرقون بينهما ، فالحمد : الثّناء على الرَّجُل بما فيه من حَسنٍ ، تقول : " حَمِدْت الرجل " إذا أثنيت عليه بكَرَم ، أَو حَسَب ،أَو شجاعة ، وأشباه ذلك ، والشكر له : الثَّناء عليه بمعروفٍ أَوْلاكَهُ . وقد يوضع الحمد موضع الشُّكْر ، فيقال : " حَمِدْتُهُ على معروفِهِ عندى " كما يقال : " شكرت له " ، ولا يوضع الشُّكْر موضع الحمد فيقال : " شكرت له على شجاعته " "(١)

فبَيَّنَ ابن قتيبةَ الفرق الدقيق بين مدلول الكلمتين من خلال وضعها فى السياق والحكم على معناها من خلاله .

ومن ذلك قول ابن قتيبة في كلمتيِ (الجبهة ـ والجبين) " لايكاد الناس يفرقون بينهما ، فالجبهة : مَسْجِد الرجل الذى يصيبه نَدَب السجود ، والجبينان يكتنفانها ، من كل جانب جبين . "(٢) فالمسجد موضع فى الجبين ، أو بمعنى آخر بين الجبينين . فمن أجل تقارب الموضع التبست دلالة الكلمتين .

ومن ذلك : " الحِشْمَة " ، يضعها النّاس موضع الاستحياء ، قال الأصمعي : وليس كذلك ، إنّما هي بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب : " إنَّ ذلك لَمِمَّا يُحْشِمُ بني فلان " أي : يغضبهم . "(٣)

(١) أدب الكاتب ، ص ٣٦ .
(٢) السابق نفسه ، ص ٣٦ .
(٣) السابق نفسه ، ص ٢٣ .

إلَّا أَنَّ ابن السيد البطليوسيّ يرى أَنَّ معنى الحشمة هو الاستحياء • أو الانقباض ، وقد أورد العديد من الشواهد الشعريّة الّتي تدلّ على أَنَّ هذه اللَّفظة بمعنى الحياء، ومنها قول الشاعر :(١)

وأرى مطاعم لو أشاء حويتُها
فَيَصُدُّني عنها كثيرُ تحشُّمي

وقول الكميت :

إنّي متى لم يكُن عطاؤُهما
عندي بما قد فعلتُ أَحْتَشِمُ

وبعد إيراده الشَّواهد المتقدِّمة وغيرها مِمَّا أورده ، ذكر بأَنَّه من الممكن تأويلُها على ماقاله الأصمعيُّ من أَنَّ الحشمةَ بمعنى الغضب ، وقال بهذا الرأى ابن السّكّيت أيضاً (٢).

وأرى أَنَّ تأويلَها بهذا المعنى فيه تَكَلُّفٌ ، حيث إنَّ الحشمة بمعنى الحياء مازال مستخدماً حتّى عصرنا الحاضر • قال ابن الأعرابي : حشمته أخجلته وأحشمته أغضبته (٣).

---

(١) ينظر : الاقتضاب فى شرح أدب الكُتَّاب ـ للبطليوسيّ ـ تحقيق : مصطفى السقا وزميله ـ (القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٨١ م) ص ١٢ •

(٢) الألفاظ ـ لابن السكيت • هذَّبه التبريزي ـ ضبطه وحقّقه : الأب لويس شيخو ـ (بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٥م) ص ٨٢ ، وينظر : النوادر ـ لأبي زيد ـ تحقيق : محمد عبدالقادر أحمد (بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م ـ ١٤٠١ هـ) ص ٥٨٧ •

(٣) الصحاح مادة (حشم) •

(٣) بيان الفرق فى الأسماء التي وُضعت لمسميات متناظرة موجودة في أنواع الأحياء :

وأمثلة هذا النوع عديدة ـ فقد أُلِّفَ كثيرٌ من المؤلّفات في هذا النوع ـ كما سبق أن ذكرتها في بداية هذا الفصل ـ من بينها قول قطرب فى (باب الأنف) : " والأنف من الإنسان : ماشخص على الوجه، وهو الخَطْم والخُرْطوم أيضاً . وقال بعضهم : الأنف هو العِرْنين ، والمَرْسِن : الأنف .
وقال العجاج :

وحاجباً ومَرْسِناً مُسَرَّجا

ويقال له من ذي الحافر : النُخَرَةُ ، فيما زعم أبوخيرة العدويّ : أنّ النُخرات : أنف الفرس والحمار .... ويقال له من ذي الخُفِّ : الخرطوم ، وهو ماقُدَّام عينها إلى مشافره ، وهو الخَطْم أيضاً . ومن ذوات الأظلاف : يقال لموضع النخرة من الفرس ومن البقرة فِنْطيسَة .... ويقال له من ذي البَراثِن : هَرْثَمةُ الكلب ، والوترة التي بين مِنْخَرَيْه ، والهَرْثمة : سويداء عند أنفِه كأنّها جُعَل .... "(١).

نلحظ من النّصّ السابق أنّ قطرباً ناظر بين التسميات المتعدِّدة لهذا العضو في كلٍّ من الإنسان والحيوان بأنواعِه المذكورة .

ومن هذا النوع ماأورده ثعلب في فرق التسمية في الشّفة حيث يقول: " هي الشفة من الإنسان ، ومن ذوات الخُفِّ : المِشْفَر ، ومن ذوات الحافر : الجَحْفلة ، ومن ذوات الظلف : المِقَمَّة والمِرَقَّة ، ومن الخنزير : الفِنْطِيسَة ، ومن السباع : الخَطْم والخُرْطوم ، ومن ذوي الجناح غير الصائد : المنقار ،

---

(١) الفرق ، قطرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

ومن الصائد : المِنْسَر . "(١)

فهنا ترى ثعلباً سمَّى الشفة فنطيسة ، ولعل ذلك ، لأنَّ الشفة متصلة بالأنف فهي كالجزء منه .

وفي باب فروق في الأطفال ، أورد ابن قتيبة قوله : " ولدُ كُلِّ سَبُعٍ " جَرْوٌ " ، وولد كل ذي ريش " فَرْخٌ " وولد كل وحْشِيَّة " طِفْلٌ " ، هذا جملة هذا الباب . "(٢)

وقد فَصَّل ابن قتيبة والسِّجستانيُّ وغيرهما هذه التسميات ، فذكر السِّجستانِيُّ أَنَّ ولد الفرس يقال له : (المُهْر) ، ومن الحمار (الجحش)، ومن الشاء :(السَّخْلةُ) ، ومن النّاقة (الحُوار) ، ومن البقرة (العجل)، ومن الضبع (الفُرْعُل)، ومن النَّعام (الرّأْل) إلى آخر ماذكره (٣).

ومن الأمثلة أيضاً قول قطرب في باب الظفر : " ... يقال من الإِنسان الظُّفْر ، والظِّفْر ، والأُظْفُور . ويقال له من ذي الحافر : الحافِر . ومن ذي الخُفّ : المَنْسِمُ ، وهو طرف الخف ..... ويقال من ذي الأظلاف : الظِّلْف ، وقد قالوا لأظلاف البقر الأزلام ...... ويقال له من ذي البُرْثن : مِخْلَبٌ ...... ويقال لمثله من ذى جناح مِخْلَب الطائر ..... "(٤)

وفي فروق تسمية الحمل قال ابن قتيبه : " كل ذات حافر " نتوج " و " عقوق " والناقة " خَلِفة " والجميع " مَخَاض " وكل سَبُعةٍ " مُلْمِع "،

---

(١) الفصيح ، ثعلب ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، وانظر : الفرق ، لقطرب ، ص ٤٦ ، وأدب الكاتب ، ص ١٥٣ ، وغيرها .

(٢) أدب الكاتب ، ص ١٥٤ .

(٣) الفرق ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، وأدب الكاتب ، ص ١٥٤ ، والفرق - لثابت بن أبي ثابت ، ص ٦٩ ومابعدها - وقد فصل بما يكفي .

(٤) الفرق ، ص ٤٩ - ٥٠ ، وانظر الفصيح ، ص ٣٢٢ .

وذلك إذا أشرفت ضروعها للحمل واسوّدت حَلَماتُها ، وذوات الحافر أيضاً كذلك ، وكل مُقْرِبٍ من الحوامل فهو " مُجِحٌّ " .... "(١) .

ومما ورد أيضاً قول قطربٍ في باب الصدر : " وقالوا فى مثل الصدر من الإنسان ، ومن ذي الحافر : اللّبَان ، وهو بَلْدة نَحْرِهِ ، والكَلْكل أيضاً صدره . ويقال من ذي الخُفّ : بَلْدة البعير : وكِرْكِرتَه ، وصُدْرتُه ، وزَوْره : موضع الكِرْكِرَة ، ...... ويقال من ذي الظّلف : القَصَص ، يقال : قَصَصُ الشاة وبَوْكها ، ولم نسمعه من ذي البرثن . ويقال له من الطائر : حَوْصلة ، وحَوْصَلّة ، وحوصلاء . قال أبو النّجم :

هَادٍ ولَوْ جَارَ بحَوْصَلائِه "(٢)

ومِمّا يندرج تحت هذا النوع قول ابن قتيبة فى التفرقة بين أسماء الجماعات : " يقال لجماعة الظباء والبقر " إجْلٌ " وجمعه آجال ، و " رَبْرَبٌ " و " الصُّوَارُ " جماعة البقر خاصة ، ولجماعة الحمير " عَانَةٌ " ولجماعة النعام " خِيطٌ " و " خَيْطَى " ولجماعة القَطَا والظباء والنساء " سِرْبٌ " ولجماعة الجراد " رِجْلٌ " ..... ، ولجماعة النحل " دَبْرٌ " و " ثَوْلٌ " و " خَشْرَمٌ " ولا واحدَ لشىء من هذا . "(٣).

مِمّا سبق يتضح لنا مدى تنبّه لغويّي هذا القرن للفروق اللغوية بين المسّميات المتناظرة ، كما بَيّن لنا مدى دقّتهم في التفريق بين الكلمات المختلفة في الصيغة أو في المادة ، مع حرصهم على إعطاء كل

---

(١) أدب الكاتب ، ص ١٥٨ .

(٢) الفرق ، ص ٥١ — ٥٢ .

(٣) أدب الكاتب ، ص١٧٣ — ١٧٤ ، وينظر : الفرق — لقطرب ، ص ١٤٤ وما بعدها ولوضوح ما أورده ابن قتيبة أخذت عنه .

كلمة معناها الخاص بها ، بدقة متناهية، حتى لايقع التبادل الدلالىّ بين معاني هذه المفردات ، وخاصة المتشابهة منها ٠

ولاشكّ أنّ هذا العمل أخرج كثيراً عن حد ظاهرة الترادف ، أو غيره من الظواهر اللغوية ٠

ثانياً : تحديد التوضيح :

ونعني بهذا النوع من التحرير - كما سبق - ، ذكر عدة تفاصيل فى معنى الكلمة حتى تتضح الدلالة ، وتَبْعُد عن اللبس ، مؤيّدين هذا التحرير بالعديد من الشواهد القرآنيّة والأحاديث النبويّة ، والشّعر العربيّ ٠

وممّا بَيّنَه العلماء واستطردوا في إيضاحه ، لفظة (الصَّفَر)

فيقول ثابت بن أبي ثابت - فى باب " أدواء البطن وفساده " - : " وفيه الصَّفَرُ ، قال أبوعُبَيْدة : سمعت يونس يسأل رؤبة بن العجّاج عن الصَّفَر فقال : هي حَيَّةٌ تكون في البطن تصيب الماشية والنّاس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب ٠ وإنّما تشتد على الإنسان وتؤذيه إذا كان جائعاً ، قال أعشى باهله :

لايَتَأَرّى لِمَا في القِدْر يَرْقُبُه
ولايعضّ على شُرْسُوفِه الصَّفَر

ومنه حديث النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : " لاعَدْوَى ولا هَامَة ولاصَفَرَ "(١).

من النص السابق نلحظ التفصيل فى معنى هذه الكلمة ، فلم يجب بقوله هي : حيَّة ، بل شرع يُفَصِّل في مدلولها ، مبيناً خطورة هذه الحيّة ، وانتشارها ، وعدواها ، حتّى انجلى معنى هذه اللّفظة ٠

---

(١) خلق الإنسان ، ص ٢٧٦ ٠

كما أورد أبوعُبَيْدة ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾(١) ـ قوله : " وَهُو الَّذِي يدخل البيت من الكُوَّةِ مثل الغبار إذا طلعت فيه الشَّمْسُ وليس له مَسٌّ ولا يُرَى فى الظِّلِّ . "(٢).

فلم يكتف أبوعبيدة بقول : إِنَّ الهباء هو ماشابه الغبار ، بل فَصَّل في مدلول هذه اللَّفْظَةِ حتى اتَّضح ، وأصبح مفهوماً .

كما ذكر الفَرّاء ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأَن تَسْتَقْسِموا ﴾(٣) ـ قوله : " ... والاستقسام : أَنَّ سهاماً كانت تكون في الكعبة ، في بعضها : أمرني ربي ، (وفي موضعها : نهاني ربِّي)(٤) فكان أحدهم إذا أراد سفراً أخرج سهمين فأجالَهُمَا ، فإنْ خرج الَّذي فيه (أمرني ربِّي) خرج . وإنْ خرج الَّذي فيه (نهاني ربِّي) قعد وأمسك عن الخروج ."(٥)

فَوَضَّح الفرّاء معنى الكلمة والمقام الّذي قيلت فيه ووصف ذلك وصفاً دقيقاً . ومنها أيضاً قول ابن السكيت " .... وقد نَقِرَتِ الشاة تَنْقَرُ نَقَراً ، إذا أصابتها النُّقَرَة وهو داء يأخذ الغنم في بطون أفخاذها وفي جنوبها ، فإذا أخذتها فى أفخاذها ظَلَعَتْ ، وإذا أخذتها فى جُنُوبها انْتَفَخَت بطونها وحَظَلَتِ المشي ، أيْ:كَفَّتْ بعض مشيها . قال المَرّار العَدَوِيُّ :

وَحَشَوْتُ الغَيْظَ في أَضلاعِهِ
فهو يمشي حَظَلاناً كالنَّقِرِ (٦)

---

(١) الآية رقم (٣٣) من سورة الفرقان .
(٢) مجاز القرآن ، ٧٤/٢ .
(٣) الآية رقم (٣) من سورة المائدة .
(٤) المناسب هنا (فى بعضها) وقد نَبَّه إلى هذا محقق الكتاب ـ الحاشية ـ ٣٠١/١ .
(٥) معاني القرآن ٣٠١/١ .
(٦) إصلاح المنطق ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

فابن السّكّيت في هذا النص يصف هذا المرض وكأنه طبيب ، إذْ بَيَّن مدلول هذه اللفظة مع الشرح والتفصيل ، حتى الألفاظ التي يستخدمها إذا أحس أنَّها غامضة ، يُلِحُّ في تبيانِها ككلمة " حظلت " .

كذلك ذكر في موطنٍ آخَرَ قوله : " والوَجِيَّةُ : التَّمْرُ يُدَقُّ حتّى يَخْرُجَ نواه ، ثم يُبَلُّ بلبن أو سَمْنٍ حتّى يَتَّدِن أى: يبتّل ويلزم بَعضُه بعضاً فيؤكل ."(١).

وذكر في إيضاح مدلول كلمة " النَّشر " قوله : " أن يخرج النَّبْتُ ، ثم يبطئ عنه المطر ، فييبس ، ثم يصيبه مطرٌ ، فينبت بعد اليُبس ، وهو ردىءٌ للإبل والغنم إذا رعته فى أوّل مايَظْهر ."(٢)

كما أوضح معنى كلمة السُّرْفة فقال : " ويقال : قد سَرَفَتِ السُّرفة الشجرة تَسْرُفُها سرفاً ، إذا أكلت وَرَقها فهي شجرةٌ مَسْرُوفةٌ ، وهي دُوَيْبَّةٌ سوداء الرأس وسائرها أحمر ، تعمل لنفسها بيتاً من دُقاق العيدان ، وتضمُّ بعضها إلى بَعْضٍ بلُعَابِهَا ، ثُمّ تدخل فيه . يقال في مَثَلٍ " هو أصنع من السُّرْفة "(٣).

فَوَضَّح بجلاءٍ مدلول هذه الكلمة ، وذكر بأنَّها عبارة عن حشرة تأكل أوراق الشَّجَر ، مع وصفه لها بدقّةٍ متناهِيَةٍ . كما بَيَّن بعض استعمالات اشتقاقات الكلمة مُؤيداً ماذهب إليه بشواهد من كلام العرب .

ومِمَّا عرض له فَحَرَّر معناه لفظ " الحسيله " حيث روى عن الطَّائِيّ قوله : " الحَسِيلة : حَشَفُ النَّخْل الذي لم يك حَلاَ بُسْره فَيُيَبِّسُونَهُ حتى يَيْبَس ،

---

(١) السابق نفسه ، ص ٣٤٤ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٤١ .

(٣) السابق نفسه ، ص ١٩٢ .

فإذا ضُرِب انْفَتَّ عن نواه ، وَيدِنُونَه باللبن ويمردون له تمراً حتى يُحَلِّبه ، فيأكلونه لقيماً . يقال : بُلُّوا لنا من تلك الحَسيلة . وربّما وُدِن بالماء . "(١).

كذلك ورد عن المبرد عند شرحه حديث أبي زيد عن أعرابى وقف فى حلقة يونس - وكان محتاجاً - فقال من بين ماقاله : " ... ولقد مشيت حتى انتعلت الدم ، وحتى خرج من قدمى بخص ولحم كثير ..... " .

فحرر المبرد كلمة " بخص " مستعينا فى تحريره لمعنى هذه الكلمة بأقوال بعض اللغويين المتقدمين . فقال : " قوله : " بخص " ، يريد اللحم الذى يركب القدم ، هذا قول الأصمعى ، وقال غيره : هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل فيه ..... " ويدل على أنه اللحم الذى خالطه الفساد : قول الراجز :

يا قدمىّ ما أرى لى مَخْلَصا
مِمَّا أراه أو تعودا بَخَصَا "(٢)

كذلك قد يحرر اللغوى معنى اللفظة بسرد أقوال من تقدمه ، مع ترجيح أحد هذه الأقوال .

ومن هذا ما أورده المبرد - عند تعرضه لقول كعب بن جُعَيل - :

---

(١) السابق نفسه ، ص ٣٥٢ .

(٢) الكامل - للمبرد ١/٤٥٤ - ٤٥٥ .

ومن دون ذلك خرط القتـــــاد
وضرب وطعنٌ يُقِـــرُّ العُيُونـــا

حيث قال : " ومن قال يُقرُّ العُيُونا " ففيه قولان : أحدهما للأصمعيّ ، وكـان يقول : " لايجوز غيره ، يقال : قَرَّتْ عينه وأقرّها اللّه ، وقال : إنَّما هـو بَرَدَتْ من القُرِّ ، وهو خلاف قولهم : سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول: قَرَّت : هدأت ، وأَقرَّها اللّه : أَهدأها اللّه ، وهذا قولٌ حسنٌ جميـــل ،والأوّل أغربُ وأَطْرَفُ . "(١) .

ومن الأمثلة أيضاً ما أورده أبوزيد عند تفسيره قول أبي ذُؤَيبٍ :
وَسَوَّد ماءُ المَرْد فاها فَلَوْنُـــهُ
كَلَوْنِ النَّؤُور فَهْيَ أَدْمَاءُ سَارُهـــا

فقال أبوزيد : " .... و " النَّؤُور " : هذا الكُحْل الذي يُحْشى به الجِلْـــدُ المُقَرَّحُ بالإبرة أو بَحدِيدة حتى تَبْقى علامتُهُ كما يَفْعَل الشُّطّار اليوم.."(٢)

وقول أبي عبيدة في ـ قوله تعالى : ﴿ لَنَنْسِـــفَنَّهُ فـــي اليـــمِّ نَسْـــفاً ﴾(٣) ـ مجازه : لَنَقْذفنه ولَنُذرِيَنَّه . وكلّ شيء وضعته في مِنسَـــفٍ ثم طَيَّرت عنه غباره بيديك أو قُشوره فقد نَسَفته أيضاً ، ومازلنا ننسِف منـذ اليوم أي نمشي ، وفي آية أخرى : ﴿ فقـــل يَنْسِفُها ربـــي نَسْفَا ﴾(٤)"(٥)

فمن النص يتضح أَنَّ أَباعبيدة حَدَّدَ معنى الكلمة من خلال وضعها فـــي السياقات المختلفة . وفي تحرير ابن السّكّيت لعبارة (وهو يَتَرمَّضُ الظِّبَاءَ)

---

(١) السابق نفسه ، ص ١/٤٢٤ ـ ٤٢٨ .
(٢) النوادر في اللغة ، ص ١٩٨ .
(٣) الآية رقم (٩٧) من سورة طه .
(٤) الآية رقم (١٠٥) من سورة طه .
(٥) مجاز القرآن ، ٢/٢٨ .

قال : " .... وهو أَنْ يأتيها في كُنسِها في الظَّهيرة في أشدّ مايكون الحرّ ، وقد تَجَوْرَب جَوْربين ، فَيُخرِجُها من الكُنُس ، ومعه شُكَيَّة من لبن أو ماء فَيَتَبَّعُها ويَسُوقها حتى تَفَسَّخ قوائمها من الرمضاء . فيأخذها حينئذ "(١).

فوضَّح معنى هذه العبارة بوصف وبيان دقيقين لطريقة صيد العرب للظِّباء .

ومن الأمثلة أيضاً قول ثابت بن أبي ثابت : " وفي العين الأشفار ، وهي حروف الأجفان وأصول منابت الشعر في الجفن، الّتي تلتقى عند التغميض .... "(٢) .

وكما نصَّ ابن قتيبة على أَنَّ المعنى الدقيق لكلمة (الحَبطَ) هو " أَنْ تأكل الناقة في المرعى فتكثر حتى تنتفخ بطنها . ولذلك قيل لقوم من العرب : الحَبطات ، لأَنَّ أباهم كان أكل صمغاً حتى حَبِط بطنه فَسُمِّي : الحَبِط . وهو الحارث بن تميم . "(٣) .

مِمَّا تقدَّم بدا لنا بوضوح مدى تَنَبُّه لغويي هذا القرن لدلالات الألفاظ ، وحرصهم على إبراز معناها الدقيق ، وذلك من خلال تحريرهم لمدلولاتها ، ودقتهم في هذا التحرير ، سواء أكان بالتفصيل في مدلول الكلمة ، أم بالتماس الفروق الدلالية الدقيقة بين معاني الألفاظ .

وعملهم هذا بلاشكّ يُعَدّ من الأعمال الدلالية المهمة ، حيث إِنَّ بيان معنى اللفظة بهذه الصورة يُبْعِدها عن الوقوع في ظاهرة الترادف وغيرها من الظواهر اللغوية .

---

(١) إصلاح المنطق ، ص ٢٠٢ .
(٢) خلق الإنسان ، ص ١٠٩ . وينظر : أدب الكاتب ، ص ٢١ .
(٣) تأويل مشكل القرآن ، ص ٥٨٠ .

كما أنّ الملاحظ أَنَّ التحرير في الغالبية العُظمى يَنْصَبُّ على الألفاظ الغريبة أو الشائعة الاستعمال . فالغريبة لتوضيح مدلولها الّذي قد يخفى على كثيرٍ من الناس ،والشائعة الاستعمال حفاظاً على بقاء مدلولها الأصلي ، حتى لاتكون عرضة للّبس أو التّطور . وهذا ماصَنَعه ابن قتيبة حيث عقد لهذه الألفاظ كتاباً فى مؤلّفه بعنوان : (كتاب المعرفة)[1]. كما عقد أبواباً عديدة فى الفروق مبتدئاً من (باب فروق في خلق الإنسان) وحتّى (باب فروق في الأصوات) . وغيره من لغويي هذا القرن مِمَّن سبقت الإشارة إليهم فى بداية هذا الفصل .

كذلك عقد ابن قتيبة وغيره[2] العديد من الأبواب الّتي ناقشوا من خلالها الفروق الدّلالية بين كلمة وآخرى تنتمي إلى حقلٍ معجمي واحد ، مؤيدين أقوالهم بالأدلة والشواهد المتعدّدة الّتى وضَّحوا بموجَبها ما استغلق من المعاني .[3] .

كما أَنَّ هذا الصنيع قد يخرج العديد من الألفاظ من الوقوع في اللّبس الدّلالي ، حيث بَيَّنوا معنى كلّ كلمة على حدةٍ . وبهذا ينتفي اللبس بين معنى الكلمتين .

---

(١) ينظر أدب الكاتب ، ص ٢١ .

(٢) أعني به ابن السكيت فى مؤلفاته السابق ذكرها .

(٣) ولمزيد من الأمثلة ينظر : النخل - لأبي حاتم السّجستانيّ ، حققه : د/إبراهيم السامرائي (المملكة السعودية ، دار اللواء ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ص ٨١ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٨١/١ - وإصلاح المنطق ، ص ١٩٢ ، و ص ٣٤٥ ، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ص ٦٦ . وغيرها من الأمثلة المنتشرة فى أثناء مؤلفات لغويي هذا القرن .

وقد سار العلماء بعد هذا القرن فى التأليف فى الفروق ومن أشهر هذه المؤلفات : (الفروق في اللغة) لأبي هلال العسكرى ، المتوفّى سنة (٣٩٥ هـ) ـ ولأبي الطّيّب اللّغويّ المتوفّى سنة (٣٥١ هـ) .

الفصل الثالث

التطور الدلالي

ويشتمل على :-

- مفهوم التطور وحدوده في اللغة العربية
- عوامل التطور الدلالي ومظاهره في كتابات المحدثين
- مناهج اللغويين المحدثين في عرضهم للتطور الدلالي
- جهود لغويي القرن الثالث في رصد التطور

التطــور الدلالـــــي

التطور-بصفة عامة-ظاهرة اجتماعية،تَحْدُث في " بنية الكائنــات الحية وسلوكها ويطلق أيضاً على التغيُّر التدريجيّ الّذي يحدث في تركيـب المجتمع ، أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة ."(١)

تعريف التطوّر اللّغويّ :

أمّا التطور فى اللّغة فهو " في معناه البسيط : التغيُّر الــذى يطرأ على اللّغة سواء في أصواتها ، أو دلالة مفرداتها ، أو في الزيـادة التي تكتسبها اللغة ، أو النقصان الذي يصيبها ، وذلك كله نتيجة عوامـل مختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في كافة مجالاتها."(٢)

التطـــور الدلالـــي :

وتطور دلالات الكلمات ضرب من ألوان التطور عموماً . وهو مايعتـرى مدلول الكلمة من تَغَيُّرٍ،سواء كان بنقل معناها إلى معنىً آخر، أو بتخصيصه أو تعميمه، أو نقله من الحقيقة إلى المجاز، أو من المحسوس إلى المعقـول، والعكس ، أو نقل المعنى من الكل إلى الجزء، أو العكس ، ومن الأدنى إلـى الأضعف، والعكس .

هذا النوع من التطور طرأ على بعض كلمات العربية ، إلا أَنَّه ليـس بالشكل الذى نراه فى سائر اللغات ، فللعربية خاصية انفردت بها عــن

---

(١) المعجم الوسيط ، أخرجه : د/إبراهيم أنيس ورفقاه (القاهـرة ، دار الفكر ، د / ت) ٢/٥٧٠ .

(٢) نظرات فى اللغة ، د/مصطفى رضوان (المغرب ، منشورات جامعـة فاريونس ، ط ١ ، ١٩٧٦م) ص ٤١٥ .

بقية لغات العالم ، هذه الخاصية هى ارتباطها بالقرآن الكريم، الذي حفظها لنا منذ عدة قرون ، وهو ـ بلا ريب ـ محفوظ من قبل الله عز وجل، حيث وعد بحفظه وصونه، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1] فالعربيّة لسان القرآن ، وبها نزل ، ومن أجله نشأ التراث العربيُ جميعه ، فهو محوره ، وسبب نشأته .

أمّا بقيّة اللّغات فليست لها الخاصّية المذكوره .فاللغة الإنجليزية ـ مثلاً ـ بعد عهد (تشوسر) لاتكاد تفهم بعد أَنَّ مَرَّ عليها قرنان ونصف من الزمان ، كما أَنَّ ماورد فى أدب (شكسبير من دلالات لبعض الألفاظ لايكاد يفهمها إلّا أرباب التخصص [2] كذلك فإنَّ " ارتباط العربية الفصحى بالقرآن ، هو السِّر كذلك فى تمسكنا بالعربية الفصحى القديمة ، ودعوتنا إلى دراستها دراسة مستفيضة ، لكي نفهم بها القرآن الكريم ، وما دار حوله من دراسات . "[3].

وأرى أن التطور واقع فى لغتنا العربية ، خاصة بعد ظهور الإسلام ، وانفصال العصرين الجاهلي والاسلامي عن بعضهما ، ففى هذه الفترة حدث تطور في الألفاظ وفى مدلولاتها ، حيث جاء الإسلام فأبطل استعمال العديد من الألفاظ الجاهلية ، ولم يعد لها ذكرٌ في الاستعمال اللغوي ، على حين أَنَّنا نجد فى الجانب الآخر نشأة كثير من الألفاظ الإسلامية، التي لم تكن موجودة بمدلولها في العصر الجاهلي .

---

(١) الآية رقم (٩) من سورة الحجر .
(٢) دلالة الألفاظ ، د/إبراهيم أنيس ، ص ١٢٢ .
(٣) التطور اللغوي ، د/رمضان عبدالتواب (القاهرة ، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ) ص ٩ .

كما أنَّ مِنْ بين هذه الألفاظ ما انتقلت دلالته ، أو عُمِّمَت ، أو خُصِّصَت .

كل هذا حدث في فترة زمنية قصيرة ، نظراً لِمَا للإسلام والحضارة الجديدة من شأن .

وبعد " أن استقرت هذه الآثار الإسلامية في اللّغة العربية، لم يعد لموضوع تطور دلالة الألفاظ ... تلك القيمة الّتي ما زال يتمتّع بها في سائر اللغات ، وذلك لأن أثر الإسلام في اللغة العربية، كان أكبر أثر عرفته هذه اللّغة . "(١) .

أمَّا بعد هذه الفترة الزمنية ، فقد كان التطور يسير ببطء شديد ، داخل إطار واحد ، وحول محور ثابت (٢) . وبهذا التحديد جمعنا للعربية خصيصتين :

أولاهما : الثبات : وهو أمر تمتاز به العربية عن غيرها من اللّغات ، حيث إنَّ لها قوانين معلومةً وثابتةً لايمكن تجاوزها ، كالنظام الصوتي ، وأصول الأبنية ، والنظام النحوي ، فهذه الأنظمة لايجوز الخروج عليها ولأهل اللغة أنْ يتحركوا حول محور ثابت ، وداخل إطار ثابت ، بما لايخرجهم عن هذه الثوابت .

الآخر : عدم الجمود : وهذا أمر تشترك فيه كثير من اللغات ، إلَّا أنَّه في لغتنا العربية يختلف عن بقية اللغات .

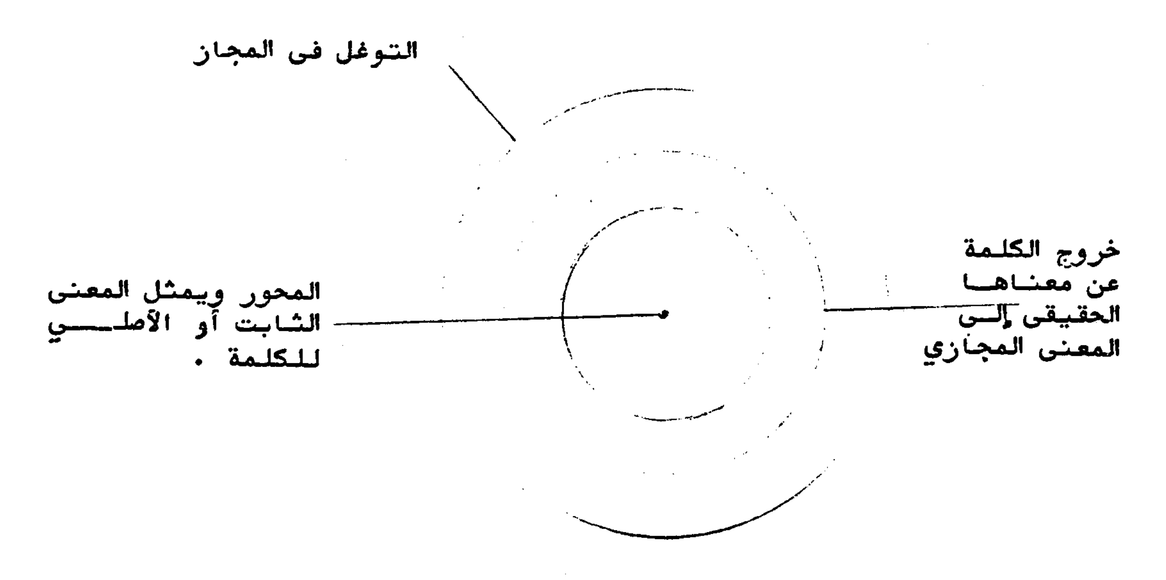
فلو أخذنا على سبيل المثال أمثلة من المجاز ، مثل لفظة "قرية"

---

(١) نحو وعي لغوي ، د/مازن المبارك (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م) ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) ينظر : خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب .

أو " راويه " ، لوجدنا لها معنى حقيقيّاً في اللّغة ، واستعملت فى معنىً مجازيّ لرابط يربط بين المعنيين ، وهذا مايُعَبَّر عنه أهل البلاغة بالعلاقة ، وهذا الاستعمال لابُدَّ له من ضوابط تمنع من اختلاط المعاني ، وهذا ماأسموه بالقرينة ، فهى تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، بل قد يزيدون الأمر غموضاً بالترشيح ، وهذا يُبْعِدُ الكلمة عن المعنى الحقيقي ، ويوغل في المعنى المجازى. يتضح ذلك بالرسم التالى :



فإنْ سارت الكلمة في الخط الأول فهى حقيقة ، وإن خرجت عنه إلى الخط الثاني فهى مجاز . أما إذا ابتعدت إلى الخط الثالث ، أو الرابع ، أو مابعدها ، ولم تخرج عن إطار الدائرة ، ففيها أمر زائد على المجاز من ترشيح ، أو تجسيم ، أو تخييل ، أو غير ذلك . وهي فى كل ذلك لابُدَّ لها من رابط يربطها بالمحور ويشدها إليه . فإنْ خرجت عن الإطار فهذا تطوّر ترفضه أصول العربية .

ومن هنا يتضح لنا أهمية التطور ، وأنه ضرورة لابدّ منها في اللّغات بصفة عامة ، فمفردات أيِّ لغةٍ " لاتستقر على حال ، لأنها تتبع

الظروف . فكل متكلم يُكَوِّن مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به . فالانسان يزيد من مفرداته، ولكنه ينقص منها أيضاً ، ويغيِّر الكلمات في حركة دائمةٍ من الدخول والخروج ، ولكن الكلمات الجديدة لاتطرد القديمة دائماً ، فالذهن يُرَوِّض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزّعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة ."(١)

(١) اللغة ، فندريس ، تعريب : عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ،ص ٢٤٦-٢٤٣.

عوامل التطور الدلالي ومظاهره في كتابات المحدثين(*)

للتطور الدلالي عوامل عديدة ، تحدث عنها جُلّ اللغويين ، من أهم هذه العوامل :

(١) كثرة استعمال الكلمات . فمدلول الكلمة المستخدمة يتغير نظراً لكثرة استعمالها وتداولها ، فاللغة " وجدت ليتداولها الناس ، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملة والسلع غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة ."(١)

فإذا كان استعمال الناس في عصر من العصور لدلالة الكلمة على نمط معين ، فربّما كان التطور لها سلبياً أو إيجابياً، بما يوافق وجه الدلالة المتعارف عليه في ذلك العصر . فألفاظ اللغة لاتبقى على حالة واحدة على مرِّ العصور ، بل لابدّ أن يعتري بعضها التطوّر ، سواء كان كليّاً أو جزئيّاً .

وفي اللّغة العربيّة كثير من هذه الأمثلة الّتي عُمِّمَ معناها ، أو خُصِّص ، أو نُقِل إلى معنىً آخر . ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ ألفاظ العبادات ، كالصّلاة ، والزّكاة ، والحجّ وغيرها . هذه

(*) فَصَّل وبَيَّن هذه العوامل والمظاهر الدكتور علي عبدالواحد وافي بما يكفي ، كما بَيَّنها الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه : دلالة الألفاظ ، ص ١٣٤ فما بعدها ، وعلم اللغة ، د/علي وافي،ص ٣١٩ فما بعدها .

(١) دلالة الألفاظ ، د/إبراهيم أنيس ، ص ١٣٤ ، وينظر : علم اللغة ، د/علي عبدالواحد وافي (القاهرة ،دار نهضة مصر،الطبعة السابعة)ص ٣١٩ .

الألفاظ لم تبق على حال واحدة من الجاهلية إلى العصر الإسلامي ، بل اعترى مدلولاتها بعض التغيير ، حيث خصص مدلول كل لفظة منها بعد أَنْ كان عاماً ، كما قد يُعَمّم مدلول اللفظة بعد أن كان خاصاً ، ككلمة البأس ـ مثلا ـ ، فهي في أصل معناها تدلّ على الحرب ، ثم اتّسع مدلولها بكثرة استخدامها ، حتّى أُطْلِقَت على كل شدة (١)

(٢) كذلك يؤدى انتقال مدلول الكلمة من معناها الحقيقي إلى معنى مجازيّ إلى تَغَيُّرٍ ، وربما انقرض المعنى الحقيقى ، وحلّ المعنى المجازى محلّه ، فأصبح كالحقيقيّ (٢). ومثال ذلك كلمتا " الوغى " و " العقيقة " فمدلول كلمة " الوغى " في الأصل هو اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم انتقل إلى الحرب نفسها . كما انتقل مدلول " العقيقة " من الشعر الذى يخرج على المولود إلى مايذبح عند حلق ذلك الشعر (٣).

(٣) وقد يتغير معنى بعض المفردات عند انتقال اللّغة من السلف إلى الخلف . ومن أمثلة هذا النوع كلمة " البُهْلُول " الّتى كانت تعني السَّيِّد ، وأصبحت الآن تعنى الرجل الأبله أو المعتوه (٤).

---

(١) ينظر : علم اللغة ، د/على عبدالواحد وافي، ص ٣٢٢

(٢) فى اللهجات العربية ، د/إبراهيم أنيس (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٦٥ م) ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٣) علم اللغة د/على وافي ، ص ٣٢١ ، وينظر : التطور الدلالى بَيْنَ لغة الشعر ولغة القرآن ، عودة خليل أبوعوده (الأردن ، مكتبة المنار ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٥٣ – ٥٤ .

(٤) ينظر : لحن العامة والتطور اللغوي ،د/رمضان عبدالتواب (القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م) ص ٥٨ .

(٤) سوء فهم دلالة اللّفظة قد يغيّر من دلالتها ، سواء أكان ذلك عند الأطفال أم عند الكبار ، ومع مرور الزمن قد تثبت هذه الدلالة الخاطئة . ككلمة " عتيد " الّتي بمعنى حاضر في أصل مدلولها ، لكنّها شاعت في العصر الحاضر بمعنىً قديم ، أو عتيق . والسبب فى تطور مدلول هذه الكلمة ـ وماشاكلها ـ اشتراك غالبيّة الأصوات فى الكلمتين فقيست قياساً خاطئاً .(١)

(٥) تغيُّرُ مدلول الكلمة تبعاً لتغير طبيعة الشىء ، أو عناصره ،أو وظائفه ، أو مايتصل به . وأمثلة ذلك : الريشة ، والقطار . فالريشة كانت تتعلق بآلة الكتابة عندما أُخِذت من ريش الطيور ، وأصبحت الآن تُطْلَق على الآلة المعدنية المعروفة ، كما أَنَّ " القطار " فى السابق عبارة عن مجموعة من الإبل تسير فى السفر ، أَمَّا في العصر الحاضر فقد أطلقت على الآلة المعروفة (٢)، فالانتقال الحضاريّ له أثره في تطور مدلولات الكلمات .

(٦) ومن العوامل أيضاً " الابتذال " . حيث تُصاب بعضُ الألفاظ به نتيجة لاستعمال الناس لها . ويرجع ذلك للعديد من العوامل السياسيّة والاجتماعيّة وغيرها .(٣)

ومن هذه الكلمات القويّة في أصلها ، ثم " هان شأنها نسبياً ، تهديدنا الخصم عند الشجار العادى بـ " القتل " و"كسر

---

(١) دلالة الألفاظ ، ص ١٣٥ فما بعدها . وينظر : لحن العامة والتطوّر اللغوى ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) التطوّر اللغوي ، د/رمضان عبدالتواب ، ص ١١٢ ، وعلم اللغة ، د/على وافى ، ص ٣٢٤ .
(٣) دلالة الألفاظ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

الرجلين " و " دق الرقبة " ... ولاشىء من ذلك يحدث ... "(١)

(٧) وقد يكون التطور الصوتى عاملاً من عوامل هذا التطور ، فكلما كانت أصوات الكلمة ثابتة وواضحة ، قَلَّ تعرض مدلولها للتغيير .

(٨) وضوح الكلمة فى الذهن يقلل من تعرض مدلولها للتغيير ، كما أَنَّ عدم الوضوح ينتج عنه انحراف مدلول الكلمة ، وتكون عرضة للانحراف والتغيير .

(٩) ومن هذه العوامل أيضاً ، عامل الحاجة إلى الكلمات . ويتم هذا النوع على أيدى الموهوبين ، والشعراء ، والأدباء ـ كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس ـ (٢).

وغالباً ماتكون الحاجة إلى التجديد في الألفاظ بسبب العوامل الاقتصادية ، أو السياسية ، أو الاجتماعية . ويكون التجديد بابتكار ألفاظ جديدة ، أو بإحياء كلمات اندثرت ، أو بالتعريب . فمتطلبات الحياة تحتم وجود ألفاظ تتناسب معها ، فالمخترعات الحديثة مثلا لابُدَّ لها من تسميات جديدة .

وفى حياتنا المعاصرة كثير من المفردات المنقوله ، ولازلنا نتعامل ونتداول بهذه الألفاظ الجديدة ، دون النظر إلى الأصول القديمة التي كانت عليها . ومن أمثلة هذا النوع . السيارة ، والمذياع ، والهاتف ، والقاطرة . كل هذه المخترعات الحديثة لابُدّ لها من أسماء جديدة . كما أنّ تطور بعض مدلولات الألفاظ

---

(١) علم اللغة ، د/ السعران ، ص ٢٨١ .
(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ، ص ١٤٥ .

الاسلامية يندرج تحت هذا النوع ، حيث احتيج إلى بعض الألفاظ التى تتناسب مع الدين الإسلامى . وسنعرض لبعض هذه الألفاظ ، وذكر آرآء لغويي القرن الثالث فيها فى موضعه [1].

وفي مؤلفات اللغويين المحدثين كثيرٌ من العوامل اقتصرت على المهمّة منها حيث لايتسع المقام لشرح وتعليل كل مايتعلق بهذه العوامل

(١) ينظر ص ١٠٧ من البحث .

مناهج اللغويين المحدثين في عرضهم للتطور الدلالي

من خلال استقرائنا لهذه الظاهرة ، وأسبابها ، وما أدلى به اللّغويّون المحدَثون فيها من آراء ، أمكننا أن نخلص لما يلى :

(١) انشغال اللّغويّين بهذه الظاهرة منذ الثلاثينات من هذا القرن ، وحتى عصرنا الحاضر فلا يكاد يخلو بحث من أبحاث علم اللّغة ، أو الدلالة – على وجه التحديد – إلاَّ وفيه ذكر لهذه الظاهرة . ذلك بسبب أهميتها فى الدرس اللغوي .

(٢) اتّفاق اللّغويّين المحدثين في غالبيّة نتائج البحث فى هذه الظاهرة ، وإن اختلف بعضهم فى طريقة عرضه لها .

(٣) اجماعهم على أَنَّ خصائص التطور الدلالي تتمثل فيما يلى :

(أ) سير التطور الدلالي للكلمة يكون بطيئاً ، ويلزمه وقت للانتشار وخاصة في لغتنا العربيّة [١].

(ب) التطور يحدث بطريقة غير مباشرة [٢] (أي تلقائيّ) .

---

(١) ينظر : دور الكلمة فى اللغة ، أولمان ، ص ١٥٣ ، وعلم اللغة ، د/على وافى ، ص ٣١٤ ، ودلالة الألفاظ ، ص ١٣٤ ، ولحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، د/عبد العزيز مطر (القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١ م) ص ٣٥٩ فما بعدها ، نظرات فى اللغة ، د/ محمد رضوان ، ص ٤١٥ ، وعلم اللغة العام ، د/توفيق شاهين ، ص ١٣٦ ، والتطور اللغوي التاريخي ، د/ إبراهيم السامرائى (بيروت ، دار الاندلس ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م) ص ٢٧ ، والتطور اللغوى ، د/رمضان عبد التواب ، ص ٥ – ١١ وغيرها .

(٢) علم اللغة ، د/وافى ، ص ٣١٥ ، دلالة الألفاظ ، ١٣٤ ، ونظرات فى اللغة ، ص ٤١٥ وغيرها .

(جـ) التطور جبري فى ظواهره نظراً لخضوعه للعديد من الظواهر الجبرية قال بهذه الخاصيه بعض اللغويين.(١)

(د) وجود الشبه بين الدلالة الجديدة للكلمة وماكانت عليه من دلالة قبل أن يعرض لها التطور (٢) .

(هـ) التقييد بالزمان والمكان في التطور ذاته لدلالة الكلمة.(٣)

(و) إنّ حدوث التطور فى بيئة ما ، يؤثر على أفراد تلك البيئة (٤).

(ز) ارتباط التطور الدلالي باللّهجات العربيّة . وقد عدّ بعضهم هذه الخاصية من أهم خواص التطور الدلالي (٥).

(ح) ارتباط التطوربالّلحن .(٦) .

وقد تناول بعض اللغويين المحدثين عوامل،وخصائص التطور الدلالي، ومظاهره،بالبيان والتفصيل،إلا أنّه لم يكن هناك اتفاق في وضع هذه

---

(١) ينظر:علم اللغة ، د/ وافى ، ص ٣١٥ ، ودلالة الألفاظ ، ص ١٣٤ ، والتطور اللّغويّ ـ السامرائي ـ ص ٢٩ وغيرها .

(٢) ينظر : علم اللغة د/ وافى ، ص ٣١٦ ، ودلالة الألفاظ ،ص ١٣٨،وعلم اللغة ـ للسعران ، ص ٢٨٩ ، ولحن العامة ، ص ٣٧٠ ، وعوامل التطوّر اللّغوي ، د/أحمد الحماد (بيروت ،دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ١٣٠ .

(٣) علم اللغة ، د/ على وافى ، ص ٣١٧ .

(٤) السابق نفسه ، ص ٣١٧ ، وينظر : علم الدلالة العربي ، د/فايز الدايه ، ص ٢٥٠ .

(٥) التطور اللغوي التاريخي ، ص ٢٩ ، وينظر : عوامل التطور اللغويّ، ص ١٦٤ .

(٦) ينظر : لحن العامة ، د/ عبدالعزيز مطر ، ص ٣١٢ ، وعلم الدلالة العربي ، ص ٢٠٤ .

المصطلحات فيما بينهم .

ولاشك أَنَّ اللغويين المحدثين فَصَّلوا القول فى عوامل وخصائص ومظاهر هذه الظاهرة بما يكفى ، فارتأيت عدم التفصيل فيها، دفعاً للتكــــــرار ، واكتفيت بما ذكرته آنفاً ، بغية الإِيجاز .

وبعد أن عرضنا للتطور الدلالي عند اللّغويّين المحدثين ، فسبيلنــا الآن معرفة ماقاله لغويّو القرن الثالث عن هذه الظاهرة .

التطور الدلالي عند لغويي القرن الثالث

تنبّه علماء العربيّة في هذا القرن إلى تطور دلالات الألفاظ ، وإن لم يطلقوا عليه هذا المصطلح ، إلا أنهم عرفوه ، وتحدثوا عنه نظرياً وتطبيقياً .

فمن أقوالهم النظرية ما أورده بعضهم تحت عنوان " كلمات إسلامية محدثة " حيث يقول : " وأسماء حدثت ولم تكن ، وإنّما اشتقت لهم من أسماءٍ متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم ، كأبى رجاء العطارديّ .... ويدلُّ على أَنَّ هذا الاسم أُحْدِث فى الإسلام ، أَنَّهم في الجاهليّة لم يكونوا يعلمون أَنَّ ناساً يسلمون، وقد أدركوا الجاهليّة ، ولا كانوا يعلمون أَنَّ الإسلام يكون " (١) .

فهذا أحد علماء هذا القرن يُصَرِّح بالتطوّر الدلاليّ، سواء كان ذلك باحتياج هذا الدين إلى كلمات ومدلولات تتناسب مع تعاليمه ، أو باشتقاق مدلولات جديدة من كلمات قديمة ، أو بإهمال بعض الكلمات التى لم يعد لها استخدام فى الاستعمال اللغويّ " فمعاني الألفاظ التى كانت مستخدمة فى العصر الجاهليّ لم تبق جامدة بعد الإسلام، بل لحقها تغيُّرٌ قليلٌ أو كثير. وهذا ماحدث فى العصور التالية أيضاً ، نتيجة لتطور المجتمعات ، والحاجة إلى التجديد وإضفاء معانٍ جديدة على كلماتٍ قديمةٍ . "(٢)

كما تنبَّه ابن قتيبة لهذه الظاهرة، ومدى انتشارها في اللّغة ،

---

(١) الحيوان ١/٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٢) لحن العامة ، د/عبد العزيز مطر ، ص ٣٥٩ .

فيقول : " فما رأيت أحداً منهم يعرف فرق مابين الوَكَعِ والكَوَع ولا الحَنَفِ من الفَدَعِ ولا اللَّمَىٰ مِنَ اللَّطَع (١) ، فلما رأيت هذا الشأن كلَّ يومٍ إلى نقصان ، وخَشِيت أنْ يذهب رسمُه ويعفو أثره ، جعلت له حظّاً من عنايتي ، وجزءاً من تأليفي .... "(٢) .

بهذا النّصّ يوضّح ابن قتيبة تطوّر دلالة بعض الألفاظ في عصره . فقد أصبح العامّة يستعملون هذه الألفاظ بمعنىً واحد ، فلا يفرقون بين معانيها .

كما أنَّ من أقوالهم النظريّة ـ أيضاً ـ نَصَّهُمْ على أنّ كثرة استعمال الكلمة يُغَيِّرُ من دلالتها (٣) . وهذا ما أدرجه اللّغويّون المحدَثون تحت العامل الأوّل من عوامل التطور الدلالي .

كذلك تحدث بعض لغويي هذا القرن عن العديد من الألفاظ المبتذله ، كألفاظ الجاهلية ، التى جاء الأسلام فقضى عليها ولم يعد لها استخدام

---

(١) قال صاحب العين ، ١٨١/٢، ١٨٢ ـ : " الكوع ... طرف الزند الذى يلي الإبهام ... ويقال الكوع يُبْس في الرُّسغين ، ... والوكع : مَيَلان صدر القدم نحو الخنصر ، ورُبَّمَا كان فى إبهام اليد والرجل ... " .
وقال إنَّ " الحَنَف : مَيْلٌ فى صدر القدم ... " ٢٤٨/٣ .
و" الفَدَع : عوج في المفاصل كأنّها قد زالت عن مواضعها ، وأكثر مايكون فى الأرساغ خلقة أو داء ، كأنه لايستطيع بَسْطَه .. "٤٧/٢ .
و " اللّمى ... ، مقصور من الشفة اللمياء ، وهى : اللطيفة القليلة الدم ... " ٣٤٤/٨ ، أما اللّطع فقال عنه : " الألطع الذى قد ذهبت أسنانه وبقيت أسناخها في الدُّرْدُر ... ويقال : بل هو الّذي في شفته رِقَّه ... " ١٣/٢ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٩ .

(٣) ينظر : معاني القرآن ، الفراء ٨/٢ ، ٩ ، وإصلاح المنطق ، ص ٢٧٨، ٣١٥ ، وأدب الكاتب ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

فيِ الاستعمال اللغوى فيقول الجاحظ : " ... ترك الناس مِمَّا كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج [١] إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحملان والمكس [٢].... كما تركوا انعم صباحاً ، وانعم ظلاماً ، وصاروا يقولون كيف أصبحتم ؟ وكيف أمسيتم؟"[٣].

فهذه الألفاظ وماشابهها تركت بعد الإسلام وأهملت ، واستبدل بعضها الآخر بألفاظ إسلامية تتناسب مع الدين الإسلاميّ .

كذلك تنبَّهوا إلى انتقال اللّفظ من معناه الحقيقيّ إلى معنى مجازيّ للاستعارة أو التشبيه ، ومع مرور الزمن تُنُوسِيَ المعنى الحقيقيّ ، وثبت المعنى المجازيّ ، فأصبح حقيقة ، كالراوية ، والغائط وغيرها .

كما نَصُّوا على اشتقاق المعنويّ من الحسيّ ، وفي هذا يقول الجاحظ : " ومن المحدث المشتق ، اسم منافق لمن رآى بالإسلام واستتر بالكفر أُخِذَ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامّاء[٤] . ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمّم ، .... " [٥]

---

(١) الخراج : " مختص فى الغالب بالضريبة على الأرض . وقيل : العبد يؤدى خرجه أي : غلته ، والرعية تؤدى إلى الأمير الخراج . معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ، تحقيق : نديم مرعشلي (بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ص١٤٦ ." والإتاوة : الخراج ، وكل قسمة تقسم على قوم مما يُجْبَى ، وقد يجعلون الرشوة إتاوة" العين ١٤٧/٨ .

(٢) والحملان " مايحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة " العين ٢٤٠/٣. وجاء فى اللسان مادة (مكس) : " المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية " .

(٣) الحيوان ٣٢٧/١ ، ٣٢٨ .

(٤) هذه أسماء لأبواب جحر اليربوع . ينظر : الكامل ٣٥١/١ .

(٥) الحيوان ٣٣٢/١ .

وقد قال بهذا جُلُّ علماء القرن الثالث،فهذا المبرد يقول :
" و " النفاق " أن يُسرَّ خلاف مايُبْدِي ، هذا أصله ، وإنَّما أُخِذَ من النافقاء، وهو أحد أبواب جحر اليربوع ، وذلك أنَّه أخفاها ، فإنَّما يظهر من غيره ، .... " (١).

فاشتق لفظ المنافق من الحسيّ،وهو نفق اليربوع .

ومن الأمثلة أيضاً قول المبرد : " المُدَاجاة : المُدَاراة ،أي لاتُظْهِر لهم ماعندك من العداوة ، وأصله من الدُّجَى ، وهو ماألبسك الليل من ظلمته . " (٢)

فنقلت الدلالة من الشيء الحسيّ وهو " ظلام الليل " إلى المعنويّ وهو : (المداراة أي الملاينة وحسن الصحبة)(٣).

وقد أَقَرَّ هذا الاشتقاق علماء اللغة المحدَثون ، يقول أحدهم في ذلك : " يجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات ، ثم تطورت إلى الدلالة المجرّدة بتطوّر العقل الإنسانيّ ورقيّه . فكلّما ارتقى التفكير العقليّ جنح إلى استخراج الدلالات المجرّدة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال .... "(٤) .

فإذا كان اللُّغويُّون المحدثون قالوا بهذا ، فقد سبقهم إلى ذلك علماء القرن الثالث الهجريّ ، كالجاحظ وغيره من علماء هذا القرن منذ أكثر من أحد عشر قرناً .

---

(١) الكامل ، ٣٥١/١ ، وينظر:تفسير غريب القرآن ،لابن قتيبة ،تحقيق : السيد أحمد صقر (بيروت ،دار الكتب العلمية ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)ص ٢٩.
(٢) الكامل ٦٥/١ .
(٣) ينظر : اللسان ، مادة (دري) .
(٤) دلالة الألفاظ ، ص ١٦١ .

وقد أشار القدماء - أيضاً - إلى تعميم مدلول اللفظ أو تخصيصه، أو نقله من معنىً إلى معنىً آخر . وهذا ما سأعرض له بالتفصيل ، مؤيداً ذلك بالأمثلة التطبيقية الواردة في مصنّفاتهم .

أنواع التطور الدلالي

من خلال استقرائنا لما ورد عن لغويي القرن الثالث ، وجدنا أنَّ أنواع التطور الدلاليّ عموماً هي :

(١) تطوّر بالتخصيص .
(٢) تطوّر بالتعميم .
(٣) تطوّر بالنقل .

أولاً : التطور بالتخصيص :

ونعني بهذا النوع كون المعنى الأصلي للكلمة عاماً ، ثم خُصِّصَ هذا المعنى في حَيِّزٍ أضيق مما كان عليه في الأصل .

وممّا ورد من أمثلة لغويي هذا القرن قول ابن قتيبة : " ومن ذلك " الطرب " يذهب الناس إلى أنَّه فى الفرح دون الجزع ، وليس كذلك ، إنَّما الطربُ خِفَّةٌ تصيب الرجل لِشِدَّةِ السرور ، أو لشدَّة الجزع ، قال الشاعر :

وأرانى طَرِبـاً فـي إِشرهِمْ
طربَ الوَالِه أو كالمُخْتَبَل "(١)

من النص السابق يتضح أنَّ الأصل في مدلول كلمة (الطرب) كان عاماً ، حيث إنَّه خفّة تصيب الرجل من شدة الفرح أو الحزن ، فلحق هذا اللفظ تطور بالتخصيص في زمن ابن قتيبة ، فأصبح يدل على الفرح فقط . ولازال هذا المدلول مستعملا حتّى عصرنا الحاضر . وهذا مايؤكد التطور فيها .

ومن هذا ـ أيضاً ـ كلمة (المأتم) " يذهب الناس إلى أنَّه

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

المصيبة ، ويقولون : كنا فى مأتم ، وليس كذلك ، إنّما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر . "(١) فبعد أنْ كان مدلول هذه اللفظة عاماً ، وهو الاجتماع في الخير والشر ، خُصِّصَ فى القرن الثالث ليدل على الشر دون الخير . ولازال هذا المدلول مستعملا إلى عصرنا الحاضر ـ أيضاً ـ .

ومن الأمثلة الأخرى ما أورده المبرد عند ذكره قول الحجاج : " فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم ، ونَفِّل الناس على قدر بلائهم ... " قال المبرد : " قوله : " نَفِّل " أي اقسم بينهم ، والنَّفَلُ : العَطِيّةُ التي تَفْضُلُ . كذا كان الأصل ، وإنَّما تفضل اللّه عز وجل بالغنائم على عباده ، قال لَبِيدٌ :

" إنَّ تَقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ "

قال جلّ جلاله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾(٢) ويقال : نَفَّلْتُك كذا وكذا أي : أعطيتك . ثم صار النَّفَل واجباً . "(٣).

فالتطوّر في كلمة (نفل) يتمثّل في جانبين هما :

(أ) تخصيص الأنفال ، أو غلبة ذلك الاسم على الغنائم (غنائم المعارك) ، وليست أيَّ غنائم .

(ب) كما حدد المدلول فى دائرةٍ أضيقَ ، وذلك يتمثل فى تصيير هذه الأنفال من حق المجاهدين واجباًلهم ، بعد أنْ كانت عطيّةً تعطى تفضلاً .

---

(١) السابق نفسه ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الآية رقم (١) من سورة الأنفال .

(٣) الكامل ، ١٣٤٩/٣ ـ ١٣٥١ .

كما عرض ابن قتيبة للفظة القرآنية " نَحْب " من قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾(١) فقال : " أي قتل . وأصل " النحب ": النذر . وكان قوم نذروا - إِنْ لقوا العدو - أَنْ يقاتلوا حتى يُقْتَلُوا أو يفتح الله ، فَقُتِلوا . فقيل : فلانٌ قضى نحبه ، إِذا قُتِل . "(٢).

فأصل معنى " النحب " النذر ، وهذا لعموم النذر ، سواء أكان في صوم أم في ذبح أم في صدقه ... ، فخُصِّصَ معناه في زمن المؤلف بالقتل .

ومن الألفاظ الّتى أصابها هذا النوع من التطور لفظة (الوفاة) ، حيث قال ابن قتيبه عند قوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّى الأَنْفُس ﴾(٣) : " هو من استيفاء الشَّئ إِذا استقصيْتَهُ كلَّه . يقال : توفّيته واستوفيته . كما يقال : تيقَّنْت الخبر واستيقنته .... وهذا هو الأصل . ثمّ قيل للموت : وفاةٌ وتَوَفٍّ " (٤)

فخُصِّصَ معنى الكلمة هنا بالموت بعد أَنْ كان عاماً .

ومن الأمثلة كذلك ما أورده أبوعبيده عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَمْنَعُونَ المَاعُون ﴾(٥) حيث قال : " هو في الجاهليّة كلّ منفعة وعطيّةٍ ، قال الأعشى :

بأَجْوَدَ منه بماعُونِه
إِذا ماسماؤُهُم لم تَغِمْ

والماعون في الإِسلام : الطَّاعَةُ والزَّكاة ، قال الرَّاعي :

---

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة الأحزاب .
(٢) تفسير غريب القرآن ، ص ٣٤٩ .
(٣) الآية رقم (٤٢) من سورة الزمر .
(٤) تفسير غريب القرآن ، ص ٢٤ .
(٥) الآية رقم (٧) من سورة الماعون .

قومٌ على الإسلام لمّا يَمْنَعـــوا
ماعُونَهم ويُضَيِّعوا التَّنْزِيـــلا ."(١)

يتّضح من قول أبي عبيدةَ أَنَّ مدلول كلمة (الماعون) في الجاهليّة كان عاماً ، فهو كلّ منفعة وعطيّة ، ثمّ جاء الإسلام وخَصَّصَ هذه المنفعة بالزكاةّ . فالمعنى الجديد هنا لم يخرج عن المعنى العامّ ، فهما فى دائرة واحدة ، إلا أَنَّ الدلالة خُصِّصَت بعد أَنْ كانت عامة .

ومن هذا أيضاً قول المبرّد عند بيانه معنى كلمة (أوغل) ، فى حديث رسول اللّهِ صلّى الله عليه وسلّم الّذى قال فيه : " إِنَّ هذا الدين متينٌ فَأَوْغِلْ فيه برفقٍ... " حيث قال : " وقوله : " فأَوْغِل فيه برفق " ، يقول : أُدْخُل فيه ، هذا أصل الوُغول ، ويقال مشتّقاً من هذا للرجل الّذي يأتي شراب القوم من غير أن يُدْعَى إليه : واغِلٌ ومعناه : أَنَّه وَغَلَ فى القوم وليس منهم ، قال أمروٌ القيس :

فاليوم أُسْقَى غير مُسْتَحْقِبٍ
إِثماً من الله ولا واغِلِ "(٢)

فأصبح للوغول معنى خاص بعد أَنْ كان المعنى عاماً ، وهو الدخول عموماً .

ومِمَّا سبق من أمثلة يَتَّضِح لنا أَنَّ التطور التخصيصي للألفاظ السابقة، لم يخرج عن الإطار العام للمعنى ، فالمعنى العام . والمعنى المخصَّص يلتقيان فى محور واحد(٣).

---

(١) مجاز القرآن ، ٣١٣/٢ .
(٢) الكامل ٣١٧/١ ، ٣١٨ .
(٣) وللمزيد من الأمثله ينظر : تأويل مشكل القرآن كلمة (زكى) ص ٣٤٤ ، وإصلاح المنطق مادة (شقر) ص ١٢٣ ، وأدب الكاتب ،ص ٢١ ، وتفسير غريب القرآن مادة (أزر) ٢٧/١ ، وأدب الكاتب مادة (عتر) ص ٣٢ ، وغيرها .

هذه الألفاظ وغيرها مما أورده ابن قتيبة تحت (كتاب المعرفة)(١) حاول تخطئتها ، وآتى بمعانيها القديمة ، فبصنيعه هذا قد كشف لنا أبعاد التطور الدلالي في تلك الفتره ، حيث وَضَّحَ ما آلت إليه الألفاظ من معنى بحكم الاستعمال اللغويّ آنذاك .

ثانيا : التطوّر بالتعميم :

وهذا النوع على العكس من النوع السابق ، ونعني به اتّساع مدلول الكلمة بعد أَنْ كان ضيّقاً أو محصوراً فى مدلول معيّن .

وقد عرض لهذا النوع جُلُّ لغويي القرن الثالث ، حيث وَضَّحُوا أَصل دلالة الكلمة ، وما آل إليه هذا الأصل حتى عصرهم . ومن بين ما ورد في مؤلّفاتهم قول السُّكَّرِيّ : " و " الفرس " ، دَقُّ العُنُق ، ثم صار كلُّ قَتْلٍ فرساً " (٢).

وقد وضَّحَ ابن قتيبة هذه اللفظة عند شرحه لحديث الرسول صلّى الله عليه وسلم فى ذكر يَأْجُوجَ وَمَأْجُوج حيث قال : " وقوله : فيصبحون فرسى ، أي : قتلي ، ومنه يقال فرس الذئب الشاة يفرسها فرساً ، .... وأصل الفرس ، دَقُّ العنق ، ثم كَثُر واستُعمِل حتى صُيّر كل قَتْلٍ فَرْساً ... "(٣)

ومنه أيضا قول السكرى عند بيانه لبيت أبى ذؤيب :

---

(١) ص ٢١ من كتاب أدب الكاتب .

(٢) شرح أشعار الهذليين ـ للسكرى ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج، راجعه : محمود شاكر (القاهرة ، مكتبة دار العروبة) ٥٨٤/٢.

(٣) غريب الحديث ، تحقيق : د/عبدالله الجبورى (بغداد ، مطبعة العانى ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م) ٢٨٢/١، وينظر: إصلاح المنطق ، ص ٢٧ ، ٢٥٨ .

وأنْ لاغَوْثَ إلاَّ مُرْ هفَـــاتٌ
مُسَـيَّرةٌ وذو رُبَـدٍ خَشِـيبُ

حيث قال : " والخشيب ، الّذي لم يتمّ عملُه ، بُدِئَ في طَبْعِهِ ولم يُصْقَل ، فجرى على ألسنتهم حتى صار كلُّ خشيبٍ صقيلاً ، وهذا أصله .... "(١).

فقول السّكّرى : " جرى على ألسنتهم دليلٌ على أنَّ كثرة استعمال هذا اللّفظ كان سبباً فى تطوره . ومن الأمثلة ما أورده ابن قتيبة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها ﴾(٢) حيث قال : " أي زينتها بالنبات . وأَصْلُ الزخرف : الذهب . ثم يُقال للنقش وللنور والزهر وكل شئ زين : زخرف . يقال : أخذت الأرضُ زُخْرُفَها وزخارفها : إذا زخرت بالنبات كما تزخر الأودية بالماء . "(٣)

فالتطور الدلاليّ الذي حدث للفظة (الزخرف) واضحٌ ، فقد كان هذا اللفظ يُطْلَق بادىء ذي بدء على الذهب ، ثم عُمِّمَت دلالته حتى صار يُطْلَق على كل مايُزَيِّن الأرض ، ولم يَعُدِ المعنى مقتصراً على الذهب دون سواه .

ومنه أيضا قول أبي نصر عند تحليله لبيت ذي الرُّمَّة .

تَصَرَّف أهواء القلوب ولا أرى
نصيبَكِ من قلبى لغيرِك يُمْنَحُ

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١١٠/١ .
(٢) الآية رقم (٢٤) من سورة يونس .
(٣) تفسير غريب القرآن ، ص ١٩٥ ، وانظر : مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام هارون (القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م) ١٢١/١ .

حيث قال : " و " يُمنَح " : يُعطى ، وأصل " يمنح " يقال : منَحتُـه ، إذا أعرته ناقتك يحلِبها ويشرب لبنها ثم يردُّها . ثم صُيِّرت " المنيحة " عطيّة . " (١)

فالمعنى الأَصليّ للمادّة هو الإِعارة لفترة زمنية معلومة ، ثمّ اتّسع هذا المدلول حتّى أصبحت تعني العطيّة أو الهبة الّتي لارجعة فيها . فالمعنى العامّ هو العطاء سواء رُدَّ أو لم يُرَدَّ . فلم تبعد اللفظة في تطورها عن المعنى الأصلى لها إذْ المعنيان فى إِطار واحد ، وحول محور واحد .

كما عرض ابنُ قتيبة لكلمة (يتصدّق) ، وذكر بأَنَّ الناس يقولون: فلان يتصدّق إِذا أعطى ، وفلانٌ يتصدّق إِذا سأل ، وخطّأهم في ذلك مُبيِّناً الصواب ، وهو قوله : (فلان يسأل) ، لأنَّ المتصدِّق المُعْطِي ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾(٢)" (٣) .

فالمدلول الأصلي لكلمة المتصدّق هو (المُعْطِي) ، وبعد أَنّ توسّع النّاس فيه عُمِّمَ فأُطْلِق على المُعْطِي والسائل . وفي عصرنا الحاضر رجع مدلول اللّفظة إلى الأصل ، حيث إِنَّ المتصدّق الآن بمعنى المُعْطِي ، ولاتُطْلَق على السائل .

---

(١) ديوان ذي الرّمّة ، شرح الإِمام أبي نصر الباهليّ ، ورواية ثعلب ، تحقيق : د/ عبدالقدوس أبوصالح (دمشق ، مجمع اللغة العربية ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م) ١١٩٥/٢ .

(٢) الآية رقم (٨٨) من سورة يوسف .

(٣) أدب الكاتب ، ص ٢٥ ، وانظر : إِصلاح المنطق ، ص ٢٩٦ .

ومن بين الألفاظ التي عُمِّمَ معناها لفظة (العبير) ، ف " يذهب الناس إلى أنَّه أخلاطٌ من الطِّيب وقال أبوعُبَيْدة : العبير عند العرب الزعفران وحده ... " (١) فعُمِّمَ معنى العبير واتَّسعت دلالته ، بعد أَنْ كان المدلول الأصليّ هو الزعفران وحده .

وقد تَكَشَّف لنا هذا العرض عن معرفة لغويي القرن الثالث بمدى ماوصلت إليه هذه الألفاظ من اتساع في المدلول ، بعد أَنْ كان خاصاً بمعنى معيَّنٍ . والأمثلة كثيرة أُكتفِي بما أوردته منعاً للإطالة (٢).

ثالثاً : التطوّر بالنقل :

وأعني بهذا النوع من التطور : انتقال معنى اللّفظة من المعنى الأصليّ لها إلى معنىً آخر ، لعلاقة أو مناسبة بين المدلولين . وهذه سِمَة تكاد تكون ملازمةً في مفردات اللُّغة وتراكيبها ، وقد تحدّث لغويو القرن الثالث عن هذا النوع ، وأوردوا العديد من الأمثلة ، أرتايت أن أقسمها إلى أربعة أقسام ، وهي مجملة كما يلي :

(١) انتقال دلالة اللفظة من المعنى الأصلي إلى معنى آخر انتقالاً مباشراً .

(٢) انتقال دلالة اللفظة الى دلالة أخرى بسبب التلازم بين الدلالتين .

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٣٨ .

(٢) للمزيد ينظر : ديوان الحطيئة ، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق : نعمان أمين (مصر ، مطبعة البابي الحلبي، ط ١) ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٨ م) ص ١٦ ، وأدب الكاتب ، مادة (قفل) ص ٢٤ ، والكامل للمبرد ، ٣٢١/١ ، مادة (الجدا) ، ٦٥٠/٢، ٦٥١، مادة (هجن) ، ٧٨٦/٢ ، كلمة (ظعينه) .

(٣) انتقال دلالة اللفظة بعدة أطوار .

(٤) انتقال دلالة اللفظة من معناها الحقيقى الى معنى مجازى مع تناس التشبيه .

(١) انتقال دلالة اللفظة من معناها الأصلي إلى المعنى الآخر انتقالاً مباشراً :

يتمثّل هذا الانتقال فيما بين العصرين الجاهليّ والإسلاميّ ، فبعد نزول القرآن الكريم حدث تطور واسع في معانى كلمات اللّغة العربيّة ومفرداتها . فمن المفردات الجاهليّة ماتُرك تماماً [١] ولم يعد له استخدام فى الاستعمال اللُّغويّ ، ومنها ما انتقلت دلالته إلى دلالةٍ قريبةٍ من الدلالة الأصليّة ، ومنها ماتجرّد من المعاني القديمة وارتدى مدلولاتٍ جديدةً ، كألفاظ العبادات ، والشعائر ، أو شؤون السياسة ، والحرب ، أو مصطلحات العلوم والفنون ،[٢] كل هذا حدث في فترة قصيرة من الزمن .

ومن بين ماورد من أمثلة في مؤلّفات لّغويي هذا القرن قول ابن السكيت : " وأصل " التَّيَمُّم " : القصد ، ويقال تيمّمته : إذا قصدْت له . قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيباً ﴾[٣] أي : اقصدوا لصعيدٍ طَيِّبٍ، ثمّ كَثُرَ استعمالهم هذه الكلمة حتّى صار التيمُّم : مسح الوجه واليدين بالتُّراب . "[٤]

---

(١) انظر ص من هذا البحث .

(٢) ينظر : فقه اللغة ،د/على عبدالواحد وافى (القاهرة ، دار نهضة مصر ، ط ٧) ص ١١٥ .

(٣) الآية رقم (٤٣) من سورة النساء ،ووردت أيضاً فى سورة المائدة آية رقم (٦) .

(٤) إصلاح المنطق ، ص ٣١٥ ،وانظر الحيوان ٣٣٢/١ ،وغريب الحديث ـ للهروى، طبع تحت مراقبة :د/محمدعبدالمعيدخان (الهند،دائرة المعارف العثمانية ،الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م) ١٢٦/٢ ،وينظر : غريب الحديث لابن قتيبة ١٦١/١ .

فانتقال المعنى هنا من المعنى الأصلي وهو القصد ، إلى المعنى الثاني وهو مَسْحُ الوجه واليدين بالتراب ، انتقالٌ مباشر ٠

ومنه أيضاً قول الجاحظ : " ومن الأسماء المحدثة التي قامت مقام الأسماء الجاهليّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجّ : صرورة ٠ وأنت إذا قرأت أشعار الجاهليّة وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلاف هذا الموضع ٠ قال ابن مقروم الضَّبِّيّ :

لو أَنَّها عَرَضت لأَشْمَطَ راهبٍ
عبدِ الإلهِ صَرُورةٍ مُتَبَتِّلِ

لدنا لِبَهْجَتِها وحسنِ حديثِها
ولَهَمَّ من ناموسِه بتَنَزُّلِ

والصّرورة عندهم إذا كان أرفع النّاس في مراتب العبادة ٠ وهو اليوم اسم للّذى لم يحج إمَّا لعجز ، وإمَّا لتضييع ، وإمَّا لإنكار ٠ فهما مختلفان كما ترى ٠ "(1) فمعنى الصرورة في الجاهلية الذى لم يتزوج(2) وانقطع للعبادة ، أمَّا فى الإسلام فقد اختلفت الدلالة ، فأصبحت تعني الذي لم يحج قط ٠ وكلا المعنيين يدوران في إطار واحد ، هو الانقطاع فى كلٍ ، سواء أكان عن الحجّ أم عن الزواج ٠

ومن ذلك أيضاً قول ابن قتيبة : " وأصل السجود : التَّطاطؤ والميل ، يقال : سجد البعير وأسجد : إذا طُوطِئَ ليُرْكب ، وسجدت النخلة : إذا مالت

---

(١) الحيوان ٣٤٧/١ ، وانظر : ديوان النابغة الذبيانى ، بشرح ابن السكيت ، تحقيق : د/ شكرى فيصل (بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، د / ت) ص ٣٣ ٠

(٢) ذكر هذا ابن السكيت فى : شرح ديوان النابغة ، ص ٣٣ ٠

قال لبيد يصف نخلاً :

غُلْبٌ سواجِدُ لم يَدْخُل بها الحَصَـرُ

فالغُلْبُ : الغِلاظ الأعناق . والسَّواجد : المواثل . ومن هذا قيل لمن وضع جبهتَهُ بالأرض : ساجد ، لأنه تطامن في ذلك . "(١)

فانتقلت دلالة (سَجَدَ) من التطأطؤ والميل إلى معناها الذي ثبتت عليه في الإسلام ، ولم تبعد الدلالتان عن بعضهما ، لأن السجود فيه ميل وانحناء ، فهما في إطار واحد .

كذلك لفظة الماعون السابقة ، الّتي تعنى فى الجاهلية كلّ منفعة وعطيّةٍ ، أمّا في الإسلام فهى بمعنى العطيّة والزكاة (٣) .

وقد استُحدث كثير من الألفاظ الإسلامية ذات المدلولات الجديدة ، خَصَّصَ الرَّازِيُّ ـ فى القرن الرّابع الهجريّ ـ لها مصنفاً مستقلاً بعنوان : (الزينة في الكلمات الإسلامية " (٤).

(٢) انتقال دلالة اللفظ إلى دلالة أخرى بسبب التلازم بين الدلالتين :

ويتمثّل هذا النوع من الألفاظ بانتقال مدلول اللّفظة من مجال إلى

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، ص ٤١٧ ، وانظر: إطلاح المنطق ، ص ٢٤٧ .

(٢) غريب الحديث ، للهروي ١٥٦/١ ، ومجاز القرآن ـ لأبى عبيدة ١٢٨/١ ، وتفسير غريب القرآن ، ص ١٢٧ ، وإصلاح المنطق ، ص ٣١٥ ، والحيوان ٣٣٢/١ .

(٣) مجاز القرآن ، أبوعبيدة ٣١٣/٢ .

(٤) تعليق : حسين بن فيض الله الهمداني (القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ م .

مجال آخر ، كتسمية الشيء باسم موضعه • وفي الغالب يكون المجال الذي انتقلت إليه الدلالة قريباً من المجال الأول •

يحدث هذا النوع من التطور بكثرة استعمال الناس للكلمة ، عندما يخلطون بين اسم الشيء واسم موضعه ، لتلازمهما • وقد بَيَّن الجاحظ سبب هذا التطور بقوله : " وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملابستهم له " (١).

وقد ورد في مؤلفات لغويي هذا القرن كَمٌّ من الأمثلة الّتي تندرج تحت هذا النوع ، منها ما أورده أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي عند بيانه لدلالة كلمة (الغائط) حيث يقول : " •••• وكذلك الغائط من الإنسان • كان الكسائي يقول : إنَّمَا سُمِّي الغائط غائطاً لأنّ أحدهم كان إذا أراد قضاءَ الحاجة قال : حتّى آتي الغائط فأقضي حاجتي ، وإنَّمَا أصل الغائط المطمئن من الأرض ، قال : فَكَثُر ذلك في كلامهم حتى سَمَّوا غائط الإنسان بذلك • "(٢) •

فالتطور هنا يتمثل في تسمية غائط الإنسان باسم المكان ، مع اختفاء الدلالة الأصلية للكلمة •

ومن هذا قول الجاحظ ـ عند إيراده كلمة (العذره) ـ : " وإنَّمَا العذرة الفناء ،والأفنية هي العذرات ، ولكن لَمَّا طال إلقاؤهم النَّجْو

---

(١) الحيوان ٣٣٢/١ •

(٢) غريب الحديث ١٢٦/٢ ، وانظر : الحيوان ٣٣٢/١ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١٦١/١ ،وإصلاح المنطق ، ص ٣١٥ ، وتفسير غريب القرآن ص ١٢٧ ، ومجاز القرآن ١٢٨/١ ، وغيرها من مؤلفات لغويي هذا القرن •

والزَّبل فى أفنيتهم ، سُمِّيت تلك الأشياء الّتي رموا بها ، باسم المكان الذى رُمِيَت به . وفى الحديث : " أَنْقُوا عذِراتكم " .... ولكنهم لكثرة ماكانوا يُلقون نجوهم فى أفنيتهم سَمَّوها باسمِها . " (١).

كذلك عرض غالبيةُ علماء هذا القرن لكلمتى (المزادة ـ والراوية) فيقول أحدهم عنها : " .... فقد يجوز لأنَّ العرب تُسَمِّي الشىء باسم غيره إذا كان معه أو من سببه ، كما قالوا للمزادة : راوية . وإِنَّما الراوية البعير الذى يُسْتَقى عليه ، فَسُمِّيَت المزادة راوية به لأَنَّها تكون عليه ."(٢)

فسميت المزادة باسم حاملها نظراً للتلازم الكائن بين الكلمتين .

ومن الأمثلة أيضاً قول الجاحظ : " ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّة موضع الخبزة ، فسموا الخبزة باسم موضعها ."(٣)

ومما سُمِّي باسم موضعه كلمة (الخلّ) ، فأَصل مدلول هذه الكلمة : الطريق في الرمل ، ثم ثبت المعنى الثاني المتطور إِليه ، وهو جعلها اسماً لمكانٍ مع بقاء استعمالها بمعناها العام(٤).

ومن ذلك أيضاً قول ابن قتيبة : " ومن ذلك " أشفار العين " يذهب الناس إلى أَنَّها الشعر النابت على حروف العين ، وذلك غلط ، إِنَّما الأَشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشعر هو الهُدب .... "(٥)

---

(١) الحيوان ٣٣٢/١ ، ٣٣٣ .

(٢) غريب الحديث ،لأبي عبيدالقاسم الهروي ،١٥٦/١،وانظر: الحيوان ٣٣٣/١ وشرح شعر زهير ابن أبي سُلمى ،لأَبي العباس ثعلب ،تحقيق :د/ فخر الدين قباوه (بيروت ،منشورات دار الآفاق ،الطبعة الأولى ،١٤٠٢هـ) ص ٣٣ .

(٣) الحيوان ،٣٣٣/١ .

(٤) الكامل ، للمبرد ، ١٢٩٤/٣ ،١٢٩٦ .

(٥) أدب الكاتب ،ص ٢١ ، وينظر : إصلاح المنطق ،ص ١٢٣ .

فنرى ابن قتيبة فى النص السابق يخطىء استعمال العامة فى عصره بناء على اختلاف مدلول الكلمة عما كانت عليه فى الأصل ، مع ايراده لمدلول الكلمة الأصلى . وبهذا يتضح التطور .

والأمثلة على هذا النوع لايتسع المقام لذكرها ، وما أوردته انما هو على سبيل المثال لا الحصر .

(٣) انتقال دلالة اللغة بعدة أطوار :

ونعنى بهذا النوع مرور الكلمة فى تطورها بعدة مراحل ، حتى تثبت على المعنى الأخير لها . ومثل هذا النوع قليل فى مؤلفات لغويى هذا القرن . ومن بين ماورد فى ثنايا مؤلفاتهم قول بعضهم :" ... الحنيف فى الجاهلية من كان على دين ابراهيم ، ثم سمى من اختتن وحج البيت حنيفا لما تناسخت السنون ، وبقى من يعبد الأوثان من العرب قالوا : نحن حنفاء على دين ابراهيم ، ولم يتمسكوا منه الا بحج البيت ، والختان ، والحنيف اليوم : المسلم ، قال ذو الرمة :

اذا خالف الظل العشى رأيته
حنيفا ومن قرن الضحى يتنصر

يعنى الحرباء ." (١)

ونلاحظ أن أباعبيدة اقتصر على طورين من أطوار انتقال مدلول الكلمة ولم يذكر أصل المدلول وقد ورد فى جمهرة اللغة عن ثابت قطنة عن أبيه : قال " كناف الجاهلية بعمان إذا أردنا الحج ، قلنا : هلموا نتحنف ، وأصل الحنف : الميل ، وتقول العرب لمن مالت كنتا رجليه إلى بعضهما : أحنف ، ومن ثم قيل لإبراهيم عليه السلام حنيف من قبل النصارى، لأنه مال عن دينهم ، ويحمل لمن فعل فعله حنيف لأنه هَال عن دين العرب

---

(١) مجاز القرآن ، ٥٨/١ .

الجاهلي إلى دين إبراهيم ، قال جران العود :

وأدركن أعجازا من الليل بعدما
أقام الصلاة العابد المتحنف

وصار الحنيف علماً بالغلبة على إبراهيم عليه السلام ، فلما ظهر الإسلام ، ونبذت عبادة الأوثان والأصنام وعدل المسلمون عنها سموا حنفاء لميلهم إلى الحنفية ، وكثر المسلمون وأصبحت الحنفية تعني الاستقامة على دين الإسلام والميل عن الكفر " (١).

ومما تقدم بدا لنا واضحا أن كلمة الحنيف مرت فى تطورها بثلاث مراحل :

(١) الميل (وهو أصل مدلول اللفظة) ٠
(٢) من كان على دين إبراهيم أو فعل فعلاً من سمات الحنفية ٠
(٣) الإسلام ٠

(٤) انتقال دلالة اللفظة من معناها الحقيقى إلى معنى مجازى مع تناسى التشبيه :

ونعنى بهذا النوع انتقال دلالة الكلمة من دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية كالإستعارة أو التشبيه أو غيرها ٠ ثم تنوسى هذا التشبيه مع توالى العصور ، وثبتت الدلالة المجازية بدلاً من الدلالة الحقيقية ، لأن المعنى الحقيقى أهمل بعد أن ثبت المعنى المجازى ،وحل محل الحقيقى ٠

ومن أمثلة هذا النوع قول ابن قتيبة :" والأنكاث : مانقض من أخلاق بيوت الشعر والوبر ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد ، وكذلك مانقض من خلق الخز ٠ ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك : ناكث ، لأنه نقض ماوكد على نفسه بالأيمان والعهود ، كما تنقض الناكثة

---
(١)

غزلها . "(١)

فالتطور يكمن في أَنَّ النكث كان في الأصل للغزل ، ومن ثم انتقلت الدلالة انتقالاً مجازياً لنقض العهد ، حيث شُبِّه ناقِضُ العَهْدِ بناكثة الغزل ، ثم تُنُوسِي هذا التشبيه مع مَرِّ العصور ، فثبتت الدلالة المجازية واشتهرت ، فصارت حقيقةً .

ومن هذا أيضاً قول المبرّد : " الثرثارون " : يعني الذين يكثرون الكلام تكلّفاً وتجاوزاً ، وخروجاً عن الحقّ . وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء ، يقال : عين ثَرْثَارة . وكان يقال لنهر بعينه الثرثار ، وإنَّما سُمِّي به لكثرة مائِه ..... "(٢) فالتطور هنا يتمثل في نقل استعمال كان في الأصل مجازاً ، ثم تُنُوسِي التشبيه فأصبح حقيقة .

ومن الأمثلة أيضاً قول ثعلب - في قوله تعالى : ﴿ .... وَيَمُدُّهُم فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٣). " .... والطغيان : هو الضلال . وقال : أصل الطغيان : الارتفاع ، ومنه طغى الماء ، أي ارتفع . قال : ثم ضُرِب مثلا للمتكبر . " (٤) .

فتطورت دلالة اللفظة بالنقل إلى المجاز ، ثم ثبت المعنى المجازيّ ، حتى أصبح كالحقيقة ، بعد أَنْ تُنُوسي الطغيان بمعنى الارتفاع .

كما عرض المبرّد لحديثٍ عن عمرو بن بحر الجاحظ جاء فيه : " ..... وكان الغنوي مُتَمَكِّناً من لسانه ، وكان الفزاريّ بكيئا..." .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ،ص ٣٨٦ ، وينظر - أيضاً - في غريب الحديث .

(٢) الكامل ١/ ٧ ، ٨ .

(٣) الآية رقم (١٥) من سورة البقرة وقد وردت في الأصل (وهم) والصواب كما ذكرت .

(٤) مجالس ثعلب ٢/ ٦٦٤ .

فقال المبرد : " قوله : " كان بكيئاً " يقول : غير قادر على الكلام ، وأصل ذلك في الحَلْب ، يقال : ناقةٌ غزيرةٌ وناقةٌ " بكىء " ..."(١)

فالتشبيه في هذا المثال تُنوسي ، وأَصْبَح يُقَال : فلانٌ بكىء دون تذكر " الحلب " الذى يُعَدّ المعنى الحقيقيّ للكلمة ، ذلك لأَنَّ المعنى المجازيَّ أخذ مكانه ، ولم يَعُد معنى البكىء الحلب في الاستعمال اللغوي .

كذلك الشأن بالنسبة لأصل كلمة " الجِلْف " الّتى كانت تعنى أجلاف الشاة ، ثم اشتُق من هذا ، المدلول المعنوي . فيقول ابن السكيت عن هذه الكلمة : " وقولهم : " أعرابي جِلْف " أصله من أجلاف الشاة ، وهي الشاة المسلوخة بلا قوائم ولا رأس ولابطن . "(٢)

فأصل معنى الكلمة لم يعد يستخدم ، حيث انتقلت دلالة كلمة (جلف) من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ ، وتُنُوسي التشبيه ، فأصبحت الكلمة تدلّ على الإنسان الغليظ الذى لايُمَيز .

ومِمَّا سبق نُدْرِك مدى تَنَبُّه اللّغويين القدماء لدلالات ألفاظ اللغة ، ودقتهم في بيان ماوصلت إليه اللفظة من تطور في المدلول ، مع بيان المعنى الأصليّ لها . ولاشكّ في أَنَّ هذا التأصيل للدلالة والوقوف على تطورها يُعَدّ من أهم الأعمال الدلالية التى تنبه لها القدماء .(٣)

---

(١) الكامل ٩٧٣/٢ .

(٢) إصلاح المنطق ، ص ٣١٧ .

(٣) للمزيد من الأمثلة ينظر : أدب الكاتب عند قوله : " لاتُبَلّم عليه " ص ٥٤ ، وإصلاح المنطق عند قوله : " خاس البيع " ص ٥٨ ، و ص ٣١٧ نفس اللفظ ، والكامل ـ للمبرد ، مادة (طبع) ١٤٠١/٢ ـ ١٤٠٢ ، ومجالس ثعلب ، مادة (فجر) ٤٠٢/٢ .

الفصل الرابع

الارتباط بين الألفاظ والمعاني

ويشتمل على :

- تمهيد
- نبذة تاريخية عن بيان جذور القول في العلاقة
- معالجة لغويي القرن الثالث لهذه العلاقة
- المستويات التطبيقية التي تناولوها لاثبات الارتباط .
- آراء بعض اللغويين المحدثين في العلاقة

العلاقة بين الألفاظ ومعانيها

تمهيد :

اللغة في مجملها تتكون من عنصرين أساسيين هما : اللفظ والمعنى، فاللفظ هو الدّالّ، والمعنى هو المدلول، وبينهما ارتباط وثيق ، هذا الارتباط هو العلاقة - أو النسبة - بين كل من الألفاظ ومعانيها . لذلك يقوم جوهر البحث اللغوي عامة، والدلاليّ خاصة على دراسة وبيان مدى وجود العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها .

وقد كانت العلاقة بين الكلمة ومدلولها (وهي دراسة ميتافيزيقية[١] كالكلام في أصل اللّغة) من نصيب الفلاسفة أكثر مِمَّا كانت من نصيب اللّغويّين . لذلك تعددت الآراء وكان هذا الموضوع محلّ نقاش وجدل منذ أقدم العصور . وهذه الأرآء لاتخرج في مجملها عن ثلاثة اتجاهات[٢].

الأول : قول بعض العلماء بأن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها علاقة طبيعية، كالصلة بين الكلمات الدالة على أصوات الإنسان وأفعاله ، من شخيرٍ وزفيرٍ . أو كالقضم والخضم والقرم وغيرها بالنسبة للأفعال .

أو مايدلّ على أصوات الحيوان ، كهدير الجمل ، وفحيح الأفعى ، وصهيل الحصان ...

أو الكلمات الدّالة على أصوات الأشياء ، كخرير الماء ، وحفيف الشجر، وشخب اللبن ، ومايتّصل بها من أفعال .

الثاني : ومنهم من قال إنَّ هذه العلاقة لاتعدو أن تكون علاقة

---

(١) المقصود بها معرفة ماوراء الطبيعة .

(٢) ينظر: دراسات لغوية، فؤاد ترزي (سوريا، دمشق ، ١٩٦٥م) ص ٥٣ .

اعتباطيّة ويقصد بها مايضعه الإنسان لمسمّيات الأشياء " بشكل اعتباطيّ لا أثر فيه لصلةٍ بين اللفظ والمعنى ، ولا لمنطق تقوم عليه التسمية "(١) كلمة شجرة ، وحصان ، وجبل ... إلخ .

الثالث : ومنهم من يرى أنّ هذه العلاقة وضعيّة، تواضع عليها مجموعة من البشر، مراعين في ذلك الكلمة ومدلولها .

هذه الآراء الثلاثة عرضها جُلّ العلماء قديماً وحديثاً ولم يقتصر القول فيها على اللغويين دون سواهم، لذا كانت الألفاظ والمعاني محور الدراسات النقدية ، والأدبية، والفقهية، والفلسفية، وغيرها ، عبر العصور التاريخية .

---

(١) السابق نفسه ، ص ٥٤ .

نبذة تاريخيّة عن جذور العلاقة

اهتمّ اللّغويون قديماً وحديثاً بهذه الظاهرة اهتماماً بالغاً ، ولم يقتصر القول فيها على العرب وحدهم ، لذا لابد من إلقاء نظرة سريعة، نتعرف من خلالها على جذور هذه الظّاهرة وأبعادها .

فيرى بعض المحدَثين(١) أنّ موضوع علاقة الألفاظ بمعانيها ربما جذب الهنود قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين ، فقد ذهبوا فى إثبات العلاقة أو نفيها مذاهب متعددة .

" فنجد بعضهم يرفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلاً : إنَّ كل شيء .... يتصور مقترناً بالوحدة الكلامية ... الخاصة به أو الدَّالة عليه ، ولايمكن فصل أحدهما عن الآخر وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصراً من العناصر المكونة للشيء .... كما نعتبر الطين السبب المادي أو الرئيسى لكل الموادّ الترابية . "(٢) .

وبعضهم يصرح بأَنَّ العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة، وفطرية أو طبيعية . وربما كان أصحاب هذا الرأي هم الذين يرون أنّ النشأة الأولى للّغة قامت على أساس محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة .

كذلك يرى بعضهم الآخر ضرورة وجود نوع من العلاقة بين اللفظ ومعناه شبيهة بالعلاقة اللُّزوميّة بين النّار والدّخان . بمعنى أنَّ هذا

---

(١) البحث اللغوي عند الهنود ، د/أحمد مختار عمر (بيروت ، لبنان ، دار الثقافة ، ١٩٧٢ م) ص ١٠١ .

(٢) السابق نفسه ، ص ١٠٢ .

الفريق يرى وجود العلاقة بين بعض الألفاظ ومعانيها ، بينما تنتفى في بعضها الآخر . ككلمة بقرة ـ مثلاً ـ قالوا بعدم وجود الصلة بين هذا اللفظ والشَّيْءِ المُسَمَّى به ، كالصّلة الّتى يرونها بين النّار والدخان .

أما الفريق الرابع فيرفض وجود العلاقة بين الألفاظ والمعاني ، كما ينكر وجود العلاقة الطبيعية بينهما ويعتبر أَنَّ أَيّ محاولة من هذا النوع تعسُّفاً وتجاوزاً للحدّ المعقول . كما يرى أَنَّ الصلة بينهما مجرد علاقةٍ حادثة مرتجلة ـ ولكن طبقاً لإرادة إلهيّة.(١) وهذا ما نادى به غالبية علماء الغرب (٢).

وتلا الهنود اليونانيون في حديثهم عن هذه الظاهرة حيث انقسموا إلى فريقين :

(أ) فريق قال بأَنَّ الصلة بين اللّفظ ومدلوله صلة طبيعية ، ويتزعم هذا الفريق أفلاطون ، يتّضح رأيه من خلال محاوراته حيث يقول على لسان كراطيلوس : " إنَّ اطلاق الأسماء طبيعي وليس اصطلاحياً ، وأَنَّه ليس جزءاً من الصوت الإنساني الّذى اعتاد الناس استعماله ..."(٣).

وقد ذهب إلى هذا الرأى أيضاً (بروديكوس) ، وسوفسطائيو القرن الخامس قبل الميلاد (٤).

(ب) وذهبت الطائفة الأخرى إلى القول بعدم وجود الصلة الطبيعيّة بين الألفاظ ومدلولاتها ، وأَنَّ هذه الصلة لاتعدو أَنْ تكون عرفية

---

(١) السابق نفسه ، ص ١٠٤ .
(٢) ينظر : مناهج البحث فى اللغة ، د/ تمّام حسان ، ص ٢٧٥ فما بعدها .
(٣) الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٢٠٤ .
(٤) علم اللغة ، د/السعران ، ص ٣١٩ .

اصطلاحية تواضع عليها المجتمع البشريّ ، وكان المتزعّم لهذا الفريق أرسطو(١). يتّضح هذا من قوله : " الاسم هو لفظة دالّة بتواطؤ .... فأمّا قولنا بتواطؤ فمن قبل أنّه ليس من الأسماء اسم بالطبع إلّا إذا صار دليلاً ، فإنّ الأصوات أيضاً لاتكتب بحدها فتبدل ، مثل أصوات البهائم ، إلاّ أنّه ليس شيءٌ منها اسماً ."(٢)

وظلت هاتان الكلمتان (العرفية والطبيعية) محل جدل ونقاش بين مفكرى اليونان من لغويين وفلاسفة (٣).

فإذا ماانتقلنا إلى العرب القدماء، وجدناهم قد شُغلوا بالألفاظ والمعاني من العصور الجاهليّة . فجميع الأحكام النقدية كانت مبنية على مراعاة اللفظ والمعنى . حيث كان الشعراء يحتكمون لعالم منهم، يعرضون عليه أشعارَهم فيُقَوِّمها ومِمَّا يُرْوَى عن الأصمعيّ قوله : " كان النَّابغة الذُّبْيَانِيّ تضرب له قُبَّة حمراءُ من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها . قال : فأوّل من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبوبصير ، ثم أنشده حَسَّان بن ثابت الأنصاريّ :

لنَا الجفنات الغُرّ يَلْمَعْنَ بالضُحَى
وأَسيافنا يقطرن من نجدة دَما
ولَدْنَا بَنِي العنقاء وابني محرِّقٍ
فأكرم بنا خالاً وأَكرم بنا ابْنَمَا

---

(١) دلالة الألفاظ ، ص ٦٣ .

(٢) منطق أرسطو ،تحقيق:عبدالرحمن بدوى(القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية ،١٩٨٤م) ٦٠/١ من كتاب العبارة - ترجمة : اسحق حنين .

(٣) دلالة الألفاظ ، ص ٦٣ ، وانظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب قضية الرمزية الصوتية ، د / البدراوي زهران (مصر ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ م) ص ١٧ فما بعدها .

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنّك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تَفْخَر بمن ولدك . "(١)

فنقد النابغة هنا يَنْصَبُّ على قول حَسَّان : " وأسيافنا " ، حيث إنَّ هذا الجمع للقلّة وجمع الكثرة منه " سيوف " ، وكذلك الشأن بالنسبة للجفنات . كما أَنَّ الشاعر فخر بأَبنائه وترك الفخر بآبائه .

ويروى أَنَّ النابغة قال لحَسَّان : " أقللت أسيافك ولمعت جفانك " يريد قوله " لنا الجفنات الغر " والغُرّة لمعة بياض في الجفنة فكأن النابغة عاب هذه الجفان وذهب إلى أَنَّه لو قال : " لنا الجفنات البيض فجعلها بيضاً كان أحسن . فلعمرى أَنَّه أَحْسن فى الجفان إلاّ أَنَّ الغر أجل لفظاً من البيض . " (٢).

ولاشك أَنَّ حكم النابغة على شعر حَسَّان يتمثل فى عدم مراعاته الألفاظ والمعاني .

أمّا علماء العربيّة القدماء ـ في القرنين الأول والثاني ـ فقد تحدّثوا عن العلاقة من خلال إيرادهم بعض الأمثلة التطبيقية الدَّالة على وجود هذه العلاقة، ومن بينها ماورد في كتاب الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥ هـ) عند عرضه لأسماء الأصوات وماتدلّ عليه ، وذلك في مواضع كثيرةٍ من كتابه، منها قوله : " الخرير : صوت الماء وصوت الريح . وخرير

---

(١) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ، للمرزبانيّ ، تحقيق : محب الدين الخطيب (القاهرة ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ هـ) ص ٥٤ ، ٥٥ . وينظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م ـ ١٣٨٦ هـ) ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) الموشح ، ص ٥٥ .

العُقاب : حَفِيفُها ٠ وقد يضاعف إِذا تُوُهِّم سرعة الخرير في القصب فيُحمَل على الخَرْخَرة ٠ وأمَّا في الماء فلا يقال إِلاَّ خَرْخرة ٠ والهرة تَخِرُّ في نومها فهي خرور ٠٠٠٠ "(١).

نلحظ من النَّصّ السابق دلالة اللفظ على مدلوله دلالة طبيعية ، فالأصوات التى تتكون منها مادة (خَرَّ) تُحاكي مايقابلها في الطبيعة من أصوات ٠

وكقوله عند عرضه لمادّة (خَضَمَ) : الخَضْمُ : الأكل والمضغ بأقصى الأضراس ٠ والخضم : شِدّة الأكل فى رغد ٠ والخضم : نحو أكل القِثّاء ونحوه ، وهو الأكل بجميع الفم ٠ "(٢)

فإشارة الخليل هنا تدلّ على تَنَبُّهه لهذه الظاهرة وإن لم يصرح ، إلا أَنَّ ماورد من أمثلة فى مؤلفه تَدُلّ على أَنَّ اللفظ قد يحاكى ما فى الطبيعة من أصوات ٠

وجاء بعد الخليل تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ) الَّذي لاحظ هذه الصلة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها ٠ يتمثّل ذلك في قوله : " ومن المصادر التى جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النَّزَوَان ، والنَّقَزَان ، وإِنَّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ٠ ومثله : العسلان والرتكان ٠٠٠ ومثل هذا الغليان ؛ لأنه زعزعة وتحرك ٠ ومثله الغثيان ، لأنه تجيُّش نفسِه وتَثَوُّر ، ومثله الخطران واللمعان ، لأَنَّ هذا اضطراب وتحرك ٠٠٠٠٠ "(٣)

---

(١) العين ، مادة (خرر) ١٣٩/٤ ٠

(٢) العين ، مادة (خضم) ١٧٩/٤ ٠

(٣) الكتاب ١٤/٤ ٠

فمجموعة الأصوات التى يتكون منها المصدر تدلّ دلالة طبيعية على مايقابلها من معنىً • وقد توسّع معظم لغويي القرن الثالث في هذه الظاهرة وإنْ كانت الجوانب التطبيقية قد طغت على أقوالهم النظريّة ، إلاّ أَنَّه استبان ــ من خلال ما أوردوه من أمثلة ــ معرفتهم بها •

وفيما يلى سأعرض للعديد من المستويات التي أثبت لغويو القرن الثالث من خلالها الربط بين بعض الكلمات ومدلولاتها •

المستويات التطبيقية التي أثبت لغويو القرن الثالث من خلالها الارتباط بين اللفظ والمعنى

أولاً : الدوران :

والمقصود منه : تفرع اشتقاقات المادة بمختلف معانيها حول معنىً أصلي يجمعها " وأقوم مناهجه الاعتماد على الاستعمالات الحسية فى استنباط المعنى الأصلي "[١].

وقد تَنَبَّه له اللغويون قديماً ، وأول من تنبّه لهذا النوع الخليل بن أحمد الفراهيديّ وتبعه غيره من اللّغويّين المتأخّرين عنه .

ومن بين ما أورده قوله : " المَعْقُ : البُعْد في الأرض سُفْلاً . بِئر مَعيقةٌ ..... والعُمْق والمَعْق لغتان ، يختارون العمْقَ أحياناً فى بئر ونحوها، إذا كانت ذاهبة في الأرض ، ويختارون المَعْق أحياناً في الأشياء الأُخَر، مثل الأودية والشِّعاب البعيدة فى الأَرض .... والمعنى كلّه يرجع إلى البُعْد والقَعْر الذاهب فى الأرض . الفَجُّ العميق : المِصْرُ البعيد .."[٢].

وقد توسّع لغويو القرن الثالث فى هذا النوع حتّى أنَّ بعضهم حاول إحصاء أكثر استعمالات المادة وردَّها إلى معنى واحد، وممَّا ورد ممّا يندرج تحت هذا النوع قول ابن قتيبه ـ عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[٣] ـ : " فإنَّما يريد بالكفار

---

(١) المعنى اللغوي ، ص ١١٢ .

(٢) العين ، مادة (معق) ١٨٧/١ .

(٣) الآية رقم (٥٧) من سورة الحديد .

هاهنا الزُّرَّاع ، وأحدهم كافر . وإنَّما سُمِّي كافراً ، لأَنَّه إذا ألقى البذر في الأرض كفره ، أي:غطّاه ، وكل شيء غطّيته فقد كفرته ، ومنه قيل : تَكَفَّر فلانٌ في السلاح ، إذا تَغَطَّى . ومنه قيل للّيل كافرٌ ، لأَنَّه يستر بظلمته كلَّ شيء . ومنه قول الشاعر :

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً

في ليلة كَفَرَ النجومَ غَمامُهَا

أي : غطّاها . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾(١) "(٢) .

وزاد في كتاب آخر له قوله : " ومنه كافور النخل ، وهو قشر الطّلْعة .... لأَنَّه يغطِّي الكُفُرَّى .... "(٣) كما ذكر بأَنَّ الكافر سُمِّي كذلك لأَنَّه ساتر للحق وسائر نعم اللّه عزّ وجلّ (٤) .

فَمِمَّا سبق نرى أَنَّ تفرُّع اشتقاقات المادّة ومعانيها تدور حول معنى أصليّ يجمعها وهو التغطية .

كما بَيَّن ابنُ قتيبة معاني اشتقاقات مادة (جَنَّ) فقال : " الجِنُّ من " الاجتنان " ، وهو الاستتار . يقال للدّرع : جُنَّةٌ ، لأَنَّها سترت . ويقال : أَجَنَّهُ الليل ، أي : جعله من سواده في جُنَّةٍ ، وَجَنَّ عليه الليل . وإِنَّما سُموا جِنّاً : لاستتارهم عن أبصار الإِنس . وقال بعض المفسرين في

---

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة الفتح .
(٢) تأويل مشكل القرآن ، ص ٧٦ ، وانظر: النخل ، للسجستاني ،ص ٦٩ .
(٣) غريب الحديث ، لابن قتيبة ، ٢٤٧/١ .
(٤) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٢٨ ، وينظر : إصلاح المنطق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾(١) ، أي : من الملائكة . فسَمَّاهم جِنًّا : لاجتنانهم واستتارهم عن الأبصار . "(٢).

كما عرض لهذه اللفظة المبرّد ، وزاد على ما أورده ابنُ قتيبة قوله : ـ " .... يُقال للقبر جَنَنٌ ، والجَنينُ الَّذي في بطن أُمِّه ، والمِجَنُّ : التّرْسُ لأَنَّه يَسْتُر ، والمجنون : المُغَطَّى العقل ، ..... " (٣)

فَمِمَّا سبق من قولي ابن قتيبة والمبرد يَتَّضح أَنَّ معاني مادة (جَنَّ) تدور جميعها حول معنى واحد وهو التغطية والاستتار . فَسُمِّي القبر جَنَنَاً لأَنَّه يستر من فيه ، كما سُمِّي الجَنِين جنيناً لأَنَّه مُسْتَتِرٌ في بطن أُمِّه ، وكذلك سَمَّوا الجِنّ جِنّاً لاستتارهم عن الإنس ، وهكذا في بقية معاني استعمالات المادة .

ومن الأمثلة أيضا قول أبي حاتم : " ونخلة مُبتِل : إذا قُطِع منها فسيلها . ودار بتيل : منقطعة من الدور . والبتيل اسم حصن باليمامة . ويقال : أعطاه عطاءً بَتّاً بَتْلاً . وقال : البَتُّ أيضاً القطع ، وانبتات المرأة : إذا انفردت عن القوم ، والمُبَتَّلَة الخَلْق : التي كأنها لم يؤلف بعض خَلْقها ببعض . وقيل لعيسى بن مريم ـ صلى الله عليه ـ ابن العذراء البَتُول . والبتيل أيضاً المنقطعة إلى ربها ..... وفي الحديث "نهى عن التبتل ، يعني الانقطاع من النّاس كفعل الرهبان . " (٤) فالمعنى الأصلي

---

(١) الآية رقم (٥٠) من سورة الكهف .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢١ .

(٣) الكامل ٢٨٢/١ ، وانظر : خلق الانسان ، لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، ص ٧ .

(٤) النخل ، لأبي حاتم السجستاني ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

للمادّة الذي يؤخذ من كل الاستعمالات السابقة هو الانقطاع . فالدار البتيل هي البعيدة والمنقطعة عن بقيَّة الدور ، ولانقطاع الحصن سُمِّي بتيلاً ، كما أنَّ البتّ بمعنى القطع ، فانبتات المرأة انقطاعها عن القوم . وهكذا في بقيّة الاستعمالات .

كما أورد أبوعبيدة ـ عند قوله تعالى : ﴿ ولاهضماً ﴾[١] ـ قوله : " أي ولا نقيصه ، قال لبيد :

وَمُقَسِّمٌ يُعطِي العشيرةَ حَقَّهَا
وَمُغَذمِرٌ لِحُقوقها هَضَّامُها

يقال : هضمني فلانٌ حقِّي ، ومنه هَضِيمُ الكَشْح : أي ضامر البطن .ومنه : ﴿ طَلْعُها هضيم ﴾[٢] قد لَزِقَ بعضه ببعضٍ وضمّ بعضه بعضاً ، ويقال : هضمني طعامي ، ألا ترى أنَّه قد ذهب "[٣]

فالمعنى الجامع في الاستعمالات السابقة هو الانتقاص في الشيء . فهضم الحقوق انتقاصها ، وهضم البطن انتقاصه وكذلك هضم الطعام وغيرها من الاستعمالات .

والأمثلة في هذا الباب أكثر من أن تحصى في مؤلفات القرن الثالث اللغوية [٤].

---

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة الشعراء .
(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة طه .
(٣) مجاز القرآن ٣١/٢ .
(٤) للمزيد من الأمثلة ينظر : إصلاح المنطق مادة (شعل) ، و ص ٢٦٨ ، مادة (أنضى) ، و ص ٧٧ ، ٧٨ مادة (خلج) ، والكامل ـ للمبرد ١٣٢٨/٣ مادة (كتب) ، ومعاني القرآن ـ للفراء ، ١٤٧/٢ ،والكامل ٤٤٣/١ مادة (عبط) . وغيرها .

ومما تقدم يتضح لنا أنّ هذا التأصيل لبعض المواد عَمَلٌ له قيمته اللّغويّة ، تتمثّل هذه القيمة في النقاط التالية :

(١) يحدّد المعنى اللغويّ الّذي تدور عليه معانى اشتقاقات المادة .

(٢) يُمَكِّننا من ضبط معاني تلك الاستعمالات وتحديدها بدقة .

(٣) يمكننا من وضع الألفاظ للمعاني الجديدة .

(٤) مرونة اللّغَة العربيّة فى كونها لغة اشتقاقٍ، وهذه ميزة من ميزاتها .

(٥) قدرة اللغة على مسايرة التقدم الحضاريّ .

وقد توسّع اللغويون – في القرون اللاحقة للقرن الثالث – فى هذا المبحث ، فنرى ابن فارس (٣٩٥ هـ) قد صَنَّف معجمه (مقاييس اللغة) على غرار دوران المادة حول أصل واحد أو أصول معينة .[١]

ثم ماقام به الراغب الأصفهانيّ من محاولة خاصّة بالألفاظ اللّغويّة في القرآن الكريم . وقد التزم برد استعمالات المادة إلى أصل واحد، وإنْ لم يصرح بذلك .

ثانيا : تعليل التّسمية :

ومِمّا يدل على إشارة اللُّغويّين إلى القول بالربط بين اللفظ ومعناه مانجده في مؤلّفاتهم من تعليل للأسماء . وأعنى بهذا أَنْ يكون في الاسم صفة أو ملحظ لحظه اللُّغويّون فى الاسم ، ومن أجل ذلك سُمِّيَ به .

---

(١) المعنى اللغوي ، ص ١١٧ .

وقد كانت هذه الظاهرة مألوفة لدى اللغويين القدماء حتى نهاية القرن الثالث ، يتضح ذلك من الأمثلة التى ضمنوها مؤلفاتهم . ولم أجد - فيما قرأت - من ينكر وجودها فى اللغة سوى الخليل بن احمد الفراهيدى الذى قال عند بيانه مادة (عكش) : (..... عكاشة : اسم . قلت للخليل: من أين قلت (عكش) مهمل ، وقد سمت العرب بعكاشه ؟ قال : ليس على الاسماء قياس وقلنا لأبى الدقيش : ما الدقيش ؟ قال لا أدرى ، ولم اسمع له تفسيرا . قلنا : اتكنيت بما لاتدرى ؟ قال : الاسماء والكنى علامات ، من شاء تكنى بما شاء ، لاقياس ولا حتم . "[١]

ففى هذا النص دليل على أن الأسماء لاتعلل ، غير أن الخليل ذكر فى مواطن كثيرة أسباب تسمية الأشياء ، ومن أمثلة ذلك قوله : " وسمى الكتيب لدقة ترابه ، كأنه منثور بعضه فوق بعض رخاوة " .[٢]

فربما فات عليه معرفة سبب التسمية السابقة ، لأن اللغة لايسبر لها غور أو كما قال الشافعى (رحمه الله) : " لايحيط باللغة الا نبى"[٣] وأما قوله : " ليس على الأسماء قياس " فلعله يقصد ليس لك أن تبنى منها الفعل ، أو المشتقات ، مادامت بهذه لم تسمع ، هذا مع التسليم بصحة الروايتين "[٤].

أما اللغويون فى القرن الثالث فقد توسعوا فى هذا البحث ،

---

(١) العين ، مادة (عكش) ١٩٠/١ .

(٢) السابق نفسه ، مادة (كثب) ٣٥١/٥ .

(٣) الصاحبى لابن فارس ، تحقيق : السيد أحمد صقر (القاهرة ، عيسى البابى الحلبى) ص ٢٦ .

(٤) فى تعليل الأسماء ، د/محمد حسن جبل ، بحث نشر فى جريدة المدينة المنورة ، عدد (٧٦٥٦) ، الخميس ٢٧ شعبان ١٤٠٨هـ ،ملحق التراث .

ولم أجد ـ على حد علمي ـ من ينكر هذه الظاهرة ، بدليل ماورد فى ثنايا مؤلفاتهم من تعليل لبعض الألفاظ التى أوردوها .

أما النصوص الصريحة فى هذا الموضوع ، فلم أجد إلاَّ نصاً لابن الأعرابيّ " المتوفى سنة ٢٣١ هـ) يقول فيه : " الأسماء كلها لِعِلَّةٍ خصت العرب ماخصت منه ، فمن العلل مانعلمه ومنها مانجهله فلم يلزم العرب جهله " (١) . ومَثَّلَ بعدة أمثلة من بينها تعليله لسبب تسمية مكة بهذا الاسم ، ذلك لأَنَّها تجذب الناس إليها ، كما أَنَّ البصرة سميت كذلك نظراً للحجارة البيض الرخوة بها ، والكوفه سُمِّيت أيضاً بهذا الاسم لازدحام الناس بها ، " من قولهم تكوّف الرمل تكوُّفاً: ركب بعضه بعضاً " ، كذلك سُمِّيَت البهيمة بذلك ، " لأنها أُبْهِمَت عن العقل والتمييز ، من قولهم : أمر مُبْهَم إذا كان لايُعْرَف بابه ، ..... "(٢).

فمن نص ابن الأعرابى السابق يتضح لنا أولا " ماقرره من أَنَّ الأسماء كلها معللة ، وثانياً : ماقرره من أَنَّ بعض العلل قد تغمض حتى ليصعب علينا استخراجها . وأخيراً ... ذلك المبدأ العلمي النفيس وهو أَنَّ جهلنا علة تسمية ما ، لايعني أَنّ العرب أنفسهم كانوا يجهلونها ـ أيضا ـ . وهذا يعنى توكيده أَنّ الأسماء كلها معللة .... "(٣)

كما عرض لهذا ابن قتيبة ، حيث أفرد باباً كاملا في " أصول أسماء الناس "(٤) أدرج تحت هذا الباب العناوين التالية : (المسمّون بأسماء البنات ، المسمَّون بأسماء الطير ، المسمّون بأسماء السباع ، المسمّون

---

(١) المزهر للسيوطى ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ورفقاه (القاهرة ، عيسى البابى الحلبى ، ط ٣) ١/٤٠٠ .

(٢) السابق نفسه ١/٤٠٠ .

(٣) فى تعليل الأسماء ، د/ محمد جبل .

(٤) أدب الكاتب ، ص ٦٧ .

بأسماء الهوامّ ، المسمون بالصّفات وغيرها) .

ضَمَّنَ هذه الأبواب عدداً من الأمثلة التي بحث من خلالها الأسباب التي دعت العرب إلى هذه التسميات . ومن بين ما أورده قوله : " السَّامُ عروق الذهب ، واحدتها سامةٌ ، وبها سُمِّيِ سامة بن لؤي " [(١)]. وقوله :"الأَخطل : من الخَطَل ، وهو استرخاء الأذن، ومنه قيل لكلاب الصيد " خُطْلٌ " "[(٢)].

يعني أَنَّه سُمِّيِ الأخطل بهذا الاسم لبروز هذه الصفة - التى أوضحها - فيه . وهكذا استمرّ في تحليل بقيّة الأمثلة التى سردها تحت هذا الباب .

كذلك فإنَّ الجاحظ يرى أَنَّ الاسم ليس إلاَّ صورة للمعنى الّذي يدلّ عليه ، تتمثّل رؤيته فيما ضَمَّنَه مؤلّفاته من أمثلة ، وَضَّحَ من خلالها العلاقة بين الاسم وعِلَّة تسميته .

وممّا ورد عنه قوله : " .....وإنَّما سُمِّيَ شوّال شوالاً ، لأَنَّ النوق شالت بأذنابها فيه . فإن قال قائل : قد يتَّفِق أن يكون شوّال في وقت لاتشول الناقة بذنبها فيه ، فلم بقيِ هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنَّما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق أن شالت النُّوق بأذنابها فيه ، فبَقِيِ عليه كالسِّمَةِ ، وكذلك رمضان إنَّما سُمِّي لرَمَض الماء فيه وهو في شدة الحَرّ ، فبقي عليه في البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنَّما سُمِّي لرعيهم الرَّبيع فيه .... "[(٣)].

فيبين لنا الجاحظ أن الاسم سمة للمعنى المعد له .

---

(١) السابق نفسه ، ص ٧٨ .
(٢) السابق نفسه ، ص ٧٩ .
(٣) البيان والتبيين ١٦٩/١ .

ولانكاد نجد مؤلّفاً مِنْ مؤلفات لغويي هذا القرن إلاّ وقد عرض لهذه الظاهرة ، بَيْدَ أن عرضهم هذا كان في الغالبية من خلال ما أوردوه من أمثلة .

وزيادة فى الإيضاح نُورد الأمثلة التالية :

أورد الفرّاء فى تعليله لسبب تسمية بَكّة بهذا الاسم فقال : " .... وإنَّما سُمِّيَت بَكّة لازدحام النَّاس بها ، يقال : بكَّ النّاس بعضهم بعضاً : إذا ازدحموا . "(١).

كما أورد ثابت بن أبى ثابت ـ عند تعرضه للفظة (الحَزَوَّرُ) ـ قوله : " الحَزَوَّر : دون المراهق ، وإنّما سُمِّي حزوَّراً ، لأنَّه نَتَأَ وارتفع من الأرض ، ..... "(٢)

كما أورد ابن السكيت حكايةً عن الأصمعيّ قوله : " والرَّفْض : مصدر رفضت الشيء أرفضُه ، إذا تركته . قال الأصمعي : ومنه سُمِّيت الرَّافِضَة ، لأنَّهم تركوا زيداً ...... "(٣)

كما ورد عن ابن قتيبة ـ عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ إنَّ علينا جمعه وقرآنه ﴾(٤) ـ قوله : " أي تأليفه . قال : وإنَّما سُمِّي قرآناً ، لأنَّه جمع السور وضمّها . " (٥)

كما علّل سبب تسمية البيت الحرام بـ (العتيق) لأنَّه عتيق من

---

(١) معاني القرآن ، الفراء ١/٢٢٧ .
(٢) خلق الإنسان ، لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، ص ١٧ .
(٣) إصلاح المنطق ، ص ٧٣ .
(٤) الآية رقم (١٧) من سورة القيامة .
(٥) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٣٣ .

التجبر ، فلا يتكبر عنده جبار (١) .

وقوله أيضاً في تعليل تسمية القَمَر بأنَّه سُمِّيَ بهذا الاسم لبياضه .(٢)

ومن الأمثلة الّتي أوردها ابن قتيبة ـ أيضاً ـ عند تعرضه لقول المرقش الأصغر :

وما قهوةٌ صَهْبَاءُ كالمسك ريحها

تُعَلّى على الناجود طوراً وتقدح

قوله ـ حكاية عن الأصمعي ـ : (سُمِّيَت قهوة ، لأنَّها تُقْهِي عن الطعام . أي: لايكثر من أدمن شربها منه ، ..... " (٣) .

وفي مؤلفات لغويي القرن الثالث العديد من الأمثلة اكتفي بما أوردته منعاً للاطالة .(٤)

في ضوء ماتقدم يتبيَّنُ لنا مدى قول العلماء بالصلة بين الألفاظ ومدلولاتها ، وذلك من خلال ما أوردوه من أقوال نظرية ، وأمثلة تطبيقية ، اتّضح من خلالها ربطهم الصريح بين الاسم وسبب تسميته ، وأنَّ هذا الربط ـ كما يقول الدكتور محمد جبل ـ ليس ربطاً عشوائيّاً ، بل لمحلظٍ لحظوه في المُسَمَّى " كالغرابة أو الندرة، أو الاحساس باختصاص الشيء بالصفة اللافتة، أو كثرتها فيه أو سبقها لإدراك الرّائي لأي سبب " (٥).

---

(١) السابق نفسه ، ص ٢٩٢ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٩٠ .

(٣) المعاني الكبير ، ٤٥١/١ .

(٤) للمزيد من الأمثلة ينظر : إصلاح المنطق ، ص ٦٧ عند عرضه للفظة (الخيف) ، و ص ٣٨١ عند عرضه للفظة (جفل) ، و ص ٣٨١ للفظة (كثب) . ومعاني القرآن للفراء ١٧٩/٣ عند تعرضه للفظة (الحاقه) ونفس المصدر ٢٣١/٢ لفظة (المنسك) ، وانظر : المعاني الكبير ٥٠/١ عند عرضه للفظة (الطريق) ،و ٥٣١/١ نفس السابق عند لفظة (النجم) وغيرها العديد من الأمثلة المنشوره في ثنايا مؤلفات لغويي القرن .

(٥) ينظر بحث في تعليل الاسماء .

ثالثاً : الأسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى [١]:

تكشفت ملامح هذه الظاهرة عند لغويي القرن الثالث . فأفرد لها ابن قتيبة باباً فى كتابه أدب الكاتب " بعنوان : " باب الأسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى " [١] كما عرض لها فى كتابه " تأويل مشكل القرآن" [٢] ضِمْنَ باب ذكر العرب وماخصّهم الله به من العارضة والبيان .... فيقول : " وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب مابين اللفظين كتقارب مابين المعنيين " .

وكان عرضه لهذه الظاهرة من خلال ضرب أمثلة تكاد تكون متطابقة فى كلا الكتابين ،دون شرح أو تعليق ، كما أَنَّ ابن قتيبة ـ فيما يبدو ـ لايشترط تقارب مخارج الحروف ، بدليل ما أورده تحت هذا الباب من أمثلة، حيث أورد كلمتي : (السلاس ، والهلاس) وقارب بين معنى الكلمتين بقوله : إِنَّ الهلاس فى البدن بينما السلاس في العقل . فنجد أَنَّ الهاء حرف حلقيّ ، بينما السين حرف أسليّ ، وكلاهما حرفا استفال،فاشتركا في الصفة، وإنْ ابتعد المخرجان . كما أَنَّ ابن قتيبة قد أدخل التقارب فى معنى الأبنية المختلفة ، ومَثَّل على هذا بقوله : " و " الربع " الدار بعينها حيث كانت ، و " المَرْبَع " المنزل في الربيع خاصة " [٣] .

ومن بين ما أورده من أمثلةٍ ـ متقاربة في مخارج حروفها مع التقارب في معانيها ـ قوله : " النّار الخامدة : التي قد سكن لهبها

---

(١) هذا العنوان هو عنوان ابن قتيبة من كتابه أدب الكاتب ، ص ٢٠٠ . وقد أسماه ابن جنى فى القرن الرابع :(باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) .

(٢) انظر : ص ١٦ .

(٣) أدب الكاتب ، ص ٢٠٢ .

ولم يُطْفأ جمرها ، والهامدة : التى طَفِئَتْ وذهبت البَتّة . "(١)

فالتقارب بين الكلمتين يتمثّل في حرفين حلقيّين هما : (الخاء والحاء) ، أمّا بقيّة الأحرف التى اشتملت عليها الكلمتان فهي واحدة . فالهاء تعدّ من أخفى الحروف مخرجاً ، ولخفائها ناسب معناها اختفاء النّار تماماً وانقطاعها . بينما نجد مخرج الخاء أكثر وضوحاً منه في الهاء ، فناسب صوتها ماتدلّ عليه من سكون اللّهب ، مع عدم انقطاع النار واختفائها فتقاربت المعاني هنا؛ نظراً لتقارب الألفاظ .

وممّا أورده ابن قتيبة أيضاً قوله : " وللأكل بأطراف الأسنان (قضم) وبالفم (خضم) "(٢) .

نرى فى هذا المثال أنّ معنى الخضم ، وهو أكل الشئ الرطب ، قد ناسبه حرف الخاء ، لِمَا يَتّصِف به من الرخاوة والهمس . وناسب معنى القضم ، وهو أكل الشئ اليابس ، حرف القاف ، لما يتصف به من الشدة والجهر ، كما أنّ الحدث الخارجي الذي يحدثه الخضم والقضم يحاكي صوتي القاف والخاء .

ومن الأمثلة قوله : " (الغلط) في الكلام ، فإنْ كان فى الحساب فهو (غلت) "(٣) والتقارب اللفظي هنا يتمثّل فى حرفي (الطاء ، والتاء) ، فكلا الحرفين يتصف بالهمس والإصمات والانفجار ، إلا أنّ الطاء

---

(١) السابق نفسه ، ص ٢٠١ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ، ص ١٦ .
(٢) ينظر : أدب الكاتب ، ص ٢٠١ ، وكنز الحفاظ فى تهذيب الألفاظ ، التبريزي ، وقف على طبعه وعلّق عليه : الأب لويس شيخو اليسوعي (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعين ، ١٨٩٥ م)ص ٢٠٢، ومجالس ثعلب ٤٩٨/٢ .
(٣) أدب الكاتب ، ص ٢٠٠ ، وتأويل مشكل القرآن ، ص ١٦ .

تتّصف بالإطباق ، فناسب هذه الصفه مجئ المعنى عاماً . بينما نجد المعنى مع التاء خاصاً بالغلط في الحساب .[(١)]

وقوله أيضاً : " (النضخ) أكثر من (النضح) ولايقال من النضخ فعلت . " [(٢)] كثيراً ماتتقارب معاني الألفاظ التى يتقابل فيها حرفا الحاء والخاء . لتقارب المخرج في كلّ منهما ، واشتراكهما فى أكثر الصفات ، إلاّ أنّ الخاء مستعلية ، فناسب ذلك قوة المعنى ، وهو اندفاع الماء بقوّة ، أمّا معنى نضح فهو رشُّ الماء القليل ، فناسبه حرف الحاء لسهولتها . يؤيّدُ ذلك قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[(٣)]

وقد أورد ابن قتيبة العديد من الأمثلة الدّالة على هذه الظاهرة ، أكتفى بما أوردته على سبيل التمثيل لا الحصر .

وممّا سبق يتضح لنا اهتمام بعض علماء اللّغة فى هذه الحقبة الزمنيّة المتقدّمة بظاهرة الربط بين الألفاظ ومدلولاتها ، وقد توالى اهتمام اللّغويّين بهذه الظاهرة، إلى أنْ جاء العلاّمة ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) فتوسّع فيها بالشرح والتفصيل ، حيث أفرد لها بابين من كتابه الخصائص بعنوان : " باب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني "[(٤)] والآخر بعنوان : " باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى "[(٥)]

---

(١) ويرى أبومسحل الأعرابي أنّ (الغلت) لغة لطيء ، بينما (الغلط) لغة لغيرهم . انظر هذا فى: النوادر ٢٩٥/١ .

(٢) أدب الكاتب ، ص ٢٠٠ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ، ص ١٦ .

(٣) الآية رقم (٦٦) من سورة الرحمن .

(٤) الخصائص ، لابن جنى ، تحقيق : محمد على النجار (بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م) ١٤٥/٢ .

(٥) السابق نفسه ١٥٢/٢ .

قسم الباب الأول إلى ثلاثة أقسام نُجْمِلُها فيما يلي :

(١) ماكان التقارب فيه بين حرف واحد من أحرف الكلمتين . ومن بين مامَثَّلَ به (العَسْف والأَسْف) و (أَزّ و هَزَّ) و (حَمس و حبس) .

(٢) ماكان التقارب بين حرفين من أحرف الكلمتين . ومن أمثلته :(سحل و صهل) و (أزم و حسم) وغيرها .

(٣) ماكان التقارب فيه بين الأصول الثلاثيّة للكلمة . ومن أمثلته : (جعد و شحط) و (سلب و صرف) .

وفي الباب الآخر حاول ابن جنّي من خلال ما أورده من أمثلة تطبيقية أن يثبت العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها ، بادئاً بما قاله الخليل وسيبويه في هذه الظاهرة . وقد سبقت الإشارة إلى حديثهما عنها في بداية هذا الفصل .(١)

وقد استدرك مجموعةً من الأمثلة التى تدخل ضمن هذا الباب ، والّتي تُبَرْهِن على صدق نظريته . ولاسبيل إلى إحصاء كل ماورد عن ابن جني من مباحث حول هذه الظاهرة في هذا الموضع ، فقد عرض بعض المحدّثين لما ذكره ابن جنّيّ فى هذه القضيّة ، وفَصَّل القول فيها بما يكفى (٢)، كما أَنّه لايدخل ضمن الفترة الّتي نبحثها .

---

(١) انظر ص ١٣٥ من هذا البحث .

(٢) ينظر على سبيل المثال : الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٢٠٨ ومابعدها .

رابعاً : الربط الاشتقاقي :

ونعني بهذا النوع : أن يربط اللّغويّ بين استعمالين أو أكثر للمادّة ، ويتمثّل هذا الربط في المعنى الجامع بين هذه الاستعمالات ، وهو ماسُمّي فيما بعد بالاشتقاق الصغير .

ومن بين الأمثلة الواردة في ثنايا مؤلفاتهم قول الفرّاء :" وقوله ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾(١) أي خرج عن طاعة ربه . والعرب تقول : فسقت الرطبة من جلدها وقشرها لخروجها منه ، وكأنّ الفأرة إنّما سُمِّيت فُوَيسقه لخروجها من جرها على الناس " (١) فالربط في المثال السابق يتمثل في أنّ مادة (فَسَقَ) تدلّ على الخروج في الاستعمالات السابقة . فالفاسق : خارج عن طاعة ربه ، وفَسْقُ الرطبة خروجها من قشرتها ، وكذلك تسمية الفأرة فويسقة من ذلك .

كما أورد ابن السكيت قوله : " ويقال : قد ضاعه ذلك يضوعه ضوعاً ، إذا حرّكه . قال الشاعر :

يَضوع فُؤَادَها منه بُغَام

أي : يحركه . وقال الهذليّ :

فُرَيْخَان يَنْضاعان في الفجر كلّما
أَحَسّا دويَّ الرِّيح أو صَوْتَ ناعب

ومنه : تضوع الطِّيبُ ، أي: تحرك وانتشرت رائحته . قال الشاعر :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْن نعمان إنْ مَشَت
به زينبُ في نِسْوَةٍ عَطِرَات "(٢)

(١) الآية رقم (٥٠) من سورة الكهف
(٢) معاني القرآن ، للفراء ٢/١٤٧ .
(٣) إصلاح المنطق ، ص ٢٥٨ .

فالمعنى الجامع بين الاستعمالات السابقة هو التحرك سواء أكان حركةً داخليّةً، كما فى البيت الأوّل، أم كانت خارجية كما فى البيتين الآخرين. فالفرخان يتحركان عند دُنو الفجر، أو متى أحسّا بصوتٍ غريبٍ، من مِثْل دَوِيِّ الريح أو غيره .

ومن الأمثلة أيضاً ما أورده المبرد عند قول الخنساء :

فَخَرَّ الشوامِخُ من فَقْدِهِ
وَزُلْزِلَت الأرض زِلزالها

فقال : " "الشّوامخ " الجبال ، والشّامخ : العالي ، ويقال للمتكبِّر : شمخ بأنفه . "[١].

فالمعنى الجامع بين الاستعمالات الواردة هو : العلو والارتفاع ، فالجبال لعلوّها ، والمتكبّر سُمّي كذلك ، لاعتلائه على النّاس كبراً .

كما أورد ابن قتيبة - أيضاً - قوله : " و (المُمَرَّد) : الأملس . يقال : مَرَدْتُ الشّيء ، إذا بَلّطته وأمْلَسْتُه . ومن ذلك (الأمرد) : الّذى لاشعر على وجهه . ويقال للرملة التى لاتنبت : (مرداء) " [٢] ولو رجعنا إلى استعمالات هذه المادة وغيرها فى المعجم ، لوجدنا أنّ معظم مشتقّاتها تدور حول معنى عامّ يجمعها .

كما أورد ابن قتيبة قول النابغة :

وتسقى إذا ماشئت غير مصرّدٍ
بزوراءَ في أكنافِها المِسكُ كانِعُ

---

(١) الكامل ، ١٤١٥/٣ - ١٤١٦ ، وانظر : تفسير غريب القرآن ، ص ٥٠٦ .
(٢) تفسير غريب القرآن ، ص ٣٢٥ .

فقال : " كانع : دانٍ ، والتّكنُّع في اليدين من هذا ، واكتنع الشّيءُ وكنع : إذا دنا وقرب ، واكتنع الموت وكنع : إذا قرب ، قال الراجز :

إنّي إذا المَوْتُ اكتَنَع
أضْرِبُهمْ بذي القَلَع ."(١)

فمادّة (كنع) في الاستعمالات السابقة تدور معانيها حول معنى عامّ يجمعها، وهو القرب .

كما ورد قول السكرى : " الغَيِّثُ) ، شَيءٌ بعد شَيءٍ من جَرْيه ، ويقال : " بئرٌ ذاتُ غَيِّثٍ " ، إذا كان ماؤها يَجِيءُ شيئاً بعد شيء ، و " فرس ذو غَيِّثٍ " أي : يجيء منه عَدْوٌ بعد عَدْوٍ .... " (٢).

فالربط في هذا المثال يتمثّل في التتابع ، وذلك في كل استعمال من الاستعمالات المتقدّمة .

وهكذا كان اللُّغويُّون يربطون بين تصرّفات المادّة واستعمالاتها جميعاً ، وذلك من خلال اشتقاقهم من المادة نفسها . ولايتسع المقام لذكر كل ماورد عن لغويي هذا القرن في هذا الموضع (٣) .

ومن الأمثلة المتقدمة يتبيّن لنا تواطؤ قول اللغويين فى القرن الثالث بالعلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها ، سواء أكان ذلك قولاً نظرياً أم تطبيقياً .

---

(١) المعاني الكبير ، ٤٦٥/١ .
(٢) شرح أشعار الهذليين ، ١٠٩٢/٣ .
(٣) للمزيد ينظر : الكامل ٦٠٨/٢ – ٦١٠ مادة (حرد) ، و ٧٨٨/٢ مادة (بهر) ، ٩٩/١ مادة (عبط) ،وتفسير غريب القرآن ، ص٣٠٣ عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ ، وانظر مجالس ثعلب ١/ ٧١ كلمة (الأيهم) وديوان الحطيئة عند عرض شارحه للفظة (جامد)وغيرها من الأمثلة المنثورة فى مؤلفات اللغويين .

فدوران اشتقاقات المادة حول معنى واحد دليل على ربطهم بين هذه المادّةِ ومعناها الّذي تدور عليه ، كما أَنَّ التصاقب أيضاً شاهد على أَنَّ الصوت له علاقته ودلالته الخاصّة به في المعنى .

وقد سبق اللغويون العرب ماقال به (بوز " الهولندي " في إدراك القيمة التعبيرية للفونيم ، وقدرته على صبغ معنى الكلمة بما يوحي به . " (١) كما أنّ ربط اللّغويّين بين الاسم وعلّة تسميته ، وربطهم بين المادّة ومعناها في استعمالاتها المختلفة دليل على تأكيدهم لهذه الظاهرة .

وقد توسّع اللّغويّون العرب في هذه المباحث ، ووضّحوها توضيحاً دقيقاً ، بل إِنّ بعضهم قد أَفْرَد لها مُؤلّفاً من مؤلفاته ، وأَخُصّ منهم ابن فارس ، كما أنّ بعضهم أفرد لها أبواباً في كتابه كابن جني ، والثعالبي . وقد أجمل السيوطى ماقاله اللّغويون فى هذه الظاهرة حيث يقول : " ..... وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعانى " (٢) .

---

(١) انظر : الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٢١٥ .
(٢) المزهر ، ٤٧/١ .

آراء بعض اللغويين المحدثين في العلاقـــة

لم تنقطع مسيرة بحث هذه الظاهرة في الفكر اللغويّ الحديث ، ففي بداية عصر النهضة ـ القرن التاسعَ عَشَرَ الميلادي ـ ظَلَّ القول بالعلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها متحقّقاً في بحوث بعض علماء هذا القرن ـ فهمبلت (HUMBOLDT ـ ١٨٣٥ م ـ) يصرح بوجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه وإن كان يرى أنَّها تبدو أحياناً غامضة .(١)

على أنَّ روّية همبلت قد أثارت عليه جدل بعض معاصريه الّذين قالوا بعدم وجود علاقة بين اللّفظ ومعناه من مثل (مدفيج) (MEDVIG. ١٨٤٢ م) و (وتنى) (WHITNEY ١٨٩٤ م) " (٢) حتى إذا ولجنا القرن العشرين نجد أنَّ النظرة إلى هذه الظاهرة قد أخذت مساراً مغايراً لِما كان عليه من سبقهم ، فأصبحت العلاقة بين الدّال ومدلوله علاقة اعتباطيّة (ARBITRARY.) ، بمعنى عدم وجود العلاقة إلا بالاصطلاح ، وكان زعيم هذه الروّية هو اللّغويّ السويسريّ المعروف (فردينانـد دي سوسير) الذى يقول : " إنَّ العلاقة التى تربط الدلالة بالمدلول هى علاقة اعتباطية " (٣) .

وقد أورد سوسير اعتراضين يمكن أن يوجها إلى نظريته ، ولكنَّه نفاهما نفياً قاطعاً وإن توهم بعض اللغويين المحدثين أنَّه بذينك الاعتراضين قد سحب البساط من تحت نظريته القائلة باعتباطية العلاقة ،

---

(١) انظر الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٢٢١ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٢٢١ .

(٣) محاضرات فى علم اللسان العام ،فردناند دى سوسير ، ترجمة :عبدالقادر متينى ومراجعة :أحمد حبيبى (الدار البيضاء ،مطابع افريقيا الشرق ، ١٩٨٧م) ص ٨٧ .

ومن ثم فهي لاتقوى على الوقوف ، وبذلك يكون لا اعتبار لها .[١]

وقد تَبَنَّى العديد من اللّغويّين الغربيين المحدثين نظرية دي سوسير ، محتجّين بصدق هذه النظريّة أمثال : سابير (SAPIR.) ، وهياكاوا (HAYAKAWA.) وروبرت هول (R.HALL) ويسبرسن (JESPERSEN) وغيرهم من اللغويين الغربيين [٢].

فإذا ماتطرّقنا إلى آراء اللّغويّين العرب المحدثين ، وجدناهم ينقسمون إلى فريقين : فمنهم من يثبت وجود العلاقة بين الألفاظ ومعانيها ، ومنهم من ينكر هذه العلاقة متأثّرين في ذلك بالفكر اللّغويّ الحديث ، ومن بينهم الدكتور إبراهيم أنيس الّذى يرى عدم وجود الصلة بين اللفظ ومدلوله . يتّضح هذا من قوله : " ولاشك أَنَّ الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللّغويّة . فهم الذين يُجَرِّدون الظّواهر اللّغويّة من كل غموض ، ولايرون فيها أموراً سحرية فوق المدارك والأذهان ، كما كان يحاول القدماء أَنْ يُظْهِروها لنا . " (٣) .

كما يرى فى موضع آخر من الكتاب أَنَّ الذين " انتصروا للربط بين الأصوات والمدلولات ، قوم من الأدباء يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون فى منطوقها رموزاً وعلامات لايراها اللّغوي العملي . فخيال الأدباء ولاسيما الشعراء منهم هو المسؤول الأول عَمَّا يُسَمّى بوحي الأصوات . "[٤]

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٢٢٤ .

(٢) للمزيد ينظر فى قضية الرمزية الصوتية ، د/ البدراوي زهران ، وينظر : الدلالة اللغوية ، ص ٢٢٤ .

(٣) من أسرار اللغة ، د/إبراهيم أنيس (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٦ ، ١٩٧٨ م) ص ١٤٤ .

(٤) السابق نفسه ، ص ١٤٩ .

كما قال باعتباطيّة الصلة بين الدال والمدلول الدكتور تمّام حسان ، وأكّد على العلاقة العُرفيّة بين الكلمة ومعناها (١) .

ويكاد يتفق الدكتور عبده الراجحى معهما فى اعتباطيّة الصلة . يتّضح ذلك من تعليقه على رأى ابن جني ، والدكتور صبحي الصالح ، حيث يقول : " غير أَنَّ اقتناع ابن جني بهذا الرأى ، واعجاب الدكتور صبحي الصالح به ، لايمنع من التأكيد على " أَنَّ أهل اللغة ـ بوجه عام ـ " يُطَبِّقون على رفضه ، ويرون أَنَّه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله ، ولا علاقة بين " الرمز " والشىء الذى يرمز إليه ." (٢).

كما أَصَرَّ الدكتور محمود حجازى على أَنَّ العلاقة بين الكلمة ومدلولها علاقة اعتباطية . فيقول : " إِنَّ الرموز اللغوية لاتحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي ، فليست هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان ، والعلاقة كامنة فقط عند الجماعة الإنسانية التي اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسماً لذلك الحيوان ، ومعنى هذا أَنَّ قيمة هذه الرموز اللّغويّة تقوم على العرف ، أَي تقوم على ذلك الاتّفاق الكائن بين الأطراف التى تستخدمها في التعامل ." (٣) فهو بهذا يستبعد وجود الصّلة الطبيعيّة بين الكلمة ومدلولها .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣١٨ .

(٢) فقه اللغة فى الكتب العربية ، د/عبده الراجحي (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ص ٦٨ .

(٣) المدخل إلى علم اللغة ، د/محمود فهمي حجازي (دار الثقافة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م) ص ١١ .

ويوافقهم فى هذا الرأى أيضا الدكتور البدراوى زهران ،حيث أنكر وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومعناه . وقد عرض لهذه الظاهرة عرضاً مفصلاً ،وضَّح من خلاله آراء العلماء القدماء والمحدَثين فى هذه الظاهرة [١]

ومن اللغويين المحدثين من يرى أن الصلة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعية . ومن بينهم الدكتور على وافى ، الذى يرى وجود بعض الروابط الطبيعية بين أصوات كثير من الكلمات وماتدل عليه ، وأرجع هذه الروابط إلى طائفتين : روابط طبيعية ، وروابط وضعية [٢]. يتفق معه الدكتور صبحي الصالح ، الّذي اقتنع بما قاله القدماء من وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ، فقد أورد نص السيوطى السابق [٣] مُعلقاً عليه بقوله : " .... فكان لابدّ لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغويّة التي تُعَد فتحاً مُبيناً فى فقه اللغات عامة . "[٤] والأستاذ محمد الأنطاكي – أيضا – مِمَّن عرض لهذه الظاهرة ، وأنتهى إلى أنَّ الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وابن جنى من أوائل العلماء العرب الذين قالوا بهذه المناسبة فى بعض الألفاظ [٥]. كما أن الاستاذ محمد المبارك ممن أعجب أيضا بمثل هذه المباحث . [٦]

---

(١) قضية الرمزية الصوتية ، د/البدراوى زهران .

(٢) فقه اللغة ، ص ١٦٩ ومابعدها .

(٣) انظر ص ١٥٥ من هذا البحث .

(٤) فى فقه اللغة ، د/صبحى الصالح (بيروت ،دار العلم للملايين ، ط ١٠ ، ١٩٨٣م) ص ١٥١ .

(٥) الوجيز فى فقه اللغة ، محمد الأنطاكى (بيروت ، دار الشروق، ط ٢) ص ٣٦٩ .

(٦) فقه اللغة وخصائص العربية ، ص ١٠١ فما بعدها .

وعلى ضوء ماتقدم نلحظ تباين آراء العلماء قديماً وحديثاً في هذه الظاهرة اللّغويّة ومايعنينا في هذا البحث هو ما أورده علماء العربية في القرن الثالث الهجري من أقوال نظرية وأمثلة تطبيقية أثبتوا من خلالها وجود العلاقة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها .

ورأى أنّ الصلة الطبيعية موجودة بين بعض كلمات اللغة ومدلولاتها، وإن كانت نسبة هذه الكلمات قليلة .

كما أن ما أورده لغويّو القرن الثالث من مباحث في هذه الظاهرة دليل على ربطهم بين بعض الألفاظ ومدلولتها ، غير أنّ هذا الربط أو عدمه لايثبت بطريقة علمية دقيقة على مفردات اللغة عموماً، إلاّ بعرض كلمات اللّغة على هذه المباحث ، ومثْل هذا العمل يحتاج إلى العديد من اللّغويّين المتخصّصين لبحث هذه الظاهرة ، والخروج بمبادىء علميّة صحيحة ، تثبت مدى وجود هذه العلاقة أو عدمها في لغتنا العربيّة .

الفصل الخامس

الحقول الدلالية

ويشتمل على :-

- عرض موجز لنظريات تحليل المعنى مع شئ من التفصيل فى نظرية المجالات الدلالية .
- لغويو القرن الثالث ونظرية الحقول الدلالية .
- أقسام المجالات الدلالية فى مؤلفاتهم
- أثر الغريب المصنف فى المخصص لابن سيده

الحقول الدلالية عند المحدثين

(SEMaNTIC FIELDS)

بدأ الاهتمام بدراسة المعنى عند الأوروبيين فى القرون المتأخرة ، وذلك عندما لفت اللغوي الفرنسي بريال (BREAL) أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى بدراسته التي صدرت عام ١٧٩٧ م بعنوان (ESSAIDESEM-NTIAUE.) ، وبعد هذه الدراسة بدأت محاولات بعض اللغويين الأوروبيين لدراسة دلالات الكلمات ، مع عدم الاعتماد على المنهج التأريخي، الذي كان سائداً في الدراسات اللغويّة بصفة عامة ، وإنَّما اعتمد على المنهج الوصفيّ، الذى بدأت تتضح معالمه، بفضل آرآء دي سوسير فى دراسة اللّغة .

وقد أَدَّى هذا الاتجاه الوصفي إلى ظهور نظريات متعددة فى دراسة المعنى من أهمها [1]:

(١) نظرية السياق .

(٢) نظرية التحليل التكويني .

(٣) نظرية المجال الدلاليّ .

ويمكن أن نتناول هذه النظريات تناولاً سريعاً مع التفصيل فى نظرية المجال الدلالى .

أولاً : نظرية السياق :

اهتم لغويو المدرسة الاجتماعية الانجليزيّة بالأثر المهم الذي

---

(١) انظر : أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٢٨٣ ، وعلم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٦٨ ومابعدها .

يؤدّيه السياق في تحديد معاني الكلمات . فكلمة عملية مثلاً تتحدد معانيها المختلفة من خلال ورودها فى السياق ، فقد ترتبط بكلمة طبيب ، أو جندي ، أو تاجر ، حيث يحدد معناها التحديد الدقيق بعملية جراحية ، أو بمناورة عسكرية ، أو صفقة تجارية .... إلخ .

ولو أخذنا الفعل " لعب " فإنّه يتحدد معناه فى سياق يرتبط باللاعب " ، أو الرياضي ، أو الطفل ، أو الممثل ، أو ماشابه هذا من السياقات المتعددة .

وقد رأى أصحاب هذه المدرسة أَنَّ الاستعمال الفعليّ للكلمة يحكمه أمران :-

(أ) السياق اللّغويّ الّذي لاينظر إلى الكلمة منفردةً عن سياقها ، لأنّ العلاقات بين المفردات فى السياق هي الّتى تحدّد معناها .

(ب) سياق الموقف . وهو ماأسماه القدماء " المقام " . وهذا بلاشك له أهمية كبرى فى تحديد معنى اللفظة [(١)].

وقد كان لغويو القرن الثالث سبّاقين إلى اكتشاف قيمة السياق ، وأثره في تحديد معنى اللّفظة . لذلك كانوا يشيرون إلى معنى الكلمة من خلال وجودها في تركيبٍ ما . والأمثلة على ذلك عديدة من بينها ماأورده ابن السّكّيت ـ عند تعرضه لقول النّابغة :

أَرسماً جديداً من سُعَاد تَجَنَّبُ
عفت روضةُ الأجداد منها فَيَثْقَبُ

حيث قال : " الأَجداد : خلائق تكون فيها المِياهُ ، أو آبارٌ مِمّا حفرت

---

(١) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٧٢ .

عاد .... والأجداد في غير هذا الموضع : جمع جُدٍّ وهو البئر الجيدة الموضع من الكلأ والرّعي "(١)

كما أورد المبرد روايةً لأبي زيد،عن أعرابيّ وقف في حَلْقة يُونُس ، فقال من بين ماقاله : -

" لايُسْتَقْرَض من عوز " قال المبرد : " وقوله : " لايستقرض من عوز" فالعَوَز : تعذّر المطلوب ، يقال : أعْوَز فلانٌ فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد . والمعاوز في غير هذا الموضع : الثّياب التى تُبْتَذلُ لِيُصَان بها غيرها . "(٢).

ومن الأمثلة ماأورده المبرد عند تعرضه لقول عمر بن أبي ربيعة :

أزْهَقَت أمُّ نُوفَلٍ إذْ دَعَتْهــا
مُهْجَتى مالِقَاتِلي مِنْ مَتَاب

حيث قال : " تأويله أبْطَلت وأذهبت ، قال اللّه عز وجل : ﴿ فَيَدْمَغُه فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾(٣) . وللزّاهق موضعٌ آخر ، وهو : السّمين المُفْرِط ، قال زُهَيرٌ :

القائدُ الخيلَ منكوباً دوابِرُها
منها الشَّنُونُ ومنها الزاهقُ الزَّهِمُ"(٤)

ممّا سبق من أَمثلة(*) نلحظ تنبُّه القدماء إلى أثر السياق في تحديد معنى اللفظة الواردة فيه ، وإشارتهم أيضاً إلى المعنى الآخر للكلمة إذا استُخْدِمت في سياق آخرَ .

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٧٣ .
(٢) الكامل ، ٤٥٤/١ ، ٤٥٧ .
(٣) الآية رقم (١٨) من سورة الأنبياء .
(٤) الكامل ، ٧٩٠/٢ .
(*) الأمثلة غير ماتقدم جد كثيرة ، اكتفينا ببعضها اختصاراً .

ثانياً : نظريّة التحليل التكويني للمعنى :

وقد أطلق عليها بعض المحدَثين اسم : " التحليل التقطيعي "(١).

ومفهوم هذه النظرية : تحديد مدلول الكلمة بما تحمله من ملامح أو عناصر دلالية ، أو بما تشتمل عليه من مكونات (٢).

وقد اعتبر بعض اللغويين هذا النوع من التحليل امتداداً لنظرية الحقول الدلالية (٣) .

هذا الاتجاه اللّغوي التكويني لعلم الدلالة يعد " أساساً لعمل قام به " كاتز وفودور " .... "(٤) ، حيث قام هذان العالمان بتحليل لمعنى الكلمة مفردة ، وذلك بطريقة تشبه الطريقة التي قام بعملها تشومسكي فى أثناء تحليله للجملة إلى عناصرها الأولية ، ولكنهما انطلقا من المعنى وليس من التركيب كما فعل تشومسكي (٥).

فإذا كان أصحاب المدرسة الاجتماعية الانجليزية قد أكّدوا على أهمية السياق فى تحديد المعنى ، واهتموا باستعمال الكلمة الفعلي فى إطار المجتمع ، فإنّ المدرسة الأمريكية التركيبية قد اهتمت بتحليل دلالات الكلمات في ضوء التصور التركيبيّ أو البنائيّ الّذي ذهبت إليه مدرسة براغ فى تحليلها لأصوات اللّغة " الفونيمات " ، الذي يفترض أنّ الوحدة الصوتية (الفونيم) تشتمل على عدد من الصفات ، أو الملامح

---

(١) علم الدلالة ، بيار جيرو ، ص ١٣٠ .

(٢) أصول تراثية فى علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين ، ص ٢٨٥ .

(٣) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ١٢١ .

(٤) علم الدلالة ، بالمر ، ص ١٣٦ .

(٥) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٢٨٥ بتصرف .

الدلالية التي تُمَيِّزُ صوتاً عن صوت آخر في النظام الصوتيّ للغةٍ معينةٍ .

انتقل هذا التصور من التحليل الصوتي إلى التحليل الدلالي للكلمات ، الذي يرى – كما سبق أن ذكرت – أَنَّ معنى الكلمة يتحدَّد بما تَحْمِلُه من ملامِحَ دلاليّةٍ تميِّز كلَّ كلمة عن غيرها ، فكلمة كرسيّ مثلاً يمكن تحديد دلالتها بهذه المكوّنات : " جماد + مصنوع من خشب + ذو أرجل + ذو مسند + تخصص لجلوس شخصٍ = كرسى ، وإذا حاولنا تغيير الملمح الأخير إلى مخصص لجلوس أكثر من شخص ، فإنَّ معنى الكلمة سيتغير ويتحول من كرسي إلى أريكة "(١).

كذلك فإنَّ كلمة (بقرة) تتكون من الملامح الدلالية التالية : " حيوان + " أنثى " + " أليف " + إلخ ..... من هنا أُلصقت تسمية التحليل التقطيعى (المبنى على مكوّنات معنوية) على دراسات هذا النمط "(٢)

وهكذا يستطيع اللّغويُّ أَنْ يجمع ويحلل الكلمات بالطريقة السابقة ، فعملية التحليل التكوينيّ لمعنى الكلمة تتمُّ من خلال " تعيين مجموعة من الكلمات ذات الخصائص المشتركة أو المتباينة .... ويتمُّ بعد ذلك تحديد الملامح الدلاليّة لمعنى كلِّ كلمة من هذه الكلمات من خلال استقراء مجموعة من السياقات الّتي ترد فيها الكلمة ، والّتي نستطيع من خِلالها تحديد العناصر الّتي تحملها الكلمة وبهذا يمكن أَنْ نفرق بين مجموعة من الكلمات المترادفة أو ذات الملامح المشتركة ."(٣)

---

(١) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٢٨٩ .
(٢) علم الدلالة ، بيار جيرو ، ص ١٣١ .
(٣) أصول تراثية ، ص ٢٨٩ .

وقد عرض بعض المحدَثين لهذه النظرية ، وكيفية تحليل الكلمات التى تؤلف مجموعة دلالية ، وَوضَّحوها بالجداول التى تبين طريقة هذا التحليل ، وسأعرض لها عند التطبيق على هذه النظريَّة عند لغويي القرن الثالث (١).

ثالثاً : نظريّة الحقول الدلاليّة :

وتعرف هذه النظريَّة عند اللُّغويين المحدثين بنظريّة المجالات الدلاليّة ـ أيضاً ـ . وتنهض على أنَّها عبارة عن مجموعة من الكلمات ترتبط فى دلالاتها وتُدْرج تحت لفظ عام يجمعها ، كألفاظ الألوان ـ مثلاً ـ تدرج تحت لفظٍ واحدٍ وهو لفظ : " لون " ، كما أنَّ الأمراض عموماً تُدْرج تحت لفظ " مرض " .(٢)

والحقل الدلاليُّ عند أولمان عبارةٌ عن " قطاع متكامل من المادّة اللّغويَّة يعبر عن مجال معيَّنٍ من الخبرةَ "(٣).

وعلى ذلك فنظريّة المجالات الدلاليّة تتطلّب وجود مجموعة من الكلمات متّصلة دلاليّاً حتّى يمكن فهم معنى الكلمة ، وذلك من خلال علاقتها ببقيّة الكلمات ، فالكلمة عند أصحاب هذه النظريّة لامعنى لها بمفردها ، ويصعب تحديد معناها الدقيق إلَّا ببحثها مع أقرب الكلمات إليها .(٤) وممَّا يؤكد ذلك ماذكره فندريس حيث يقول : " إنَّ الذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات

---

(١) للمزيد من التفصيل فى هذه النظرية ، ينظر : علم الدلالة ـ بالمر ص ١٣١ ومابعدها ، وأصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٢٨٣ ومابعدها ، وعلم الدلالة ، د/أحمد مختار ص ١١٤ ومابعدها .

(٢) علم الدلالة ، ص ٧٩ .

(٣) السابق نفسه ، ص ٧٩ .

(٤) السابق نفسه ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، وانظر : أصول تراثية ، ص ٢٩٤ .

وإلى اكتشاف عُرى جديدةٍ تجمع بينها ، فالكلمات تثبت دائماً بعائلة لغوية . "(١)

كما اعتمد أرباب هذه النظرية " على الفكرة المنطقيّة التي تقول بأَنَّ المعاني لاتوجد منعزلة الواحدَ تِلْو الآخر في الذهن ، بل لابد لإدراكها من ارتباط كل معنىً منها بمعنىً أو بمعانٍ أخرى ، فلفظ إنسانٍ الّذي نعدُّه مطلقاً لايمكن أن نعقله إلا بالإضافة أو بالنسبة إلى حيوانٍ مثلاً ، ولفظ رُجلٍ لايمكن أن نعقله إلا بالإضافة إلى امرأةٍ ... "(٢).

والغاية التى يُرَادُ التّوصل إليها من هذه النظرية هي جمع كل الكلمات اللّغويّة ومن ثم تصنيفها إلى حقول ، كل حقل منها يُدْرج تحته الألفاظ المترابطة دلاليّاً فيما بينها ، ومن ثمّ علاقة هذه الألفاظ بالمصطلح العامّ الّذي يجمعها . وقد اتّفق أصحاب هذه النظريّة على عدة مبادئ ، بالإضافة إلى ما اشترطوه آنفاً . ومن بين هذه المبادئ :

(١) ليس هناك وحدةٌ معجميّة عضو في أكْثَرَ من حقلٍ . (بمعنى عدم تكرار الكلمة في أكثر من حقلٍ واحدٍ) .

(٢) ضرورة انتماء أيِّ وحدة معجميّة إلى حقل معيّنٍ .

(٣) ضرورة مراعاة السّياق الّذى وردت فيه الكلمة .

(٤) استحالة دراسة المفردات مستقلّة عن تركيبها النّحْويّ .(٣)

التطبيقات الأوّليّة للنظريّة :

يقرِّر بعض المحدثين أنَّ فكرة الحقول الدلاليّة لم تتبلور إلاَّ فى

---

(١) اللغة ، ص ٣٢٣ .

(٢) أصول تراثية ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٣) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٨٠ .

العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، على أيدى علماء سويسريين وألمان. وخص من علمائهم : سبن (ISPEN) ، و جوليس (JOLLES) ،وبـــروزج (PROZIG.) وغيرهم ممن ذكر .

وإنّ من أهم التطبيقات المبكّرة هى دراسة (ترير) (TRIER) للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانيّة الوسيطة (١).

وقد قام الغربيُّون بعمل دراسات على حقول مختلفة من مثل ألفـــاظ النّبات ، والأمراض ، والأدوية ، وقِطَع الأثاث ، وألفاظ الحركة ، وغيرهــا من الحقول الّتي قاموا بتصنيفها ودراستها دلالياً ، فقد قام اللّغـــويّ (سبن) بتصنيف الكلمات الّتي تتّصل بالأغنام وتربيتها في اللّغـــات الهندوأوربيّه ، وقام مونان (MOUNIN) بعمل مجالين دلاليّيـن ، الأول خاصّ بالحيوانات المنزلية ، والثاني خاصّ بكلمات المسكن .

كما نجد دراسة أخرى لأدنيسون (ADANSON.) لتصنيف علاقـــات النباتات . كما قام أيضاً جردان (GARDIN.) بوضع تصنيف للأوانـــي والأدوات (٢).

وغير هؤلاء العديد من اللّغويين الأوروبيّين الّذين كان لهم دراسات عديدة فى هذا المجال .

فإذا ما انتقلنا إلى علماء العربية وجدناهم قد طَبّقوا هـــذه النظريّاتِ ، وذلك في وقت مبكّر من الزمن ، ولا أدلّ على ذلك من الرسائـــل اللغوية التي صُنِّفت في موضوعات شتى ، سواء أكانت مختصّة بالإنسـان ، أم

---

(١) السابق نفسه ، ص ٨٢ .
(٢) السابق نفسه ، ص ٨٢ .

بالحيوان ، أم بالنبات . كلّ هذه الرسائل اللّغويّة تُعَدُّ من المجـالات الدّلاليّة ذات الحقل الواحد ، حيث إنَّها اختصّت بشيءٍ واحدٍ ، فهو إمَّـا إنسان ، أو حيوان ، أو نبات . ووضَّحَتْ أجزاءَه ومايختص به من ألفـاظ تندرج تحت الحقل المنتمية إليه .

وَكَما صنّف الغربيّون بعد اتساع دراستهم عدداً من المعاجم التـي اشتملت على أكثر من حقل دلالي ، فإنَّنَا نجد هذا الصنيع عند علمـاء العربية القدماء ، وأَخَص منهم لغويي القرن الثالث ، حيث صُنِّفت العديـد من هذه المعاجم الدلالية [1] ، وإن كانت تفتقد الدقة ، إلَّا أَنَّ هذا لايعيب العمل العربيّ نظراً لعدم توفُّر الوسائل الحديثة المستخدمة فى العصـر الحاضر . وربَّما لو أتيح لهم ماأتيح لغيرهم لكانوا أكثر دقة .

وسنرى في هذا الفصل أسبقيّة لغويى هذا القرن في التطبيق علـى هذه النظريّة من واقع ماخلّفوه لنا من تراث .

---

(١) ينظر : المعجم العربى ، د/ حسين نَصَّار (القاهرة ، دار مصـر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م) ٢٠٦/١ فما بعدها . حيث بَيَّن عدداً من المعاجم اللغوية التي صُنِّفت فى أكثر من حقل دلالي .

لغويو القرن الثالث ونظريّة الحقول الدلالية

كان للغويين فى هذا القرن فضل السبق في التطرّق لهذه النظرية ، وفكرتها ، وتطبيقها ، وإنْ لم يُطْلِقوا عليها هذه التسمية ، فكما رأينا محاولات الأوروبيين فى تصنيف قطاع من المعجم يشمل عدداً معيناً من الكلمات ، أو المعاني المتصلة بموضوع واحد ، فإنّنَا نرى ذلك عند اللُّغَويّين العرب ، فإذا " كان كوسريو (COSERIU.) ، و جيكلر (GECKELER.) قد اعتبرا إنجاز المعاجم المرتّبة على أساس المعاني أو المفاهيم من أهمّ الانجازات التي قَدَّمها السيمانتك الوصفي . LINGUISTICS AND SEMANTICS ، فسوف نرى فيما بعد أسبقية العرب المطلقة فى هذا المجال " (١).

فعلماء العربيّة القدماء عرضوا للحقول الدلاليّة المشتملة على حقلٍ واحد ، وصَنَّفوا المعاجم التي ضمت العديد من هذه الحقول ، فإذا كان للغربيّين فضل التّسمية ، ووضع المصطلحات ، فللعرب فضل التطبيق على هذه النّظَريّة .

ألَّف اللُّغويون العرب في هذه المجالات عدة مؤلفات ، منها مايتضمن مجالاً دلالياً واحداً ، وذلك يتمثّل في كتب خلق الإنسان ، وكتب الحشرات ، والنبات ، للعديد من اللُّغَويّين . وكتب الإبل ، والخيل أيضاً لمجموعة من اللّغويّين ، وقد أورد هذه المؤلفات جميعاً الدكتور حسين نَصَّار في كتابه (٢) .

---

(١) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٨٥ .
(٢) المعجم العربي ، ١٢٣/١ ومابعدها .

كما أَنَّ بعض المؤلّفات التي وصلتنا اشتملت على أكثر من مجال دلاليٍّ ، ومن بين هذه المؤلّفات . " الغريب المصنف " (١) لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤ هـ) وكتاب " الألفاظ " (٢) لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) و " المنجد " (٣) لكراع النمل (ت ٣١٠ هـ) ، و " فقه اللغة "(٤) للثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) و " المخَصَّص " لابن سيده (ت ٤٥٨) ، والمؤلفات الثلاثة الأخيرة لعلماء بعد القرن الثالث (٥) .

وسأعرض لبعض هذه المؤلفات ، لنتبين من خلال موضوعاتها بعض المجالات التي تضمنتها ، وذلك بعد أَنْ أعرض لأقسام الحقول الدلالية .

---

(١) مازال هذا الكتاب مخطوطاً إلى الآن ، وقيل إنه بصدد الطبع .

(٢) نشره لويس شيخو بعنوان : كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٥ م) .

(٣) لأبي حسن علي بن الحسن الهنائي ــ المشهور بكراع النمل ، تحقيق: د/أحمد مختار ــ وطناحي عبدالباقى (القاهرة ،مطبعة الأمانة ، ١٣٩٦ هـ) ص ٢٩ .

(٤) فقة اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، تحقيق : مصطفى السقا ورفقائه (القاهرة ، البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـ).

(٥) وقد أورد الدكتور حسين نَصَّار عدداً من المؤلفات المفقوده التي اشتملت على أكثر من حقل دلاليّ ، ينظر : المعجم العربي ، ص ٢٠٦ .

أقســام الحقــول الدلاليــــــة :

من خلال استعراضنا لمؤلفات لغويي هذا القرن ، وجدنا أَنَّ الحقــول الدلالية تندرج تحت القسمين التاليين :

(١) مؤلفات ذات مجال دلاليّ واحد . (يتمثل هذا في رسائل الموضوعات)

(٢) مؤلفات ذات مجالات دلاليّة متعددة .

وهذا بيان ذلك على وجه التفصيل :

أولاً : المؤلّفات التي تضمنت مجالاً دلالياً واحداً :

وأعني بهذا النوع من المؤلّفات ماسُمّي برسائل الموضوعات . حيــث انفردت كُلّ رسالةٍ منها بموضوع معين ، إنسان ، أو حيوان ، أو نبـــات . وأدرج مؤلّفوها الألفاظ الخاصّة بأجزاء الموضوع وحالاته . ومن أمثال هذه الرسائل .

(أ) كتـــب الخيـــل :

ترك لنا علماء العربية القدماء العديد من المؤلّفات في الخيـل ، فمنها ماوصل إلينا ، ومنها مافقد[1] . وممّا وصل إلينا (كتاب الخيل [2]) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠) و (كتاب الخيل)[3] للأصمعـــــي (ت ٢١٦) ، كما أنّ أباعبيدٍ القاسم بن سلام أَفْرَد في كتابه الغريب المصنف كتاباً للخيل ضَمَنَّه أحد عشر باباً .

---

(١) ينظر : المعجم العربي ، د/ حسين نصّار ، ص ١٢٦ فما بعدها .

(٢) حققه : د/محمد عبدالقادر أحمد (القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٠٦هـ)

(٣) نشر في مجلة المورد ، تحقيق : هلال ناجي (الجمهورية العراقية ، بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ،١٩٨٣م) المجلد الثاني عشــر ، العدد الرابع) .

وقد اتّجه بعض لغويي هذا القرن - مِمَّن صنَّفوا في هذا المجال - اتِّجاهاً تاريخيّاً كأبي عبدالله محمّد بن زيادٍ الأعرابيّ (ت ٢٣١) في كتابه (أسماء خيل العرب وفرسانها)(١) وهذا الكتاب وغيره مِمَّن نحا هذا النحو لا شأن لنا به في هذا الموضع . أما ماسبق من المؤلّفات اللغوية فى هذا الموضوع ، فقد رصد اللغويون كل مايتعلق بهذا الحيوان من تسميةٍ لأعضائها ، ومايتعلّق بها من أوصاف ، وسمات ، وعيوب ، وحركة .

ومن بين الأمثلة قول أبى عبيدة : " .... ثم الفخذان، وفي الفخذين الكاذَتَان والفَائِلان والرَّبْلتَان والنَّداة والغرُور والحَصَائِل والمأبِضَان والثَّنفتَان والقبيحان والعَيْران . فأمّا الفَخِذان فما بين الوركين والسَّاقين - والكاذَتَان ماسفل من الجاعرتين وهى ماانتأ من اللحم في أعالي الفخذين - والفائلان ماأسفل - من الكاذَتَيْن إلى قريب من المأبضين وهما دائرتا الفخذين - ..... "(٢)

وهكذا يستمر المؤلف في ذكر وتفصيل الأجزاء الخاصة بهذا الحيوان ، مع تحديد موضعها التحديد الدقيق .

وقول الأصمعيّ في حديثه عن ألوان الخيل : " الكُمْتَة : وهو أحب الألوان إلى العرب مع الحُوَّة . والكُمْتة حُمْرةٌ يدخلها قُنُوٌّ . ..... وفي الكُمْتَةِ ثلاثة ألوان ، يقال : كُمَيْتٌ أَحَمُّ وهو الذي يعلو حُمْرتَهَ سوادٌ ، وأَشَدُّ الخيل جُلُوداً وحَوافِر الكُمْتُ الحُمُّ . ومنها الكُمَيْت المُدَمَّى : وهو

---

(١) نشر بتحقيق ، د/محمد عبدالقادر أحمد (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ) .

(٢) الخيل ، لأبى عبيدة ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

الَّذي تشتدُّ حُمْرَتُه ...... ومنها : الكُمَيْتُ المُذْهَبُ : وهو الّذي تَعْلوه صُفْرةٌ . ومن ألوانِها الصُّفْرةُ ، يقال : فرسٌ أصفَر ، وفرسٌ صفراء ......"(١)

وقد ذكر الأصمعيّ ألواناً كثيرةً لهذا الحيوان،أكتفى بما أوردته كدليل على أَنَّ الأصمعي تناول مجالاً دلالياً واحداً وهو-كما سبق-مجال الألوان - (ألوان الخيل) وتناول جزئيات هذه الألوان ومكوناتها .

(ب) كتب الإبل :

يُعَدُّ كتاب الإبل(٢) للأصمعيّ من أوائل الكتب الّتى صُنِّفت فى هذا الموضوع ، وقد وصل إلينا بروايتين . كما أفرد أبوعبيد كتاباً(٣) للإبل ، تحدّث فيه عن أوصافها ، وألوانها ، ونعوتها ، وأسمائها ، وجميع مايختصُّ به هذا المخلوق العَظيم .

ومن بين الأمثلة الواردة فى كتاب الإبل للأصمعيّ قوله فى ألوان الإبل أيضاً : " يقال : بعيرٌ أحْمَر وناقةٌ حمراءُ فإذا بُولِغ فى نَعْتِ حُمْرتِهِ قِيلَ كأَنَّه عِرْق أَرطاةٍ ، ...... فإذا خَلَطَ الحُمْرةَ قُنُوءٌ فهو كُمَيْتٌ بيّن الكُمْتَةَ ..... فإذا خَلَط الحُمْرةَ صَفَارٌ قيل أحْمَرُ مُدَمَّى ..... فإذا اشتدَّت الكُمْتَةُ حتى يدخلها سوادٌ فهي الرُّمكَةُ ، ..... فإذا خالط الكُمْتَةَ مِثْلُ لون صدأ الحديد قيل ناقة جأْواء ..... ، فإذا خلط الحُمْرة صفرة كالوَرس قيل أحمر رادِنيٌّ وناقة رادنيَّةٌ ، فإذا كان أسود يخلط سوادَه بياض كأنَّه دُخانُ الرِّمْثِ وكان البياض في بَطْنِهِ ومَرَاقّه وأَرْفَاغِهِ وكان السَّواد غالبه

---

(١) الخيل ، للأصمعي . ص ٢١٢ .

(٢) الإبل ، للأصمعي ، نشره إوْجست هفنر ، فى كتاب الكنز اللغوي ، من ص ٦٦ الى ص ١٥٧ .

(٣) الغريب المصنف ، مخطوطة تونس ، ٤٠٠ هـ لوحة (٤٧٣)(ب) ومابعدها.

فَتِلْك الوُرْقَةُ وهى أُلام الألوان .... "(١)

وهكذا ظلَّ الأصمعيُّ يُفَصِّل ويوضِّح ألوان الإبل توضيحاً دقيقاً . وقد سار على هذا النَّهج أبوعبيد(٢) أيضاً .

(ج) كتب خلق الإنسان :

صَنَّف العديد من علماء القرن الثالث الهجري مؤلّفات عدّة فى هذا الموضوع ، وتحدّثوا عن أعضاء الإنسان ، ومايتفرّع من هذه الأعضاء ، واصفين ذلك بدقّةٍ متناهية ، فالمجال الدّلاليّ هنا يتمثّل في شيء واحد وهو جسم الإنسان ، ومايندرج تحت هذا المجال ليس خارجاً عنه ، بل من مكوناته وعناصره الّتي يتألف منها ، بَيَّن اللغويون كل هذا فى وقت مبكر من الزمن، وقد فُقِد معظم هذه المؤلفات فى هذا الموضوع(٣)، ولم يبق منها حتّى القرن الثّالث ـ على حدّ علمي ـ إلاّ كتاب خلق الإنسان (٤) للأصمعيّ ، وكتاب خلق الإنسان الّذى ضمنّه أبوعبيد كتابه الغريب المصنّف (٥)، وكتاب خلق الإنسان (٦) لثابت بن أبي ثابتٍ . ويعدُّ هذا الكتاب من أوسع الكتب الّتي

---

(١) الإبل ، ص ١٥٠ فما بعدها ، ومما تجدر الإشارة إليه سبق الأصمعي اللّغويين الغربيين فى القول بمفردات الألوان . انظر ماذكره جون لوينز فى علم الدلالة ، ترجمة : مجيد عبدالحليم الماشطه (البصرة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٠ م) ص ٥٠ .

(٢) انظر : الغريب المصنف ، لوحة رقم (٤٨٩ ب) فما بعدها .

(٣) انظر : المعجم العربي ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، وقد أورد مسرداً بهذه المؤلفات .

(٤) كتاب خلق الإنسان ، للأصمعي ، نُشِر ضمن كتاب الكنز اللغوي فى اللسن العربي ، بتحقيق / د / أوغست هفنر .

(٥) الغريب المصنف ، لوحة رقم (٢ أ) فما بعدها .

(٦) خلق الإنسان ، لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج (الكويت ، ١٩٦٥ م) .

أُلِّفت فى هذا المجال ومن بين الأمثلة الواردة فى ثنايا بعض هذه المؤلفات قول الأصمعي : " .... ثم الجبهةُ ، وهو مَوْضع السُّجُود . والجَبِينَان ما اكتنف الجَبْهَةَ من جانِبَيْها فيما بين الحاجبين مُصْعِداً إلى قُصَاص الشَّعْرِ ، وللخطوط الّتي فيها يُقال الأَسِرَّةُ ، .... والنَّزَعتَان مايَتَحسَّر عنه الشَّعَرُ من أعلى الجبينين حتّى يُصَعِّدَ فى الرَّأْس ..... فَإِذا انْحَسَرَ الشَّعر عن الرَّأْس من مُقَدَّمِهِ فذَلك الجَلَه والجَلَا والجَلَح ...... " (١).

ومن تلك الأمثلة الواردة فِي كتاب ثابت بن أبي ثابت قوله – فى باب الأذن ونعوتها – عن الأصمعي : " وفى الرأس الأُذنان . وفى الأذنين الغُرْضُوف ، وبعض العرب يقول : الغُضْروف ، وهو فَرْعها ومُعَلَّقُ الشَّنَفِ منها ، ..... وفي الأذن الحِتَارُ ، وهو كِفَافُ حُروفِ غَرَاضِيفِها ، وحِتَارُ كُلِّ شيءٍ كِفَافُهُ . وفيها الشَّحْمَة ، وهو مَالاَن من أسفلها ، وفيها مُعَلَّقُ القُرْط ، وفى الأُذن الوَتِدُ ، وهو النَّاشِزُ في مُقَدَّمِها مثل الثُّؤْلُول يَلي العارِضَ من اللِّحْية . وفي الأُذَن الصِّماخ ، وهو سَمُّها ..... "(٢)

وقد وصل إلينا مجموعة من الرسائل اللّغويّة الّتي تحدّث مؤلفوها عن مجال دلاليّ واحد ، ومن بين هذه المؤلفات كتاب الشاء(٣)، وكتاب النبات والشجر (٤)، وكتاب الوحوش (٥)، وجميع هذه الكتب للأصمعي ، وكتاب الرحل

---

(١) الكنز اللغوي فى اللسن العربي ، نشر د/اوغست هفنر (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ،سنة ١٩٠٣م) ص ١٧٨.

(٢) خلق الانسان ، ص ٩٠ ومابعدها .

(٣) نشره أوغست هفنر في مجلة SBWA فينا ١٨٩٦م ، ج ٦/١٣٣،وانظر : فصول في فقه العربية ، ص ٢٣٣ .

(٤) نشره اوغست هفنر فى مجموعة بعنوان (البلغة فى شذور اللغة " طبعت بالمطبعة الكاثوليكية ،بيروت ١٩١٤م ،ص ١٧ الى ص ٥٩ .

(٥) نشره رودلف جاير ، فى مجلة SBWA ،فينا ، ١٨٨٨ ، ج ١/١١٥ . وانظر : فصول فى فقه العربية ، ص ٢٣٤ .

والمنزل المنسوب لابن قتيبة ، وكتاب اللبأ واللبن ، المنسوب لأبي زيد الأنصاري ، وماضمنه أبوعبيد فى غريبه من كتب ، وكل مؤلف من المؤلفات السابقة يمثل مجالاً دلالياً ، إلاّ أنّ كتاب الغريب المصنف ضمّ عدداً من المجالات الدلالية .

ومن بين الأمثلة الواردة فى هذه الرسائل الصغيرة ماورد فى كتاب الرحل والمنزل حيث قال مؤلفه فى باب الرحى ومافيها :" اللُّهْوة ما ألقيت فى الحجرين ....،والرائد العود الذى يَقْبِضُ عليه الطَّاحِن ، .... الثفال الجلد الذى يبسط تحت الرحى ، والقُطْب القائم الذى تدور عليه الرحى ..... "(١).

نلحظ فى هذا المثال أنّ المؤلف عقد بابا للرحى ، ثم أورد الألفاظ التى تتكون منها ، وكل هذه الأجزاء تدخل تحت حقل الرحى . فيعد هذا حقلا من الحقول الدلالية الواردة عن لغويى هذا القرن . كما تحدث اللغويون عن مجال ترتيب التعبير عن درجات المعنى الواحد ، وأعنى به ذِكْرَ الأسماء الخاصّة بنوعٍ ما من الآنِيَة ، أو مراحل عمر الإنسان أو الحيوان ، أو ذكر أسماءٍ للسيوف مثلاً واستعمالاتها ، ثم يذكر المؤلف النسب بينها بقوله : أكبر أو أصغر أو أقوى أو ما الى ذلك . وسأوضح هذا ببعض الأمثلة الواردة فى مؤلفات اللغويين .

من بين هذه الأمثلة ماأورده الأصمعى حيث يقول :" ..... فاذا وقع ولد الناقة فهو قبل أن تقع عليه الأسماء سَلِيلٌ ، فإذا وقعت عليه أسماء التذكير والتأنيث فالذكر سَقْبٌ والأنثى حائِلٌ قال ذو الرُّمة :

يُطَرِّحْنَ أولاداً بكلِّ مَفَازَةٍ
سِقَاباً وحُولاً لم يُكَمَّل تمامُهَا

.... فإذا قام ومشى وتحرّك قيل رَشَحَ وهو راشِحٌ ، وهى المُطْفِل مادام ولَدُها صغيرا ، فإذا ارتفع عن الرَّشْحِ وانطَوَى خَلْقُه وقَوِيَ ومَشَى مع أُمِّه قيل : قد جدل وهو حُوارٌ جَادِلٌ . فإذا نَبَتَ فى سَنَامِه شَيءٌ من شحمٍ قيل قَدْ أكْعَر وهو مُكْعِر "(٢) فنلحظ من المثال أن المجال هو التدرج فى عمر الابل يتضح هذا من خلال الجدول التالى :

---

(١) كتاب الرحل والمنزل ، المنسوب لابن قتيبة ، نشره : د/ أوغست هفنر ، ضمن كتاب البلغة ، ص ١٢٥ .

(٢) الابل – للأصمعى ، ص ٧٣ ، ٧٤ . وينظر بقية النص فى الصفحتين السابقتين من الكتاب .

الألفاظ / الملامح الدلالية	حال ولادته قبل التسمية	ذكر أو أنثى بعد التسمية	ذكر أو أنثى فى الأطوار الأخرى	قام وتحرك ومشى	قوى ومشى مع أمه	نبت فى سنامه شىء من لحم	من نتاج الربيع	من نتاج الصيف	له ثمانية أو تسعة أشهر	اشتد على أمه فى الرضاع	سمى ، الغذاء	له سنة	تم رضاعه سنوات ولقحت أمه	وضعت أمه ولها لبن من غيرا	استحقت أية حملا آخر	أتت عليه سنة بعد حق	تمت سنة وألقى ثنيته	ألقى رباعيته	ألقى سديسه	إذا خرج نابه	أتت عليه سنة بعد النزول	أتت عليه سنتان بعد النزول	أتت عليه ثلاثة أعوام بعده	إذا اشتد نابه وغلظ	إذا طال نابه واصفر	بعد ذلك جاوز ذلك	إذا أسن وفيه بقية .	إذا أكل سنانه وقصرت	إذا انكسرت أنيابه
سليل	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
سقب	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
حائل	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
جادل	−	−	+	+	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
راشح	−	−	+	+	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	+	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
ربع	−	−	+	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
هبع	−	−	+	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
أفيل	−	−	++ أفيلة	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	++ [illegible]	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
فصيل	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
ابن مخاض	−	−	++ بنت مخاض	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
ابن لبون	−	−	++ بنت لبون	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
حق	−	−	++ حقة	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
جذع	−	−	++ جذعة	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
ثنى	−	−	++ ثنية	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
رباع	−	−	+ رباعية	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	++	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+		−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−
[illegible]	−	−	++ [illegible]	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−
[illegible]	−	−	++ [illegible]	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+
[illegible]	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−

من خلال الجدول تتضح لنا الملامح الدلالية لكل لفظ من الألفاظ فمثلا لفظ

الجادل = ذكر + قيامه وتحركه + قوته ومشيه + مانبت فى سنامه من الشحم .

علامة + تدل على تحقيق الصفة .   علامة − تدل على سلب الصفة .

وهكذا يستطيع عمل الجدول فى بقية الأمثلة .

كما نجد الأصمعيّ أيضاً يتحدث عن مراحل نمو الإنسان فيقول : " يقال للمولود حينئذٍ وليد ، ثُمَّ طِفْلٌ ..... ثُمَّ شَدَخٌ إذا كان صغيراً رَطْباً ، فإذا سَمِن شيئاً قِيل قد تحلَّم وقد اغْتَال ، فإذا فُطِمَ فهو فطيم ، فإذا انتفج وارتفع فهو جَفْرٌ ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو جَحْوَشٌ..... فإذا خَدَم وقَوِيَ فهو حَزَوَّرٌ .... فإذا ارتفع ولم يبلغ الحُلُمَ فهو يَفَعَةٌ ويافِعٌ ..... ، فإذا خرج وجْهُهُ فهو طارٌّ .... " (١)

ويقول أيضاً في بيان طَلْع النَّخْل : " ومن طَلْعِه وادراك تمرة الطَّلع وهو الكافور . ... فإذا انْعَقد الطَّلْع حتى يصير بَلَحاً فهو السَّيَاب ...، فإذا أخضَر واستدار قبل أَنْ يشتدَّ فأهل نجدٍ يسمُّونه الجَدَال ، فإذا عَظُم فهو البُسْر ، فإذا صارت فيه خُطُوطٌ وطرائِقُ فهو المُخطمّ ، فإذا تغيَّرت البُسْرَةُ إلى الحمرة قيل : هذه شُقْحَةٌ ...... فإذا ظهرت فيه الحُمْرَة قيل : أَزهى النَّخل وهو الزَّهْو .... فإذا بدت فيه نقطٌ من الإرطاب قيل : قد وَكَّتَ وهي بُسْرةٌ مُوكِّتةٌ ، ...... "(٢) وتَدَرّج المؤلف في طلع النخل بذكر الألفاظ التي تُطْلَق عليه فى مراحل نموّه حتّى تصير الثمرة رطبة .

وفى ترتيب الشجاعة وتدرجها ذكر الثعالبي عن ابن الأعرابى قوله : " رجلٌ شُجاعٌ . ثُمَّ بَطَلٌ ، ثم صِمَّةٌ ، ثم بُهْمَةٌ ، ثم ذَمِر ، ثم حَلِس وحَلْبَس . ثم أَهْيَس ثم نَكَل ، ثُم نَهِيك ومِحْرَب ، ثم غَشَمْشَم وأَيْهَم . " (٣) فالمجال

---

(١) خلق الإنسان ، للأصمعي ، ص ١٦٠ ضمن (الكنز اللغوى) .
(٢) كتاب النخل والكرم ، للأصمعي ، ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) فقه اللغة وسر العربية ، ص ٨٧ .

الدلاليّ-كما هو واضح-الشّجاعة ، ومايندرج تحت هذا المجال من كلمات إنّما هي أجزاء له .

ومن الأمثلة أيضاً قول الأصمعيّ في نعوت طول النخل : " ومن نعوت طولها إذا صار لها جذعٌ يُتَناول منه المتناوِل فتلك النخلة العضيد ، فإذا فاتت اليد فهي جَبّارةٌ ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي الرّمْلَة ..... وإذا طالت ولعل ذلك مع انجراد فهي سَحُوقٌ وهن سُحُقٌ ...... "(١)

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن الأعرابي : " وبئر نَضُوضٌ ، ويَسُروض ، ورشوح ، وَمكُول : وهي التي يجتمع ماؤها قليلاً قليلاً ، ويقال : قد اجتمعت فيها مُكْلَةٌ . وإذا كانت لايؤخذ ماؤها إلاّ غَرْفاً فهي قَدُوح .... وإذا كانت يأتي ماؤها مَرّة ، ويذهب أخرى فهي الظّنُون . وإذا كانت إذا استُقى ماؤها جَمّتْ بماءٍ آخر قيل : بئرٌ قَطُوع ..... "(٢) فالمجال الدلالي هنا يتمثل في (البئر) وما يندرج تحت هذا المجال إنّما هو من الكلمات التي تتميّز بوجود الملامح الدلاليّة المشتركة فيما بينها ، هذه المفردات جملة كونت مجالاً دلاليّاً واحداً وهو البِئْر .

ومن الأمثلة – أيضاً – ماأورده أبومحمّد ثابت بن أبي ثابت عند تعرُّضه لأسماء أولاد ذَواتِ الحافِر فيقول : " ... ويقال له من ذَواتِ الحافِر: مُهْرٌ والأنثى : مُهْرَةٌ .... ثُمَّ هو راضِعٌ ، والأُنْثَى راضِعَةٌ . فإذا نالا من الأرض شيئاً فَهُو قَارِمٌ والأُنْثَىٰ قارِمَةٌ . وهذا يصلُح في الحافر كُلّه أنْ يُقَال :

---

(١) كتاب النخل والكرم ، للأصمعي ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) كتاب البئر ، لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابيّ ، تحقيق : رمضان عبدالتواب (الهيئة المصرية العامة،١٩٧٠م) ص ٦٠ ٦١

قارم وقارمة . فإذا بلغ ستة أشهر أو نحو ذلك فهو خَارِفٌ...... فإذا بلغ السنة فهو فَلُوٌّ .... ويقال له أيضاً ، حَوْلِيٌّ حَوْلٍ وحَوْليٌّ حَوْلَين ، إذا كان ابن سنة أو سنتين ، ومحيل حول . فإذا طاق الركوب قيل : قد أَرْكَبَ يُرْكِب اركاباً ، وذلك عند إِجْذَاعِهِ ..... وإنَّما يُجْذِعُ في العام المقبل ثم يُثْنى ، وإثناؤُهُ : سقوط ثَنِيَّتِهِ ثُمَّ يكون ثَنِيّاً سَنَةً كما كان جَذَعاً سَنَةً . ... ثم يُرْبِع وَإرباعُهُ : سقوط رَبَاعِيَّته فيكون رباعياً سنة ... ثم ليس سوى سِنّ الإرباع إلاّ القروح ، لأنّه إذا ألقى السِّنَ الّتي وراء الرباعية فذلك قروحه .... "(١)

مما تقدم من أمثلة نلاحظ أنَّ مجموعة الكلمات التى يتكون منها المجال هي التى يتضح بينها الخصائص المشتركة فى ملامحها الدلالية ، ومن خلال الجدول التالى تتضح هذه الملامح الدلالية المشتركة فى المثال السابق ذكره .

---

(١) كتاب الفرق ، لأبي محمد ثابت ، ص ٦٩ ، ٧٠ . ٧١

الألفاظ / الملمح الدلالي	وقت ولادته	نوعه – ذكر – أنثى	وقت رضاعه	وقت تناوله من الأرض مع الرضاع	وقت بلوغ ستة أو سبعة أشهر	بلوغ سنة وفطامه	اطلاقات أخرى بعد سنة، وسنتين	وقت إطاقته الركوب	وقت إجذاعه (بعد تمام سنتين)	وقت سقوط ثنيته	وقت سقوط رباعيته	وقت سقوط السن التي وراء الرباعية
مهر	+	–	–	–	–		–	–	–	–	–	–
مهرة	+	–	–	–	–		–	–	–	–	–	–
رافع	–	+	+	–	–		–	–	–	–	–	–
رافعة	–	+	+	–	–		–	–	–	–	–	–
قارم	–	–	–	+	–		–	–	–	–	–	–
قارمة	–	–	–	+	–		–	–	–	–	–	–
خروف خارف	–	–	–	–	+		–	–	–	–	–	–
خارف	–	–	–	–	+		–	–	–	–	–	–
فلو						+	–	–	–	–	–	–
فلوة	–	–	–	–	–	+	–	–	–	–	–	–
محيل حول	–	–	–	–	–	–	+ +	–	–	–	–	–
حولي حول	–	–	–	–	–	–	+ +	–	–	–	–	–
حولي حولين	–	–	–	–	–	–	+ +	–	–	–	–	–
حولي حولين	–	–	–	–	–	–	+ +	–	–	–	–	–
أركب	–	–	–	–	–	–	–	+	–	–	–	–
		–	–	–	–	–	–	+	–	–	–	–
جذع	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–	–	–
	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–	–	–
ثني	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–	–
ثنية	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–	–
رباع	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–
رباعية	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+	–
قارح	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+
قارح	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	+

ثانياً : مؤلّفات ذات مجالات دلاليّة متعددة :

تحدّث اللّغويّون المحدثون عن المعاجم الأوروبيّة التي حاول مؤلفوها أنْ يضمّنوها العديد من المجالات الدّلاليّة ، وعدم اقتصارها على مجال دلالى معين – كما مَرّ سابقاً – ، ومن أشهر هذه المعاجم الأوروبية معجم روجيه (ROGET) وهو باللّغة الإنجليزيّة ، حيث قام " بتصنيف معجمه على أساس ستة مجالات دلاليّة هى " العلاقات المجرّدة ؛ المكان ، المادّة ، الفكر ، الإرادة ، العواطف . " وقد اشتملت هذه المجالات الرئيسيّة على (٩٩٠) مجالاً فرعياً " (١)

ومن معاجم الأوروبيين أيضاً معجم اللّغويّ الألماني دورنزايف (DORNSEIFF.) ، ويشمل هذا المعجم عشرين مجالاً دلالياً رئيسياً ، وكل مجال منها يشتمل على عدد من المجالات الفرعية . كما ألّف اللغوى الفرنسيّ بواسيير (BOISSIERE) معجماً دلالياً ضمّنه عدداً من الحقول(٢) وغيرها من المعاجم الدلاليّة الأوروبيّة ذات المجالات المتعددة .

وإذا اتّجهنا إلى ماكتبه اللّغويون العرب في هذا النوع من المعاجم الدلاليّة ، وجدناهم قد صَنّفوا مجموعةً من الرّسائل ذات المجال الدلالى الواحد ، كما صَنّفوا أيضاً معاجم عدة ذات مجالات دلالية متعددة ، ممّا يدعونا للقول بأنهم سبقوا الأوربيين بمئات السّنين ، وفيما يلى أشير إلى المعاجم الدّلاليّة الّتي صُنّفت في هذا الموضوع . وهي : الغريب المصنف

---

(١) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ . وانظر : علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص٨٤ .

(٢) للمزيد ينظر : أصول تراثية ، ص٢٩٧ . وانظر : علم الدلالة ، ص ٨٤ .

لأبى عبيد القاسم بن سلّام (٢٢٤ هـ) ، والمنجّد لكراع النمل (٣١٠ هـ) ، وفقه اللغة للثعالبي (٤٣٠ هـ) ، والمخصّص لابن سيده (٤٥٨ هـ) ، وغيرها من المؤلّفات الّتي اشتملت على أكثر من مجال دلاليّ ، إلّا أنّ النواة الأولى بدأها أبوعُبَيْد فى معجمه (الغريب المصنف)، وسار على غراره من صنف بعده من اللغويين ، ويُعَدُّ هذا المعجم من أبرز المعاجم التى اشتملت على كثير من المجالات الدلاليّة ، وسوف أقوم بدراسته وإبراز بعض ما اشتمل عليه من الحقول سواء أكانت رئيسة أم فرعية .

وقبل أن أعرض لِمَا اشتمل عليه (الغريب المصنف)من مجالات أَودّ أنّ أشير إلى ثلاثة معاجم دلاليّة أُلِّفَتْ فى القرون اللّاحقة للقرن الثالث ، لِأُبيّن من خلالها تأثير الغريب المصنّف فيها ، ومن ثمّ اكتمال هذه النظريّة على يد اللّغَويّ ابن سيدة فى معجمه المخصّص .

أولا : المنجّد ، لكراع النّمل (٣١٠ هـ) :

يقوم هذا المعجم فى الأصل على فكرة رئيسة هى المشترك اللّفظيّ ، وقد أشار إلى هذه الفكرة محقّقا هذا المعجم ، بيد أنّ هذا الكتاب اشتمل على ستّةِ مجالاتٍ دلاليّة ، قُسِّمت على أبواب الكتاب ، هذه المجالات هي :

الأوّل : تحدّث فيه عن أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .

الثاني : تحدث فيه عن صنوف الحيوان من ناس وسباع وبهائم وهوامّ .

الثالث : تحدّث فيه عن الطير .

الرابع : تحدّث فيه عن السلاح وأنواعه .

الخامس : تحدّث فيه عن السماء ومايليها .

السادس : تحدّث فيه عن الأرض ومايليها .

غير أن الباب الأخير من الكتاب لانستطيع أن نعدّه مجالاً دلالياً بالمعنى الدقيق للمجال ، إلا إذا اعتبرنا ذلك من قبيل التجاوز ، ويكفى المؤلف ماقام به من جهد في جمع وتصنيف هذه الألفاظ .(١)

ولاشك أنّ هذا العالِم نهج فى طريقة تأليفه نهج من تقدمه من اللّغويين ، ممن ألفوا فى ظاهرة المشترك اللّفظي ، بيد أنّ تصنيفه وترتيبه لموضوعات هذا المعجم ، جعل منه معجماً دلالياً من بين المعاجم ذات الموضوعات المتعدّدة الحقول .(٢)

فقه اللّغة . للثعالبيّ (ت ٤٣٠) :

قسّم المؤلف كتابه إلى جزئين . تحدث في جزئه الأوّل عن فقه اللّغة . ضمّن هذا الجزء كثيراً من الظّواهر اللّغويّة الّتي تندرج تحت هذا المُسَمَّى .

أمّا القسم الثاني من الكتاب وهو القسم الأصغر ، فقد تحدّث فيه عن بعض الظّواهر اللّغويّة والنحوية والصرفية ذاكراً من أخذ عنهم من اللّغويّين الذين سبقوه كالخليل وأبى عبيد والأصمعي وغيرهم (٣).

كما بَيَّن فى مقدمة كتابه المنهج الّذى سار عليه وما اشتمل عليه من أبواب وفصول ضَمَّها هذا الكتاب فيقول : " ...... ، فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية ، وضمّنتها من الفصول ماينا هز سِتَّمائة فصل."(٤). وقد بلغ عدد الفصول على وجه التحديد ستمائة وأربعة عشر فصلاً .

اشتمل هذا الكتاب على عدد من المجالات الدلالية الفرعية ، من

---

(١) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٣٠٠ .
(٢) المنجد فى اللغة ، ص ٢٩ .
(٣) فقه اللغة ، ص ٣٠ .
(٤) السابق نفسه ، ص ٣١ ، ٣٢ .

بينها : الباب الّذي عقده في الألوان وضروبها ، وما أفرده من فصول اختصّت بالحديث عن الإنسان والحيوان والنبات وغيرها ، إلاّ أنَّ الملاحظ أنَّ المنهج الذى سار عليه المؤلّف يختلف عن مناهج اللُّغويّين السابقين ، فهو " يبدأ بأسماء الكلّيات الّتي تضمّ مايتعلّق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد، ثمّ تتوزع الأبواب على مجالات دلالّية فرعيّة متفرّقة،لتشمل معظم قطاعات المعجم . "(١).

ويُعَدُّ هذا المعجم من بين المعاجم الدلالية ذات الموضوعات المتعدّدة الّتي يجمعها مجال دلاليٌّ رئيسيّ ، وعنه تتفرع بقية المجالات . ولو لم يُشِر الثعالبى إلى الصلة أو الترابط الذى بين مفردات الحقل الدلالى ، إلاّ أنَّ هذا لايمنع من كون هذه الفكرة كانت واضحةً في ذهنه .

المخصَّص . لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) :

يعد معجم المخصص أوسع المعاجم التى تناولت الموضوعات المتعددة ، حيث يقع في سبعة عشر كتاباً ، احتوت هذه الكتب على كثير من الأبواب التى تعد مجالات دلالّية فرعيّة ، وضمت هذه المجالات الفرعيّة مجموعات دلاليّة صغيرةً .

وقد قَسَّم أحد اللّغويين المحدثين المجالات الّتي اشتمل عليها المخصص عموماً إلى أربعة أقسام هى : الإنسان ، والحيوان ، والطبيعة ،والماديات ، وضمّن كلَّ حقل منها عدَّة حقول فرعيّة .(٢)

وأرى أنَّ هذا المعجم من أوضح المعاجم العربية، التى توضح بدقة

---

(١) أصول تراثية فى علم اللغة ، ص ٣٠١ .
(٢) السابق نفسه ، ص ٣٠٢ .

نظرية الحقول الدلالية ، حيث ضمَّنه المصنف عدداً من الحقول ، سواء كانت رئيسية أو فرعية ، ومن بين الحقول الرئيسية :

كتاب خلق الإنسان ، وكتاب النساء ، وكتاب اللباس ، وكتاب الطعام ، وكتاب السلاح ، وكتاب الخيل ، وكتاب الإبل ، وكتاب الغنم ، وكتاب الوحوش ، وكتاب السباع ، وكتاب الطير ، وكتاب النخل ، وغيرها من الكتب الّتي أدرجها في معجمه ، وقد بلغت ثمانيةَ عشر كتاباً ، تفرّع بعضها إلى عدَّة مجالات فرعيّة ، وانقسمت بعض هذه المجالات إلى مجموعات دلاليّة عديدة ومن أمثلتها :

كتاب خلق الإنسان : قسمه المؤلّف إلى ثلاثة أبواب هي :[1]

(١) باب الحمل والولادة وضمَّن هذا الباب مجموعات دلالية من بينها :

(أ) أسماء مايخرج مع الولد .

(ب) الرضاع ، والفطام ، والغذاء وسائر ضروب التربية .

(ج) الغذاء السيّء للولد .

(د) أسماء ولد الرجل في الشباب والمكبر .

(هـ) الرأس .

(٢) باب التشعث . كما احتوى هذا الباب أيضاً على بعض المجموعات الدلالية منها :

(أ) مايعرض للشعر من الحكة ونحوها .

(ب) الامتشاط والفلي ونحوها .

(ج) الشيب ونعوته .

---

(١) ينظر : المخصص ، لابن سيده (دار الفكر ، بيروت) ١٥/١ فما بعدها .

(د) حلق الشعر .

(هـ) الأذن ومافيها وصفاتها .

(و) العين ومافيها .

(٣) باب الفصاحة : تفرّع هذا الباب إلى مجالات فرعيّة منها :

(أ) خِفّة الكلام وسرعته .

(ب) ثقل اللّسان واللّحن وقلّة البيان .

(ج) كثرة الكلام والخطأ فيه ...

كما تحدّث ابن سيده عن عدد من الظّواهر اللّغوية من نحويّة وصرفيّة واشتقاقيّة علاوة على ماضمّه من حقول دلاليّة متنوِّعة .

الغريب المصنف لأبي عبيد (٢٢٤ هـ) :

يعد كتاب الغريب من أوائل المعاجم العربية الّتى جمعت بين دفتيها العديد من المجالات الدلالية ، فقد ضَمّنه خمسة وعشرين كتاباً ، اشتمل كل كتاب منها على العديد من الأبواب التى نستطيع أن نعد غالبيتها من المجالات الدلالية الفرعية ، كما اشتملت بعض هذه الفروع على مجموعات دلالية أخص منها .

صدر أبوعبيد كتابه بكتاب خلق الإنسان ، وختمه بكتاب الأجناس(١) ، وتناول العديد من الموضوعات الّتى أدرجها تحت هذه الكتب ، وقد تأثّر بعمله هذا كلُّ من جاء بعده من اللُّغويين الذين صنّفوا في هذا المجال ،

---

(١) يقصد بالأجناس عند أبى عبيد : تلك الألفاظ التى تتحد مبنى وتختلف معنى ومثال ذلك كلمة العَرض بالفتح والعُرض بالضم ، إذ ذكر لكل من هذين اللفظين وماشاكلهمامعاني عديدة ، انظر : المخطوط لوحة رقم (٥٤٤ أ) .

كما أَنَّه أخذ عن العديد من اللّغويّين المتقدّمين من مثل الأصمعيّ ، وأبي زيد ، وغيرهم ممّن أشار إليهم فيِ ثنايا كتابه .

أما تقسيمه للكتاب فكان على النحو التالى :

قسم كتابه إلى خمسة وعشرين كتاباً مرتبه فى المخطوط كالتالى :

(١) كتاب خلق الإنسان .

(٢) " النساء .

(٣) " اللباس .

(٤) " الأطعمة .

(٥) " الأمراض .

(٦) " الدور والأرضين .

(٧) " الخيل .

(٨) " السلاح .

(٩) " الطير .

(١٠) " الأواني والقدور .

(١١) " الجبال .

(١٢) " الشجر والنبات .

(١٣) " المياه والقِنيّ .

(١٤) " كتاب النخل .

(١٥) " السحاب والأمطار .

(١٦) " الأزمنة والرياح .

(١٧) " أمثلة الأسماء .

(١٨) " أمثلة الأفعال .

(١٩) كتاب الإبل .

(٢٠) " الغنم .

(٢١) " الوحش .

(٢٢) " السباع

(٢٣) " الأضداد .

(٢٤) " الأسماء المختلفة للشيء الواحد .

(٢٥) " الأجناس .

من خلال قراءتي لهذا المعجم اتضح لي اشتماله على كثير من الظواهر ، سواء أكانت لغويّةً ، أم نحويّةً ، أم صرفيّةً ، أو على ما اشتمل عليه معجمه من حقول دلاليّة عديدة . كما أنَّ من الملاحظات على هذا المعجم إيرادَ العديد من الأبواب تحت الكتب الآنفة الذكر والّتي كان من الأنسب أن يضع كل باب منها تحت الكتاب الّذي يخصه ، ولعلّ هذا الخلط حدث من النُّسَّاخ ، ومن أمثلة ذلك : ماضمنه كتاب السباع من الأبواب التالية :

(١) باب اسم بقية الطّعام واللّحم والشحم ، وباب تغير اللحم واشتداده، وباب النفي في الطعام . كان من الواجب أن توضع مثل هذه الأبواب تحت كتاب الأطعمة .

(٢) وباب النشاط والخفّة ، وباب البهت والدهش ، وباب الإقرار بالحقّ والخضوع ، وغيرها . وكان من الأنسب أن يضعها تحت كتاب خلق الإنسان .

(٣) باب أفعال الموت ، وباب الموت وأسمائه ، وباب الهلاك وأفعاله ، باب الدواهي وأسمائها ، باب القتل وأنواعه والخنق ، باب الإفساد

بين الناس ، باب مايلقى الإنسان من صاحبه من الشر .

كلُّ هذه الأبواب أدرجها تحت كتاب السباع ، وكان من الأنسب أن يضعها فى كتاب مستقلّ ، خاصّة وأنه أفرد مجموعةً من الأبواب للقتال ، وعَنْوَن لها بهذا العنوان .

وفى المعجم عدد من الأمثلة على هذا الخلط خاصة فِي الجزء الأخير منه ، وربَّما كان هذا من عمل النساخ - كما ذكرت - بدليل استقامة غالبية الكتب - فقد وضع كل باب تحت مايخصه من الكتب .

ولاشك أَنَّ التفكير فِي عمل معجم لغويّ مثل هذا فِي وقت مبكر من الزمن يُعَد انجازاً عظيماً ، ويحسب فِي موازين هؤلاء العلماء .ثم إن وُجِدت بعض الملاحظات على هذا المعجم أو غيره فهِي ملاحظات يسيره لاتُنْقِص من العمل خاصة أنّ هذه المؤلفات ألفت فى فترة زمنية مبكرة .

وبعد أن أوردنا فكرة موجزة عن هذا المعجم وما احتواه من كتب وبعض الأبواب الّتِي اشتملت عليها هذه الكتب ، فسبيلنا الآن التطبيق على بعض المجالات الواردة فِي هذا المعجم .

من بين الكتب الّتِي ضمّنها معجمه كتاب الطير . أورد تحت هذا الكتاب المجالات الفرعيّة التّالية :

(١) أسماء الطير وضروبها .

(٢) عشّ الطير وفراخها .

(٣) باب طيران الطائر .

(٤) باب أصوات الطير .

(٥) باب مايصيد من الطير .

(٦) باب صغار الطير والهوام والنحل .

(٧) باب الجراد .

(٨) باب اليعاسيب والجنادب وأشباهه .

كل هذه الفروع تعد مجالات فرعية متفرعة عن المجال الرئيسى وهو (الطير) .

أما المجموعات الدلالية التى وردت تحت هذا الكتاب فهى :

(أ) باب بيض الطير .

(ب) نعت البيض .

كما ورد تحت باب اليعاسيب والجنادب وأشباهه المجموعات التالية :

(أ) الغظاء والجرباء وأشباهه .

(ب) الحيات ونعوتها .

(ج) العقارب .

(د) لدع العقرب والحية .

(هـ) النمل والقمل .

(و) الذباب .

(ز) القردان والحلم .

(ح) السلاحف والضفادع .

وبعد أن عرضت لهذا المجال الدلاليّ ، سأتحدّث عن كتاب خلق الإنسان، وما احتواه من مجالات . يبدأ الكتاب بمجال دلاليّ رئيسيّ هو " خلق الإنسان"، مشتملا في الوقت ذاته على مجالات دلالية فرعية ، ولكنها تفتقد إلى التنسيق والترتيب المنطقى ، وإذا حاولنا أن نعيد ترتيب هذه المجالات الفرعيّة فى إطار نظريّة المجال الدلاليّ أمكننا أن نعرض لها من خلال ثلاثة

مجالات فرعيّة هي : المجالات الخِلْقية ، والخُلقية ، والقرابة [1].

وكل مجال من هذه المجالات الفرعية يشتمل على مجموعات دلالية صغيرة ، يمكننا أن نوزّعها كالتالي :

(أ) الخلقيّة وتشمل المجموعات التالية :

(١) باب الطّوال من الناس .

(٢) باب نعوت الطوال مع الدقه والعظم .

(٣) باب القصار من الناس .

(٤) باب نعوت القصار مع السمن والغلظ .

(٥) باب الضعيف البدن .

(٦) باب الشباب من الناس .

(٧) باب كبر السّنّ والهرم .

(٨) باب الشّدّة والقوة والخلق .

(٩) باب ضعف العقل والرأى الأحمق .

(١٠) باب الجمال والقبح .

(١١) باب المجنون .

(١٢) باب الألوان واختلافها .

(١٣) باب أسنان الأولاد .

(١٤) باب الأسنان وزيادة الناس فيها .

(١٥) باب أُسماء مايخرج مع الولد .

(١٦) باب دمع العين وغوّورها وضعفها .

---

(١) ضم الكتاب أيضاً مجالاً رابعاً وهو (مجال الحركة) لكنه كان أقل هذه المجالات الفرعيّة فتحدث عن نعوت مشي النّاس واختلافها ، ثم عن مشى الرجل حتى يذهب فى الأرض ، وباب السرعة والخفّة في المشي وغيره .

(١٧) باب الأصوات واختلافها .

(١٨) باب أصوات كلام الناس وحكمتهم .

(١٩) باب الألسنة والكلام .

(ب) المجالات الخُلقية وتتضمن المجموعات التالية :

(١) باب الأخلاق المحمودة في الناس .

(٢) باب الأخلاق المذمومة والبخل .

(٣) باب الشجاعة وشدّة البأس .

(٤) باب الشرّ ودخول الإنسان فيما لايعنيه .

(٥) باب الشرير المسارع إلى مالاينبغى .

(٦) باب الخسيس الحقير من الرجال والدّعي .

(٧) باب خشارة الناس وسفلتهم .

(٨) باب قسمة الرزق بين الناس .

(٩) باب الرجل الحاذق بالشيّء والرّديء البيع .

(١٠) باب ذكاء القلب وحدّته .

(١١) باب الجبن وضعف القلب .

(جـ) مجال القرابة ويشمل المجموعات التالية :

(١) باب النسب .

(٢) باب النّسب في الآباء والأُمّهات وغيرها .

(٣) باب النسب في المماليك .

(٤) باب أسماء القرابة في النسب والادّعاء .

(٥) باب النسبةّ .

(٦) باب أَسماء أوّل ولد الرجل وآخرهم .

(٧) باب أسماء ولدِ الرجل في الشباب والكبر .

(٨) باب نزع شبه الولد إلى أبيه والصّحّة في النّسب .

ممّا سبق تتّضح لنا المجالات الرئيسه والفرعية والمجموعات الدلاليّة الصغيرة الّتي احتوتها المجالات الدلالية الفرعية .

وفى المعجم كثير من المجالات الدلاليّة الواضحة ومن بين ما أدرجه أبوعبيد تحت المجالات الفرعيّة قوله ـ فى نعوت مشى الناس واختلافها ـ " الذألان من المشى الخفيف ..... والدَّألانُ بالدال : مشي الذى كأنه يبغى فى مِشْيَتِهِ مِنّ النَشاط .... والنأَلان الذى كأنه ينهض برأسه إذا مشى يُحَرِّكُهُ إلى فَوْقٍ مثل الذى يعدو وعليه حِمْلٌ ينهض به . والإِحْصَاف : أَنْ يعدو الرجل عَدْواً فيه تَقَارُبٌ .... والكَرْدَحه والكمْتَرَةُ كلتاهما من عدو القَصِير المتقارب الخطى ..... والهَوْذَلة : أن يضطَرِب فى عَدْوِه ..... والتَّرَهْوُك الّذي كأنّه يموج فى مِشْيَتِه .....والأَوْنُ الرّويد من المشيِ والسّير ...... والكَكْكَة سرعة المشي ......الدَلْح : مشى الرجل بحِمْلِهِ وقد أثقله ..... والقَطْو: تقارب الخَطْو من النشاط .....والإِزْرَاف : الاسراع ..... البَحْظَلةُ أن يقفِز الرّجل قفزان اليَرْبُوع والفَأْرَة ..... والأَتَلانُ : أن يُقَارِبَ خَطْوه في غضَبٍ... "(١) .

وبالنظر فى هذا يبدو لنا تصنيف أبيِ عُبَيدٍ لحركة المشي فى صورها المتعدِّدة ، وستتّضح من خلال الجدول التّالي الملامح الدلاليّة الّتي تضمنتها هذه الكلمات،وذلك من خلال ماذكره أبوعبيد في نَصِّه السّابق .

---

(١) الغريب المصنف ـ لوحة (٣٢ ب) .

الألفاظ / الملمح الدلالي	الأتلان	الدألان	الدألان	النألان	البحظلة	المكمكة	الكردحة	الكمترة	الهوزلة	الأون	الدلح	القطو	الإحصاف	الإرزاف	الترهوك
تقارب الخطو فى غضب	+	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-
مشى الذى كأنه يبغى فى مشيته النشاط	-	+	+	-	-	-	-	-	-	-	-	+	-	+	-
المشى الخفيف	-	-	+	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-	-	-
مشى الذى ينهض برأسه بحركة الى فوق مثل الذى يعدو وعليه حمل ينهض به	-	+	-	+	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-	+
قفز الرجل قفزان اليربوع والفأرة	-	-	-	-	+	-	-	-	+	-	-	-	-	-	-
سرعة المشى	+	+	+	-	-	+	-	-	+	-	-	+	+	+	-
عدو القصير المتقارب الخطا	-	-	-	-	-	+	+	+	+	-	-	+	+	+	-
الاضطراب فى عدو الرجل	-	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-	-	-	-
الرويد من المشى والسير	-	-	-	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-	-	-
مشى الرجل بحمله وقد أثقله	-	-	-	+	-	-	-	-	-	-	+	-	-	-	-
تقارب المشى من النشاط	+	+	+	-	-	+	+	+	+	-	-	+	+	+	-
العدو فيه تقارب	-	-	-	-	-	+	+	+	+	-	-	-	+	+	-
الإسراع	+	+	+	-	+	+	+	+	+	-	-	+	+	+	-
مشى الذى يموج فى مشيته	-	-	-	-	-	-	-	-	+	-	+	-	-	-	+

فلو أردنا تحديد الملامح الدلالية للأتلان وجدناها عبارة عن : تقارب الخطو فى غضب + سرعة المشى + تقارب المشى من النشاط ،

كما روى أبوعبيد عن أبى زيد قوله فى (باب أسماء الجماعات من الناس): النفر والرهط مادون العَشَرة من الرجال ، والعُصْبَةُ من العشرة إلى الأربعين وقال أبوزيد : والعِدْفَةَ مابين العَشَرة رجال الى الخَمْسِين .... والزِمزِمَةُ من الناس الخَمْسُون ونحوها ، والقَبيلُ الجَمَاعةُ يكونون من الثلاثة فصاعداً من قومٍ شتى .... والقَبيلَة بنو أبٍ واحد .... والقَبْص الجماعة الكثيرة .... "(١) .

ومن خلال الجدول التالى تتضح الملامح الدلالية الواردة فى النص السابق .

ملامح دلالية / ألفاظ	مجموعات	قرابة	أقل من عشرة	من عشرة حتى أربعين	من عشرة الى خمسين	الخمسون أو قريب منها	الجماعة من ثلاثة فصاعدا أقوام شتى
النَفَر	–	–	+	–	–	–	–
العُصْبَةُ	–	–	–	+	–	–	–
العِدْفَة	–	–	–	–	+	–	–
الزِمزِمَة	–	–	–	–	–	+	–
القَبِيلُ	+	–	–	–	–	–	+
القَبيلَة	+	+	–	–	–	–	–
القَبْص	+	–	–	–	–	–	–
القَنِيف	+	–	–	–	–	–	–
الغَبْشَرةُ	+	–	–	–	–	–	+

تحقيق الصفة = +

سلب الصفة = –

---

(١) الغريب المصنف ، ورقة (٣٧) .

آثر الغريب المصنّف في المخصّص :

لاشكّ أنّ كتاب الغريب يعدُّ رأس مدرسة المعاجم العربية الّتي صُنّفت على أساس المعاني أو المجالات الدلاليّة .

وقد تأثّر بعمل أبي عُبَيْدٍ العديد من اللُّغويّين الّذين أتوا من بعده، ومن بينهم ابن سيده ، حيث يبدو ذلك واضحاً في معجمه المخصص . إلا أنّ الترتيب الّذى سار عليه ابن سيده أدق من ترتيب أبي عبيد ، سواء أكان ذلك في تصنيفه للكتب، أم في ادراج ما احتوته هذه الكتب من مجالات فرعية . علماً بأنّ أباعبيد كان دقيقاً فى كثير من الأبواب التي ضمّنها كتابه .

وأوّلُ مانلحظه من تأثير الغريب في المخصّص من ناحية المنهج الّذي سار عليه ابن سيده ، حيث نَهَجَ نَهْجَ أبي عبيد ، فكلا الكتابين انقسما إلى عدة كتب ، انقسمت هذه الكتب إلى عدّة أبواب ، ثم تفرّعت بعض هذه الأبواب إلى جزئيّاتٍ صغيرة .

كما أنّ أسماء بعض هذه الكتب قد أخذها ابن سيده بنصّها من الغريب ـ وقد أشار ابن سيده إلى تأثُّرِهِ بالغريب المصنّف وذلك في مقدمة كتابه (١) وهذا مِمّا يحمد له ـ ومن بينها :

(١) كتاب خلق الإنسان .
(٢) كتاب النساء .
(٣) كتاب اللباس .
(٤) كتاب الطعام .
(٥) كتاب السلاح .
(٦) كتاب الخيل .
(٧) كتاب الإبل .

---

(١) انظر المخصص ١١/١ ، ١٢ .

(٨) كتاب الغنم .

(٩) كتاب الوحوش .

(١٠) كتاب السباع .

(١١) كتاب الطير .

(١٢) كتاب النخل .

كما أنّ التقسيمات الفرعية الّتي تدخل ضمن هذه الكتب قد استفاد ابن سيده من بعضها ، ومن بينها : نعوت الطوال مع الدقة أو العظم ، الغذاء السّيّءُ للولد ، أسماء أول ولد الرجل وآخرهم ، أُسماء مايخرج مع الولد . وغير ذلك كثير لاسبيل إلى إحصائه في هذا الموضع .

ولاغرابة في تأثر ابن سيده بكتاب الغريب ، فقد كان يحفظه عن ظهر قلب ، " قال أبوعمر الطَّلَمَنْكِيّ : دخلت مُرْسِيَة ، فتشبّث إليّ أهلها ، ليسمعوا عنى غريب المصنف ، فقلت لهم : انْظُروا من يَقْرأُ لكم ، وأمسك كتابى ، فأَتَوْنِي بَرُجلٍ أعمى ، يُعْرَف بابن سيده ، فَقَرأه عَلَيّ من أوله إلى آخره ، من حفظه ، فعجبت منه . "(١).

ولاشك أنّ لابن سيدة إضافاتٍ وآراءً جيّدة ، فقد أضاف كثيراً من الكتب الّتى لم يعرض لها أبوعبيد ، إضافة إلى بيانه وتفصيله والترتيب الّذى اتبعه في التقسيم .

كذلك تحدّث في الأجزاء الأخيرة من كتابه عن كثير من القضايا اللُّغويّة ،والنحويّة ،والصرفيّة ،التى أفرد لبعضها كتباً منفصلة . من مثل كتاب الأضداد ، وكتاب الأفعال ، والمصادر، وغيرها . كل هذه الظواهر احتواها معجمه ، لذلك يعد رأس هذه المدرسة فى المعاجم العربية .

---

(١) معجم الأدباء ، ياقوت الحموى (القاهرة ، مكتبة عيسى البابى الحلبى ، الطبعة الأخيرة) ٢٣٣/١٢ .

الفصل السّادس

قضايا تعدّد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ

ويشتمل على :-

- الترادف
- المشترك
- التضاد

(قضايا تعدد اللفظ للمعنى وتعدد المعنى للفظ)

تمهيـــــــــد :

الأصل في اللغة أَنْ يكون لِلّفظ الواحد معنىً واحد ، وهذا ما يُسَمَّى بالمتباين ، ولكن قد تتعدد المعاني لِلَّفظ الواحد ، وهذا مايسمى بالمشترك اللَّفظيّ ، وقد تَتَعدّد الألفاظ والمعنى فيها واحد ، وهذا ماسُمّي بالمترادف ، وقد يُطْلَق اللّفظ على معنيين متضادّين ، وهذا ماسُمِّي بالتضاد .

كل هذه الأَوجه احتوتها مفردات لُغتنا العربيّة ، وإِنْ دَلَّ هذا على شيءٍ فإِنَّما يَدُل على اتِّساع اللَّغَة كما قال الشافعيّ : " كلام العرب لايحيط به إلاَّ نَبِيّ . " (١)

وقد عُنِيَ علماء اللُّغَة بالبحث في هذه الظواهر الدلاليّة ، سواء أكان ذلك من علماء اللّغة القدماء ، أمْ من اللُّغويّين المحدثين . وبحثوا كلَّ ظاهرة من هذه الظّواهر على حدةٍ .

ويبدو أَنَّ معرفة القدماء لها تَمَّتْ بعد أَنْ جمع اللّغويون مفردات اللغة ، وتصنيفهم هذا الجمع ،ومعرفة محتوياته ، وذلك فى وقتٍ مبكرٍ من الزمن . وأول مايطالعنا من كتب القدماء التي تحدثت عن هذه الظواهر نظرياً ، هو مانجده في كتاب سيبويه حيث يقول : " اعلم أَنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين . " (٢)

فأَمَّا القسم الأَول مِمَّا ذكره سيبويه ، فَيتمشَّى مع الأصل . فمتى اختلف اللفظ اختلف المعنى ، فَلِكُل لفظ معنى خاص به ، وهذا الذى عليه

---

(١) الصاحبيّ ، تحقيق : سيد صقر ، ص ٢٦ .
(٢) الكتاب ، ٢٤/١ .

أكثر كلام العرب ، وهو مايُسَمَّى بالمتباين . ومَثَّلَ له بجلس وذهب .

وأَمَّا القسم الثاني : وهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فقد سُمِّيَ بـ " الترادف " ومَثَّل لهذا النوع بذهب وانْطَلَق .

والقسم الثالث والأخير هو : اتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين ، وهذا ماأُطْلِق عليه : " المشترك اللّفظيّ " ، ومَثَّلَ لهذا النوع بلفظة وَجَدَ . فوَجدت عليه من المَوْجِدة ، ووَجدت : إذا أردت وِجدان الضالّة .

والأمثلة على هذه الظّاهرة وبقيّة الظواهر السابقة كثيرة ، إذْ أُفْرِدَت لبعضها العديد من المصنّفات اللّغويّة ، سأَعْرِض لها عند دراسة كُلِّ ظاهرةٍ منها على حدةٍ .

أولاً : التـــرادف (*)

الترادف في اللغة : تتابع شيء خلف شيء ، وتَرَادَف الشيء:تَبِع بعضه بعضاً ، والترادف التَّتَابع ."(١)

أما تعريفه في الاصطلاح ، فهو عبارة عن " الألفاظ المفـــردة ، الدَّالَّة على شيءٍ واحدٍ ، باعتبارٍ واحد . " (٢) . وقد قال عنه التهانوي بأَنَّه " توارد لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد ، أو بحسب أصل الوضع ، على معنىً واحد ، من جهةٍ واحدة . " (٣).

وممَّا سبق نلحظ أنَّ أصل وضع هذه الكلمة إنَّما هو التتابع لأيِّ شيء ، ولم يُخَصَّص معنى اللفظة من المعنى العامّ إلى معناها الخاص ، إلاَّ بعد أَنْ أُطْلِقَت على هذا النوع من المفردات اللُّغويَّة .

والعلاقة بين المعنيين ـ اللُّغويِّ والاصطلاحيِّ ـ جليّة ، فوجود عدة ألفاظ بمعنىً واحدٍ ، إنَّما هو تتابعها وتواردها على المعنى المُعَدِّ لها .

أما تعريفه عند اللُّغويِّين المحدثين فهو عبارة عن " ألفاظ مُتَّحِدَة

(*) عرض كثير من الدارسين لهذه الظاهرة ومنهم من أفردها بمؤلف مستقل تناول فيه الآراء اللغوية القديمة والحديثة مُفَصلاً في ذلك بما يكفي.ويُنْظَر على سبيل المثال : كتاب الترادف في اللغة ، حاكم مالك لعيبي ،(العراق ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،١٩٨٠م) واللهجات العربية ،ص ١٧٤ فما بعدها ،وفي فقه اللغة ،د/صبحي صالح ، ص ٢٩٢ فما بعدها ودور الكلمة في اللغة ،الحاشية ،ص ١٠٥ فما بعدها ،ونظرات في فقه اللغة ، ص ٢٣٩ ، والدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٩٢ فما بعدها .

(١) ينظر مادة (ردف) اللسان . وينظر معجم مقاييس اللغة (باب الراء والدال ومايثلثهما) ٥٠٣/٢ .

(٢) المزهر ٤٠٢/١ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٦٦/٣ .

المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها ، فى أي سياق . "(١)

ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على العربيّة وحدها دون سائر اللغات ، بل عرفتها غالبية لغات العالم . يقول الدّكتور أنيس : "... بل إنّ الواقع المشاهد أنّ كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة "(٢) فاللغة الانجليزية احتوت على عدد من الكلمات المترادفة ، نظراً لاقتراضها العديد من المفردات من لغات أُخرى كاللاتينية وغيرها ، لذلك أَخذ عليها وعلى اللُّغة الفرنسية الإسراف في كثرة المترادفات (٣).

واللغة العربية كغيرها من اللُّغات اشتملت على عدد من هذه المفردات المترادفة . وقد تنبَّه اللُّغَويُّون القدماء لهذه الظاهرة الدلاليّة ، وعَرَفُوها ، وتحدثوا عنها نظرياً وتطبيقياً ، مُعَلِّلين سبب وجود بعض الكلمات المترادِفَة .

فقد صنَّف الأصمعي مؤلّفاً مستقلاً بهذه الظاهرة (٤)، كما أفرد أبوعبيد جزءاً من كتابه (الغريب المصنف) لهذه الألفاظ أَسْمَاهُ : " كتاب الأسماء المختلفة للشىء الواحد " (٥) ، وعرض للعديد من الأسماء المترادفة ، كأسماء العسل ، والخمر ، والسّيف ، والدّهر ، وغيرها ، غير أَنَّه تحدث عنها بشكل مقتضب .

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ، ص ١٠٩ وقد فَصَّل فى هذا التعريف بما يكفى.

(٢) فى اللهجات العربية ، ص ١٧٨ .

(٣) اللغة ، فندريس ، ص ٢٩٢ بتصرف .

(٤) ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، عبد الملك بن قريب الأصمعي ، تحقيق : ماجد حسن الذهبى (دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

(٥) الغريب المصنف ، ورقة (٢٨٦ ب) و (- ٢٨٧ أ) .

ولا يخلو كتاب من كتب لغويي هذا القرن من الإشارة إلى هذه الألفاظ، حتّى إنّ جمعها أصبح عندهم مصدر اعتزاز وافتخار .

وممّا ورد فى هذا الشأن ، ماروى من أنّ الرشيد سأل الأصمعي " عن شعر لأبى حزام العُكْلِيّ ففسّره ، فقال : ياأصمعى ، إن الغريب عندك لغير غريب : فقال : ياأمير المؤمنين ، ألاَ أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً ؟ " (١). فإنّ دلّ هذا على شئ فإنّما يَدُلّ على تتبع العلماء القدماء للّغة ، ومعرفَتِهم التامة بظواهرها .

وقد تمثّلت أقوال اللّغويّين القدماء عن هذه الظاهرة في جانبين ، جانب نظري ، وجانب تطبيقي .

أما الجانب النظري ، فأوّل من عرض له سيبويه فى نَصّه السابق الّذى قال فيه : " .... واختلاف اللّفظين والمعنى واحد .... "(٢)، ثم تلاه تلميذه قطرب ، الّذي نَصَّ على أنّ كلام العرب على ثلاثة أوجهٍ ، ذكر في الوجه الثاني : " اختلاف اللّفظين والمعنى متّفِقٌ واحد وذلك مثل : ..... ذئب وسِيْد ، وَسَمْسَم وثعلب ، وأتى وجاء ، وجلس وقعد . اللّفظان مختلفان والمعنى واحد "(٣) وقد ناقش قطرب سبب وجود مثل هذه الألفاظ ، معلّلاً ذلك بقوله : " وكأنّهم إنّما أرادوا باختلاف اللّفظين – وإنْ كان واحد مجزياً – أنْ يوسعوا في كلامهم وألفاظهم ، كما زاحفوا فى أشعارهم ليتوسّعوا فى أبنيتها ولايلزموا أمراً واحداً . "(٤) .

---

(١) الصاحبي ، ص ٢١ .

(٢) الكتاب ، ٢٤/١ .

(٣) الأضداد ، قطرب ، ص ٦٩ .

(٤) السابق نفسه ، ص ٦٩ .

الترادف بين الإنكار والإثبات :

من المعلوم أنّ اللُّغويِّين في القرنين الأوّل والثاني لم يكونوا معارضين لفكرة التّرادف على إطلاقهم ، إذْ أقرّوها فيما وصل إلينا من مؤلّفاتهم .

ولم يبدأ الخلاف بين اللغويين القدماء فى إثبات هذه الظاهرة أو إنكارها في اللغة إلّا فى القرن الثالث الهجرى . فمعظم علماء هذا القرن يثبتون هذه الظاهرة ، ويُعَلِّلُون سبب وجودها فى تلك الألفاظ المعتبرة فيها .

وممّن ذهب إلى ذلك قطرب في نَصِّه السابق [(١)]. كما أَنَّ نَصّ الأصمعيّ المتقدم يَدُلّ على إثباته هذه الظاهرة .

ومِمَّن أَنْكر وجودها فى اللغة ابن الأعرابيّ ، وتابعه تلميذه ثعلبٌ . يتمثل هذا الإنكار في قول ابن الأعرابيّ : " كلُّ حرفين أوقعتهما العرب على معنىً واحد في كُلٍّ منهما معنىً ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله ." [(٢)]، كما قال أيضاً : الأسماء كلها لعلة ، خَصَّت العرب ماخَصَّت ، منها من العلل مانعلمه ، ومنها مانجهله . "[(٣)] .

فمن النصين السابقين يتضح إنكار ابن الأعرابيّ لهذه الظاهرة ، وعدم الاعتداد بما قيل إنّه من الترادف .

---

(١) ينظر النص السابق ، ص ٢٠٦ من هذا البحث .

(٢) الأضداد ، محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ،المكتبة العصرية ،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٧ ،وينظر : المزهر ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ .

(٣) المزهر ٤٠٤/١ .

وقد تابع ابن الأعرابيّ في مذهبه تلميذه ثعلب ، حيث يقول : " يُسَمَّى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو السيف والمهند والحسام . والّذي نقوله فى هذا أَنَّ الاسم واحدٌ وهو السيف ، ومابعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أَنَّ كُلَّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى . "(١).

وبعد انقضاء هذا القرن ، انقسم اللُّغويون إلى فريقين . فمنهم مَنْ يثبت هذه الظاهرة ، وآخرون ينكرونها ، مُبَينين الفروق الدقيقة بين مدلولات الكلمات المترادفة .(٢).

وقد استمر هذا الخلاف حتى عصرنا الحاضر ، حيث نجد أحد المحدثين يثبت هذه الظاهرة ، وَيُؤَكِّد وجودها فى اللغة فيقول :" إلى أن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف ، كانوا من الأدباء والنقاد ، الذين يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون في معانيها أشياءَ ، لايراها غيرهم ، فهم قومٌ شَدِيدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يَتَبَنّون الكلمات ، وَيَرْعَوْنها رعاية كبيرة ، يُنَقِّبُون عَمَّا وراء المدلولات ، سابحين فى عالم من الخيال ، يصور لهم من دقائق المعانى وظلالها ، مالايدركه الا هم ، ولايقف عليه الا أمثالهم . وفى كل هذا من المبالغة والمغالاة مايأباه اللغوى الحديث فى بحث الترادف "(٣)

كما أَنَّ أكثر اللغويين الغربيين ينكرون وجود هذه الظاهرة فى اللُّغَة . فبلومفيد يقول : " إِنّنا ندعي أَنَّ كُلَّ كلمة من كلمات الترادف تُؤدى معنىً ثابتاً مختلفاً عن الأخرى . ومادامت الكلمات مختلفة صوتياً فلابُدَّ أَنَّ تكون معانيها مختلفة كذلك . وعلى هذا فنحن – في اختصار – نرى أَنَّه

---

(١) المزهر ، ٤٠٤/١ .

(٢) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢١٩ بتصرف .

(٣) فى اللهجات العربية ، ص ١٨١ .

لايوجد ترادف حقيقيٌّ ." (١) وقد تابعه عددٌ من اللُّغَويِّين ، كفيرث ، وبالمر، وغيرهم .(٢) .

بيد أَنَّ بعضهم يرى ورود هذه الظّاهرة في اللُّغة ، ولكن في حيِّز ضَيِّقٍ ومحدود . فلا يُسَلِّم بكل ماقيل إنَّه من المترادف ، فأولمان أثبت وجودها بشرط تحكيم السياق فمعظم المترادفات عنده " ليست إلاَّ أَنْصَاف أو أشباه مترادفات ، وأَنَّه لايمكن استعمالها في السياق الواحد ، أو الأسلوب الواحد ، دون تمييز بينها ... "(٣).

وهو فى ذلك يذهب مذهب القائلين بالفروق المعنوية بين المترادفات وإنْ كانت دقيقة . لايقف عليها إلاَّ المتخصصين لشدة تقارب دلالاتها . " ولذا يستعملها الكثير دون تحفظ ، مع إغفال هذا الفرق . " (٤) .

فمتى رُوعِيت الفروق الدقيقة بين المفردات ، وأُدْرِجت فى سياق انتفى الترادف بينها .

وقد نَبَّه لغويو القرن الثالث إلى أَثَر السياق في تحديد مدلول الكلمات ، وإنْ لم يُصَرِّحُوا بهذا المصطلح ، إلاَّ أَنَّ ماورد عنهم يَدلُّ على معرفتهم التامّة . كما أَنَّهم لم يُوَضِّحُوا مدلولات الألفاظ إلاّ بوجودها فى سياق .

ومن أَمثلة ماورد عنهم فى هذا الخصوص قول السكري حكاية عن

---

(١) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢٢٤ .
(٢) للمزيد ينظر : تفصيل آراء الغربيين فى كتابي : علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢٢٤ فما بعدها ، والدلالة اللغوية عند العرب ، ص ٩٢ فما بعدها .
(٣) دور الكلمة فى اللغة ، ص ٩٨ .
(٤) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

الأصمعي . " يُقَال للعسل إذا كان فيه بعض الصلابة واليبس : " قد استَضْرَب العسل " ، ويُقَال إذا اشْتَدَّ بياضُه . "(١) فمن اللغويين من عَدَّ " الضَّرَب " اسماً من أسماء العسل ، وليس كذلك ، فالضرب صفة لحالة معينة يكون عليها العسل ، وبهذا تَخْرُج هذه اللفظة وأَمْثَالها من دائرة الترادف .

أَمَّا اللغويون العرب فلا يَشْتَرطون الاتّحاد والمشابهة من كلّ وجهٍ ، وانفراد كل لفظ بمعنىً زائد لايخرجه عن الترادف اللّفظيّ ، ففي اعتقادنا أَنَّ هؤلاء العلماء عندما قالوا بترادف هذه الألفاظ ، نظروا إليها من حيث كونُها دَالَّةً على ذاتٍ واحدةٍ ، سواء كانت الكلمة اسماً أَوْ صفة .

أَمَّا إذا نظرنا إلى معنى كُلِّ كلمة منها ، مُدْرَجة في سياقها ، فلاشكَّ في وجود هذه الفروق ، وإنْ كانت في بعض الحالات يسيرةً . فالسيف ، والصّارم ، والحسام ، والمهنَّد ، كلُّ هذه الألفاظ تَدُلُّ على ذات السيف ، وعند التدقيق في معنى كلٍ منها ، نجد أَنَّ السيف هو الاسم ، أَمَّا بقية الألفاظ فهي صفات ، ولكل صفةٍ منها معنى يختلف عن معنى الصفة الأخرى .

---

(١) شرح أشعار الهذليين ، ١٤٢/١ .

أسباب الترادف بين القدماء والمحدثين

تَنَبَّه لغويو القرن الثالث إلى أسباب وجود المترادفات فى العربية ، وتوسّع فيها اللغويون بعد هذا القرن حتى العصر الحديث .

(١) تعدد اللغات :

ويَقْصِد به القدماء أَنْ تستعمل قبيلة من القبائل العربية كلمة من كلمات اللّغة فى معنى معين ، وتستعمل قبيلة أُخرى كلمة مختلفة عنها فى البنية دون المعنى ، حيث إِنَّ معنى اللفظتين متفق تماماً . وعِنْد اندماج اللغتين بعضهما ببعض يتولد الترادف .

نلمس هذا فيما ورد عن الأصمعى حيث يقول : " ... ويقال للذى يرضع من كل صبيٍّ أو بَهيمة بلغة أَهْلِ الحجاز : رَضَع يَرْضَعُ ، ويقول من دونهم رضع يرضع ، ومَلَج يَمْلُج ، ورَغَثَ يرغث .... وهذا كلُّه فى معنى رضَع . "(١).

كما نرى ذلك جليّاً فيما ذكره الجاحظ من أَنَّ " أهل الأمصار إِنَّما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشّام ومصر . " (٢).

وقد أدرج تحت قوله هذا العديد من الكلمات المترادفة التى كان الترادف فيها بسبب اختلاف وتعدُّد اللغات . من ذلك : تسمية أهل مكَّة (القِدْر) بُرْمَة ، في حين أَنَّ أهل البصرة يُسَمُّونه قِدْراً . كما يُسَمُّون البيت إذا كان فوق البيت (عِلِّيَّة) ، بينما يُطْلَق عليها عند أهل البصرة

---

(١) ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، ص ٣٩ .

(٢) البيان والتبيين ، ١٨/١ .

(غُرْفَة) ..... الخ [1] .

من النَّصَّين السابقين يتضح لنا أهمِّية هذا العامل فى وجود هذه الظاهرة .

(٢) التوسع فى الكلام :

لاشك أَنَّ توسع العرب فى حديثها أَدَّى إلى وجود هذه الظاهرة اللغوية وقد صَرَّح بهذا قطرب حيث يقول : " إِنَّما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد لِيَدُلوا على اتساعهم فى كلامهم ، كما زاحفوا فى أجزاء الشعر ، ليدلوا على أَنَّ الكلام واسع عندهم ، وأَنَّ مذاهبه لاتضيق عليهم عِنْدَ الخطاب والإطالة والإِطناب . " [2] .

(٣) التطوّر الدّلاليّ :

كما أَنَّ التطور الدلالي عاملٌ من عوامل كثرة المرادفات ، حيث يعرض لبعض أَلفاظ اللغة تطوُّر فى البنية أَوْ فى أصوات الكلمة . يحدث هذا عندما يَكْثُر استعمال اللَّفظة فقد " يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أَحَق بذلك منها ـ أَلاَ ترى أَنَّ اللّهٰ تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع إلا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لايذكرون السغب ، ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر، لأنك لاتجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث .... والعامة ربما أستخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ماهو أقل فى أصل اللغة استعمالا ، وتدع ماهو أظهر وأكثر، .... " [3] .

---

(١) السابق نفسه ، ١٨/١ ، ١٩

(٢) الأضداد ، ص ٦٩ .

(٣) البيان والتبيين ، ٢٠/١ .

فواضح هنا من النصِّ المتقدّم أنّ كثرة الاستعمال للفظة قَدْ يُسَبِّبُ لها التطور .

كما أنّ هناك كثيراً من الكلمات التي أدّى الاستعمال إلى التقديم والتأخير فى بنيتها ، أوْ إلى تغير فى صورتها ، وقد وضّح هذا ابن قتيبة حيث قال : " .... فما رأيتُ أحداً منهم يَعْرِف فَرْقَ مابين الوَكْع والكُوع ، ولا الحَنَف من الفَدَع ، ولا اللَّمَى من اللَّطَع . فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نُقْصان ، وخشيتُ أنْ يَذْهَب رسْمُه ويَعْفُوَ أثَرُهُ ، جعلت له حظاً من عنايتي ، وجزءاً من تأليفي ، فَعَمِلْتُ لمغفل التأديب كُتُباً خِفَافاً فى المعرفة ، وفى تقويم اللِّسان واليَد ...... "(١) .

٤) أنْ يكون للشىء الواحد فى أَصْل الوضع اسم واحد ، ومع الاتساع فى الكلام قد يوصف بعدة صفات ، ومع مُرور الزمن قد تغلب هذه الصفات ، فتكون بمنزلة الأسماء لهذا الشّيء .

والأمثلة على هذا كثيرة ، فمنها السيف ـ مثلًا ـ الذى أُطْلِق عليه فيما بعد الصَّارِم ، والقَاطِع ، والبَتَّار ، وغيرها .

وقد تَنَبَّه ثعلبُ إلى هذا السبب حيث يقول : " يُسَمَّى الشىء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو السيف والمهند والحُسَام . والذي نَقُوله فى هذا أنّ الاسم واحد وهو السيف ، ومابعده من الألقاب صفات .... "(٢) فَنَصّ ثعلب هنا يُبَيِّن أنّ الاسم فى أصْل وضعه هو " السيف " وأمَّا الحُسَام والمُهَنَّد وغيرها فهذه كُلُّها صِفاتٌ وُصِفَ بها السيف . وقد توسّع أبوعُبَيْد القاسم بن

---

(١) أدب الكاتب ، ص ١٢ .

(٢) المزهر ، ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ .

سلام فى ايضاح هذه الصفات ومَدْلُول كُل منها .(١)

كل هذه العوامل السابقة قال بها علماء القرن الثالث وأَثْبَتها المحدثون وأَضافُوا إليها العديد من العوامل ، إلَّا أَنَّ ماأورده لغويو هذا القرن يُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ أسباب الترادف .

أما المحدَثون فقد قَيَّدُوا إقْرَار الألفاظ المترادفة بِشُروط يُمْكِن إيجازها فيما يلي :

(١) أَنْ تتفق الكلمتان فى المعنى اتفاقاً تاماً فى ذهن الكثرة الغالبة من أفراد البيئة الواحدة .

(٢) الاتحاد فى البيئة اللغوية . بمعنى أَنْ تكون الكلمتان فى لهجة واحدة ، أَمّا إذا كانت فى لهجات مختلفة فلا يُعَدّ هذا من الترادف .

(٣) الاتحاد فى العصر . فلابد أَنّ تكون الكلمات مرتبطة بزمان ومكان معينين .

(٤) أن لايكون أحد اللفظين المترادفين نتيجةً من نتائج التطوُّر الصوتيّ " فإذا بَحَثْنَا عن الترادف يجب أَلَّا نَلْتَمسه فى شعر شاعر من الجاهليّين ، ثمّ نقيس كلماته بكلمات وردت فى نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلاً " (٢) .

---

(١) الغريب المصنف ، ورقة (١٤٥ ب) فى كتاب السلاح باب السيوف ونعوتها . وقد نُشرَ محققاً فى مجلة المورد ، العدد الرابع ، مجلد ١٢ ، ١٩٨٣ م ، بتحقيق : د/حاتم صالح الضامن ، ص ٢٢٧ .

(٢) فصول فى فقه العربية ، د/رمضان عبد التواب ، ص ٣٢٢ ، ويُنْظَر الترادف فى اللغة ، ص ٦٦ ، ونظرات فى فقه العربية ، د/مصطفى عبد الحفيظ سالم (القاهرة ، طبعة خاصة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ص ٢٣٩ .

أمثلة تطبيقية من كتب لغويي القرن الثالث :

قبل أَنْ أَبْدَأ بذكر الأمثلة التطبيقية التى أوردها علماء هذا القرن ، أَوَدُّ أَنْ أُشير إلى كثرة ماورد عنهم من الألفاظ المترادفة ، وأَنَّه من غير المتيسر ذكر كل ماورد عنهم فى هذا الموضع ، لأَنَّ الغاية التي نصبو إليها هى إيراد آراء علماء هذا القرن فى هذه الظاهرة ، مؤيدين ذلك بأمثلة من واقع مؤلفاتهم ، ذلك لأنّ الترادف ظاهرة من بين الظواهر الدلالية ، كما أَنَّ حصر مثل هذه المفردات يحتاج لمؤلفات مستقلة ومن بين ماورد فى مؤلفاتهم من أمثلة قول أبي عبيدة ـ عند قوله تعالى : ﴿ وتَصْدِيَةً ﴾ (١) ـ أَي تصفيق بالأكف ، قال : تصدية بالكف أَي تصفيق ، التصفيق والتصفيح والتصدية شيءٌ واحد " (٢) فهذه الألفاظ الثلاثة من باب تعدد اللّفظ للمعنى الواحد .

ويقول ثعلبٌ : " ويقال : ما أَدْرِي أين سَكَع ، وأين صَقَع ، وأين بَقَع ، بمعنىً واحد . " (٣)

وقد سبق أَنْ بَيَّنْتُ رأي ثعلب المتمثِّلَ في إنكاره هذه الظاهرة (٤) ، إِلاَّ أَنَّ ماورد في ثنايا مؤلّفاتِهِ من أمثلة تَدُلُّ على إثباته لها ، حيث إِنَّه لم يُشِرْ إلى إنكاره . ففي المثال السابق نراه يُثْبِت الترادف بين الكلمات الثّلاث (صقع ، وسكع ، وبقع) . وإذا أردنا التدقيق فى معنى كلِّ كلمة منها ، وجدنا فروقاً بَيِّنَة بين معانيها . فالكلمات الثلاث لانستطيع استيعاب دلالاتها ، بَعيداً عَمَّا تَحْمِلُه من إيحاءات عميقة دقيقة ، تَهَبُها

---

(١) الآية رقم (٣٥) من سورة الانفال .
(٢) مجاز القرآن ، ٢٤٦/١ .
(٣) مجالس ثعلب ، ٢٤٤/١ .
(٤) انظر : ص ٢٠٧ من هذا البحث .

معنىً جديداً . فالصَقْعُ : يَدُلُّ على الضرب على الشيء اليابس بشيءٍ يابس مثله ، كَضَرْب الحجر بالحجر مثلاً ، كما أنَّه يَدُلُّ على البُعْدِ والمشقة في الوصول إلى هذا البعيد ، وهذا مالا نجده في دلالة سَكَعَ التي تعني ضرباً من السير بتَعَسُّف ، وهي دلالة حية في واقعنا المعاصر . أما بَقَعَ فتعني الذهاب إلى أي بقعة غير محددة قريبة أم بعيده .

وبهذا نُدْرك الفرق بين الدلالات الثلاث ـ وإنْ كان الجامع لها معنى واحداً ـ ، وخاصة إذا انْتَظَمت في سياق يَزيدُها خُصُوصية ، ويَمْنَحُها تَفَرُّداً يَنْأى بها عن مجرد الترادف لغير فائدة . فلا مجال لقَبُول كل ماورد عن اللّغويّين من كلمات عدوها من هذا الباب ، وهي بحاجة إلى إعادة نظر يَكْشِف ماتَنْطَوِي عليه من خَبِيء المعاني .

فَلَو أن ثعلباً من مُنْكِّري هذه الظاهرة لوقف عند هذا المثال وماشابهه ، مُعللاً عدم كونه من المترادف ، إلاّ أنَّه في هذا المثال وغيره يثبت الظاهرة بقوله (بمعنى واحد) ، فربما كان رأيه في الإنكار بعد تأليفه هذا الكتاب .

كذلك يقول : " الخَلِيقة والطَّبِيْعَة والسَلِيقَة والنَّحِيرة والنَّحاس والسُّوس ، والتُّوس ، كلَّه بمعنى واحد .... " (١)

ومن الأمثلة الواردة في هذا الشّأن ماأورده السُّكّريّ عند شرحه لقول أبي ذؤيب :

يتَنَاهَبَانِ المَجْد كلٌّ واثِقٌ
بَبَلائِهِ واليَوْمُ يَوْمٌ أشْنَعُ

---

(١) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، ص ٣٧ .

حيث يقول : " " يومٌ أَشْنَع " أي كريه ، و " عَبُوسٌ " ، وقَمْطَرِيرٌ ، وعَصِيب ، وعَصَبْصَب ، ونَحْس " بمعنى واحد . "(١)

ربط السكري في هذا النص بين الألفاظ المترادفة ، حيث إنَّ الرابط بين معانيها هو الشِّدَّةُ في كُلٍّ . فاليوم الأشنع هو الكريه أو الشديد في الكراهية ، ومنه شناعة الأمر ، كما أَنَّ العبوس الشديد (٢) . وكذلك بقية معاني هذه الكلمات . ولايعني هذا أَنَّ الألفاظ هذه مترادفة ، فهناك فروقٌ دقيقة آختص بها كل لفظ عن الآخر في المعنى .

كما أورد الفراء – عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ ﴾(٣) – قوله : " يُرِيد الرجل وماله ، والحُطَمة اسم مِنْ أسماء النار ، كقولهم : جهنم وسقر ، ولظى . " (٤).

فالكلمات السّابقة وإنْ كانت دالّة على شيء واحد ، إلاّ أَنَّ هناك فروقاً دقيقة بين هذه الأسماء . فلو كشفنا عن معنى (الحُطمة) في معجمٍ من المعاجم ، لَوَجَدْنَا أَنَّ معناها هو تحطيم من يُلْقَى فيها ، كما أَنَّها اسمٌ لبابٍ من أبواب جهنَّم . أمّا كلمة (جهنّم) فهي تعني البئر البعيدة بئر جهنم . فإذا مابحثنا عن معنى كلمة (سَقَر) ، وجدناها تَدُلُّ على البُعْد عامّةً بدون قيد . كذلك كلمة (لَظى) ، فهي تدلُّ على اللَّهَب الخالص الشديد المتوقد (٥).

---

(١) شرح أشعار الهذليين ، ٣٨/١ .
(٢) ينظر : اللسان ، مادة (شنع) و (عبس) ، و (عصب) .
(٣) الآية رقم (٤) من سورة الهمزة .
(٤) معاني القرآن ، ٢٩٠/٣ .
(٥) ينظر معاني هذه المواد في اللسان ، مادة (حطم) ، و(جهنم) ، و (سقر) .

فهذه الألفاظ وماشاكلها ، إذا أنْعَمنا النظر فى مدلولاتها ، وتحريّنا الدقة ، فإنّ غالبية ما أُدْرِج تحت هذه الظاهرة لايُعَد منها ، وإنْ كانت هذه الأسماء أو الصفات تَدُلّ على ذات واحدة ، إلاّ أنّ هذا لايَمْنَع من وجود فروق بين مدلولاتها .

كما أنّ السياق له أثره فى تحديد مدلول الكلمات التحديد الدقيق. وقد حَكّمَهُ لغويو القرن الثالث فى هذه الظاهرة ، مُبَيّنين الفروق الدقيقة بين الكلمات ، وذلك بإدراجها فى سياق .

ومِمّا يُؤَيِّد هذا قول المبرد ـ عند بيانه لحديث العُتْبِي عن الحجّاج الذي ورد فيه قوله : " فأُلْقِي فى رُوعِهِ .... " ـ حيث قال : " أمّا قوله : ألقي في روعه " فإنّ العرب تقول : أُلقى فى رُوعى ، وفى قَلْبِي ، وفى جَخِيفِي ، وفى تَامُورِي كَذَا وكَذَا ، ومعناه واحد ، إلاّ أنّ لهذه الأشياء مواضع مختَصّةً ، وفى الحديث عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم : " إنّ روح القُدُسِ نفث فى روعى " فالرُّوع والجخيف غير مختلفين ، وتقول العرب : أذهب الله قَلْبَه ، ولا قلب له ، ولاتقول لارُوْع له ، فكأنّ الرُّوع هو متّصل بالقلب ، وعنه يكون الفَهْم خاصة ، ويقال : رأيت قلب الطائر ، ولايقال : رأيت رُوع الطائر . والتّامور عند العرب بقيّة النفس عند الموت ، وبعضهم يُفْصِحُ عنه فيجعله دم القلب الذي يبقى للإنسان مابقى .... "(١)

فَدِقّة المبرد ظاهرة فى التفرقة بين معاني هذه الكلمات المترادفة ، فلِكُلّ مِنْها استعمالُ مُعَيّن ، حيث تختلف مدلولاتها باختلاف السّياق الذي

---

(١) الكامل ، ٤٥١/١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، وينظر مجالس ثعلب ، ٦٧/١ .

تُدْرج فيه الكلمة ، فالسياق هو الفيصل في إبراز دلالة كلّ كلمة من كلمات اللغة .

كما أنّ هذا النّصّ يُشير إلى أنّ المبرد لايُقرّ بالترادف في المعاني . يُؤَيّد هذا تحليله السّابق ، حيث ذكر بأنّ الرّوع والجفيف والتّامور وغيرها بمعنىً واحدٍ ، أي أنّها دالّةً على ذاتٍ واحدةٍ ، ثمّ ذكر بأنّ لكل منها موضعاً يختصّ به .

وممّا تقدّم يَتّضح لنا اثبات بعض علماء القرن الثالث هذه الظاهرة في اللغة ، وإنكار بعضهم الآخر لها .

وأرى أنّ الترادف موجودٌ في اللغة ، ولكن ليس بهذه الكثرة التي أقرّها اللغويون القدماء ، لأنّ التّرادف التّام هو أنْ تتفق كلمتان أو أكثر على معنى معيّنٍ اتّفاقاً تامّاً ـ كما يقول بعض المحدثين (١) ـ وهذا القيد يُخْرِج العديد من الكلمات التي أُدْرِجت ضمن دائرة الترادف ، كذلك فإنّ مِمّا يُثْبِت الاتّفاق التام في المعنى السياق الذي له أكبر الأثر في تحديد مدلول الكلمة ، وهذا ما نادى به بعض لغويي القرن الثالث ، وأثبتته الدّراسات اللّغويّة الحديثة .

ثانياً : المشترك اللّفْظِيّ :

قبل أنْ أبْدأ الحديث عن هذه الظاهرة ، أرى أنّه من الواجب البحث في دلالة المصطلح ، والتعريف به ، ثم تتبع ذلك بمعرفة ما أورده اللغويون من آراءٍ حول هذه الظاهرة .

---

(١) ينظر : دور الكلمة في اللغة ، ص ٩٧ .

تعريفـــــه :

هو اللفظ الواحد الدّالّ على معنيين مختلفين ، أوْ معانٍ مختلفة ، دلالةً متساويةً عند أهل تلك اللُّغة (١) .

أدرك اللغويون هذه الظَّاهرة منذ وقت مبكّرٍ ، ويبدو أنَّ أول من عرض لها هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ذلك عندما صنع أبياتاً من الشعر تستوي فيها ألفاظ القافية ، مع اختلاف معانيها . والأبيات هي :

يا ويْحَ قلبي مِنْ دَواعي الهَـوَى
إِذَا رَحَلَ الجِيْران عِنْد الغُرُوب
أَتْبَعْتُهم طرفي وَقَدْ أَمْعَنُـوا
ودَمْع عينيَّ كفيض الغُـروب
بانوا وفيهم طفلة حُـرَّةٌ
تَفْتَرّ عن مثل أَقَاحي الغُروب

فالغروب فى البيت الأول هو غروب الشمس ، وفى الثانى جمع غَرْب : وهو الدَّلْو العظيمة المملوءة ، وفى البيت الثالث جمع غَرْب : وهو الوهاد المُنْخَفِضَةُ .(٢)

ثمّ جاء بعد الخليل تلميذه سيبويه ، الذي نجد عنده أوّل نصٍ نظري قِيل فى هذه الظاهرة ، حيث يقول : " اعلم أنَّ مِنْ كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد ، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين . "(٣) .

ومَثَّلَ على اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين بـ وجدت عليه من المَوْجِدة ،

---

(١) المزهر ، السيوطى ، ٣٦٩/١ ، وينظر : نظرات فى فقه اللغة ، ص ١٦٦ .
(٢) السابق نفسه ، ٣٧٦/١ .
(٣) الكتاب ، ٢٤/١ .

ووجدت إذا أردت وِجْدان الضالّة".

وتلا سيبويه تلميذه قطرب [١] ، ثم المبرد [٢] ، اللّذان أوردا النّصّ السابق ، مع توضيحهم هذه الظاهرة بسَرْد عدد من الأمثلة . كما أنّ أبا العَمَيْثل [٣] ، واليزيديّ [٤] ، وأبا عُبَيدٍ [٥] ، لهم مُصَنّفاتٌ في هذه الظاهرة . وقد وصلتنا جميعُها ماعدا الأجزاءَ المتبقّيّةَ من كتاب اليزيديّ . وقد أشار المحقّق إلى عدم عثوره على هذه الأجزاء[٦] .

المشترك عند القدماء والمحدثين :

لم أجد من اللغويين القدماء حتّى نهاية القرن الثالث الهجري من ينكر هذه الظاهرة ، بل أجمعوا على ورودها في اللغة ، وصنّفوا ـ كما سبق ـ العديد من المؤلفات التي لم أجد فيها مايُشير إلى إنكارهم لها . ولم يبدأ الخلاف في إثبات هذه الظاهرة أوْ إنكارها إلاّ بعد نهاية القرن الثالث .

---

(١) الاضداد ، ص ٦٩ .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، ص ١ .

(٣) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبي العميثل الأعرابي ، نشره كرنكو (F. KRENKOW) (بيروت ، لبنان ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٥ م) .

(٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لإبراهيم بن أبي محمد يحى اليزيدي ، تحقيق : د / عبدالرحمن العثيمين (بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) .

(٥) كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد القاسم بن سلّام ، تصحيح : امتياز على عرشي (بيروت ، لبنان ، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ) .

(٦) ينظر : مقدمة المحقق (ز) .

أَمَّا اللغويون المحدثون ، فقد أَجْمَعوا على ورود هذه الظاهرة في اللغة [1]، وأرجعوا وجودها إلى عدة عوامل،من بينها [2]:

(١) اختلاف اللهجات العربية القديمة ، فأكثر ألفاظ المشترك اللفظي ماهو إلاَّ نتيجة لاختلاف استعمال القبائل لها . كقول أبي زيد : " الأَلْفَتُ في كلام قيس : الأَحْمق والألفت في كلام تميم الأعسر ..." [3]

(٢) المجاز . وهو أَنْ ينتقل معنى اللفظة من معناها الحقيقيّ إلى معانٍ مجازية آخرى لأيِّ علاقةٍ ، ثمّ يَشِيع هذا المعنى المجازيُّ ويكثر، حتّى يُصْبِح في قوّة المعاني الحقيقيّة .

وقد نَبّه إلى هذا العامل جُلُّ علماء القرن الثالث ، ومن أمثلتهم قول بعضهم "الثَرْثَارُون": يعني الذين يُكْثِرون الكلام تكلُّفاً وتجاوزاً ، وخروجاً عن الحقّ . وأَصْلُ هذه اللَّفظة من العين الواسعة من عيون الماء ، يُقَال : عين ثَرْثَارَةٌ . وكان يقال لنهرٍ بعينه الثَّرْثَار ، وإنَّمَا سُمِّي به لكثرة مائه ... " [4] فأَصْل مدلول الكلمة يكاد يكون مُخْتَفِياً ، وانتقلت الدلالة في البدء انتقالاً مجازيّاً ، حتى حَلَّت الآن محلَّ الدلالة الحقيقيّة . وقد عَرَضْتُ لهذا في فصل التَطوُّر .

---

(١) ينظر على سبيل المثال : في اللهجات العربية ،ص ١٩٢ ومابعدها ، وفصول في فقه العربية ،د/رمضان ، ص ٣٢٤ ومابعدها ، دراسات في فقه اللغة ، د / صبحي الصالح ، ص ٣٠١ ومابعدها ، وغيرها من المصنفات الحديثة .

(٢) ينظر : في اللهجات العربية ، د/إبراهيم أنيس ، ص ١٩٥ ، وفقه اللغة ، د/وافي ، ص ١٩١ ، وفصول في فقه العربية ، ص ٣٢٦،والمعنى اللغوي ، د/جبل ، ص ١٢٠ ، والغرابة في الحديث النبوي ، د/البركاوي ص ١٠٧ .

(٣) المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، ٣٨١/١ .

(٤) الكامل ، للمبرد ٧/١ ، ٨ .

(٣) التطور الصوتي الذي يَطْرأ على بعض أصوات الألفاظ فتصير اللفظ الى صورة أخرى تتّحد مع لفظ آخر مع اختلاف الدلالة بينهما .

ومثاله قَوْل أبي العَمَيْثَل : " الفروة : جلدة الرأس والغنى (١) " وأصل الكلمة بالمَعْنى الثاني هو الثروة أُبْدِلت الثاء فاء ، على طريقة العربية فى مثل : " جَدَث " و " جَدَف " ..... " (٢) .

وآراءُ اللّغويّين المحدثين التي أدْلَوا بها ماهي إلاّ صدىً لآراء علماءِ العربيّة القدماء ، إلاّ أنّ المحدثين توسَّعوا فى مناقشتهم لهذه الظاهرة ، نظراً لاكتمال جوانبها ، والإمكانات المُهَيَّأة حَدِيثاً ... كُلّ هذه الوسائل ساعدت على تَقَدّم الدرس اللغوي الحديث . وقد كَشَفَ العديد منهم أبْعاد هذه الظّاهرة ، بأنّ خَصَّها بمؤلف منفردٍ ، وخُصَّت بأبحاث عديدة ، لَمَّت شعثها ، وحَصَرتْها فى حيزٍ واحد من البحث . (٣)

وبعد أنْ أوردنا نبذةً مُخْتصرة عن آراء اللغويين القدامى والمحدثين حول إثبات هذه الظاهرة ، وعوامل نشأتها ، فسبيلنا الآن إيراد بعض ماورد فى مؤلّفات لغويي القرن الثالث ـ السابق ذكرها ـ من أمثلة تطبيقيّةٍ .

---

(١) المأثور فيما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص ٧ ، ٨ .
(٢) فصول فى فقه العربية ، د/رمضان عبدالتواب ، ص ٣٣٢ .
(٣) ينظر على سبيل المثال : المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً ،د/توفيق شاهين (القاهرة ،مطبعة الدعوة الإسلامية ،الطبعة الأولى ،١٤٠٠هـ) والمشترك اللفظيّ فى اللغة العربية ،عبدالكريم شديد ،رسالة ماجستير ،مقدمة لكلية الآداب (بغداد ، ١٩٧٦م) ،و (المشترك اللفظيّ بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربي ،رسالة ماجستير مُقَدَمة من : محمد الشبيتي (المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ،جامعة أم القرى ، ١٤٠٨ هـ) .

أمثلة تطبيقية من مؤلفات لغويي القرن الثالث :

لاسبيل إلى إيراد كُلّ ماورد عن لغويي هذا القرن فى هذه الظاهرة ، فقد خُصّت بمؤلّفاتٍ عديدةٍ كما أسلفت . وسأكتفي في هذا الموضع بإيراد بعض ماجاء في مؤلّفاتهم .

من ذلك ماأورده اليزيديّ عند عرضه للفظة " الحَصُور " حيث قال :

" الحَصُور : الذى لايأتي النِّساء ولا يُوْلَد له . والحَصُور : الذي يكون مع النَّدامى فلا يُخْرِج معهم شيئاً ، قال الأخطل :

وشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادَمَني
لا بالحَصُور ولافِيْها بِسَوَّار

والحَصور : الَّذى لايُخرج سِرّاً أَبَداً ، قال جرير :

ولقد تَسَقَّطنى الوُشَاةُ فَصَادَفُوا
حَصِراً بِسِّرك ياأُمَيْمَ ضَنِيْنَا

وهو حَصِرٌ وحَصُوْرٌ " (١) .

فمن النص السابق يتضح لنا تعدّد معنى كلمة (الحَصُور ، ويجمعها معنى واحد وهو عدم إخراج الشَّيء فى كُلٍ .

ومن ذلك أَيضاً قول أبي العميثل : " الأرض على أربعة أَوْجُهٍ : الأَرْضُ التي عليها الناس ، والأَرْضُ سَفِلَةُ كُلّ دَابّة يقال ماأَشَدَّ أَرْض هذا البعير أَو الدَّابة إِذا اشْتَدَّت قوائمه . قال الشّاعر :

---

(١) ماتفق لفظه واختلف معناه ، لليزيدى ، ص ١٢٢ ، وانظر مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ٩٢/١ .

ولم يقلّب أَرْضَها بَيْطَارُ

والأَرْضُ الرِّعْدَة ويُقَال : عَرَضَتْ لفلانٍ أَرْضٌ شديدة أي رِعْدةٌ أي أَفْكَلٌ . والأَرْضُ : الزُّكمةُ يُقال : فُلانٌ مَأْرُوضٌ : به أَرْضٌ شَدِيدةٌ . ومن الرِّعْدة قول ابن عباس : أَزُلْزِلَتِ الأَرْض أَمْ بِي أَرْضٌ . وقال الأَرْضُ هو باطنُ حافِرِ الدَّابَّةِ . "(١).

ومن الأمثلة أيضاً ما أورده ابن السكيت حيث قال : " والضَّرْب : الصِّنْف من الأشياء . والضَّرْب أيضاً : الرجل الخفيف اللَّحْم . والضَّرْب أيضاً : مصدر ضربت الرجل ، وضربت فى الأرض أَبتغي الخير . والضَّرْب أيضاً من المطر الخفيف . " (٢).

كما قال أبوعبيد : " الصَّدَى " العطش . والصَّدى : العظام البالية . والصَّدى : الصَّوْت يُجِيب الصَّوْتَ . والصَّدى : ذَكَرُ الهَامِ ، وهو طير يصاد عليه وهو البُوم . والصَّدى : صدى الحديد . " (٣)

وأضاف اليزيديُّ معنىً آخر للفظة الصدى : وهو " الجسد الميت " (٤) والأمثلة على هذه الظّاهرة كثيرة أُكتفى بما أوردته منعاً للإِطالة .

ولاشك في وجود هذه الظاهرة فى لغتنا العربية وفى كلِّ اللُّغات، فلا يَعِيب العربية وجودُها بل تُعدّ سِمَةً من سِمَاتِها ، ولاتثريب إذا وجدنا

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبي العميثل ، ص ١٠ ، وانظر : المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة ، لابن قتيبة (القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩ هـ) ص ، وإصلاح المنطق ، ص ٧٣ .

(٢) إصلاح المنطق ، ص ٣٨ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبى العميثل، ص ٤ ، وأدب الكاتب ، ص ٣٤١ .

(٣) كتاب الأجناس ، لأبي عبيد ، ص ٤ ، وانظر الكامل ، للمبرد ، ٤٨٠/١ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٤) ما اتّفق لفظه واختلف معناه ، ص ٢٥٠ .

للفظ معانِيَ متعدِّدةً ، فالسِّياق هو الذي يُحَدِّد معنى اللَّفظةِ ، ويُبْرِز معناها الخاصَّ بها ».

وقد تَنَبَّه بعض لغويي القرن الثالث إلى السياق وأثره في تحديد المعنى ، وإنْ لم يَنُصّوا على هذا نَظَرِيّاً ، وإنَّما بَيَّنُوه عند تناولهم بعض الألفاظ .

ومن بين الكلمات التى عَرضوا لها ، وَبَيَّنوا آثر السياق فى تحديد معناها ، قَوْل أَبِي العبّاس : " والدِّين : الطاعة ههنا . والدِّين : الحال والدّأب ..... والدِّين : الجزاء " (١) . ذكر ثعلب هذا التحليل عند تعرضه لقول زهير :

أَحَسِبتَنِي فى الدِين تابعةً
أَوَلَوْ حَلَلْتُ على بَنِي سَهْم

فتحديده لمعنى اللفظة فى هذا السياق بالطاعة ، دليلٌ على معرفته التّامة بأثر السياق وأهميته .

ومن الأمثلة أيضاً ما أورده ابن السكيت – عند بيانه قول النابغة –:

أَرسْماً جديداً من سُعاد تَجَنَّبُ
عَفَتْ رَوْضةُ الأجداد منها فَيَثْقَبُ

حيث قال : الأجداد خلائق تكون فيها المياهُ ، أَوْ آبارٌ مِمّا حفرت عاد . ... والأجداد فى غير هذا الموضع : جمع جُدٍّ وهي البئر الجيِّدة الموضع من الكلأ والرَّعْيِ . "(٢) .

وقال الأخفش – عند قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَاتَحْمِل عَلَيْنَا

---

(١) شرح شعر زهير ، ثعلب ، ص ١٨١ ، وانظر : مجالس ثعلب ٢٧٦/١ .
(٢) شرح ديوان النابغة ، ص ٧٣ .

إصْـرًا ﴾ (١) ـ " والإصر : العهد كذلك ، قال في آل عمران ﴿ وأخَذْتُم على ذٰلكم إصْري ﴾ والإِصْرُ هاهُنَا : الإثم إثم العَقْد إِذا ضَيّعوا ، كما شُدِّد على بَني إسرائيل . "(٢).

مِمّا سَبَق يَتَّضح لنا أَنَّ السياق له قيمته الكُبْرى في تحديد معنى اللَّفظة وهذا ماأورده القدماء وقَرَّره الفِكْر اللّغويّ الحديث .(٣)

كما أَنَّ القدماء أَشاروا إلى أَنَّ بعض الفاظ المشترك سببه تعدُّد اللَّهجات . والأمثلة على هذا كثيرةٌ أذكر منها قول أبي زيد : " الأَلْفَت في كلام قيس : الأَحْمَق . والأَلْفَت في كلام تَميم : الأَعْسَر . "(٤).

فاللفظ واحد وهو (الأَلْفَت) والمعاني متعددة وسبب تعدُّدِها هو تعدُّدُ اللهجات .

وقال اليزيدي : " المَنُّ : الذى ذكره الله جلّ وعزّ مع السلوى . والمَنُّ فى لغة تميم : المَنَا الذي يُوْزَن به ..... "(٥) .

والأمثلة كثيرة أَكتفى بما أوردته آنفاً .

---

(١) الآية رقم (٢٨٦) من سورة البقرة .
(٢) معاني القرآن ، الأخفش ، ١٨٩/١ . الآية رقم (٨١) من سورة آل عمران
(٣) انظر مقال : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ، د/أحمد نصيف الجناني ، نُشِر فى مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد (٣٥) ٣٦١/٣ ومابعدها ، عام ١٤٠٤ هـ .
(٤) المزهر ، السيوطى ، ٣٨١/١ .
(٥) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ص ١٥ .

التضـــــاد :

ظاهرة الأضداد من بين الظواهر اللغوية التى عُرِفَت فى العربيـــة ، وتَنَبَّه لها قدماء اللغويين منذ زمن مبكر .

تعريفـــــه :

لم أجد فى كتب قدماء اللغويين حتى القرن الثالث الهجريِ مَنْ عـرض لتعريف الأضداد تعريفاً دقيقاً شاملاً . صحيح أَنَّ بعض اللغويين فى القـــرن الثالث أَشاروا إلى تعريفات ، ولكنها ليست شاملة .

ومن بين التعريفات قول أبى حاتم : " وضد الشىء خلافه وغيره "(١)، وقول قطرب : " ..... ومن هذا اللّفظ الواحد الذى يجيء على معنييـــن فصاعداً مايكون متضاداً فى الشّيء وضِدّه " (٢) أي أنَّ التَّضَادّ هو اللَّفــظُ الدّالُّ على معنيين متضادّيْن .

ولم أجد ـ على حد علمي ـ أَيّ تعريف آخر ورد عن علماء القـــرن الثالث ، غير التعريفين المذكورين آنفاً .

ومن أَدقِّ التعريفات التى أَدْلَى بها أصحاب الأضداد القدماء بعـــد القرن الثالث ، مانجده عند أَبِي الطيب اللغوي الذى يقول : " والأضداد جمع ضِدّ ، وضِدُّ كلِّ شيءٍ مانافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كلُّ ماخالف الشّيءَ ضداً له ، ألا ترى أَنَّ القـــوة

---

(١) الأضداد ، لأبي حاتم السجستانيّ ، نشره :د/أوغست هفنر ، ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد (دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان) ص ٧٢ .

(٢) الأضداد ، قطرب ، ص ٧٠ .

والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنَّما ضِدُّ القوّة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أَعَمّ من التضاد إذْ كان كلّ متضادّيْنِ مختلِفَيْنِ ، وليس كلّ مختلفين ضدّين " (١)

وقد عَدّ قطرب الأضداد نوعاً من أنْواع المشترك اللّفظيّ ، حيث يقول : " ...... ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعداً - (يعني المشترك) - مايكون متضاداً فى الشيء وضده ... "(٢).

أما المحدثون فقد عَرَضوا لهذه الظاهرة ، وعَرَّفُوها ، وفَصَّلوا القول فيها (٣) ومنهم من خَصَّها بمؤلفٍ مستقل .(٤) .

مُصَنفات لغويي القرن الثالث فى التضاد :

تعددت مؤلفات لغويي هذا القرن فى هذه الظاهرة ، وأَوَّل ماوصل إلينا منها كتاب الأضداد لقطرب (٢٠٧ هـ)(٥)، والأضداد للأَصمعيّ(٢١٦هـ)(٦)، والأضداد للتَوَّزيّ (ت ٢٣٣ هـ) (٧) ، والأضداد لابن السكيت (٢٤٤ هـ)(٨) ،

---

(١) الأضداد فى كلام العرب ، لأبى الطيب ، تحقيق : د/عزة حسن (دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) ١/١ .

(٢) الأضداد ، قطرب ، ص ٧٠ .

(٣) انظر: اللهجات العربية ،ص ٢٠٤ ،وفقه اللغة ،د/وافى ،ص ١٨٦،ونصوص فى فقه العربية ،يعقوب بكر ،١٠٣/٢،وظاهرة المشترك اللفظى وغموض الدلالة،ص ٣٦١،وعلم الدلالة ،د/أحمد مختار ،ص ١٩١ فما بعدها ، واللهجات العربية ، ص ٢٠٤ فما بعدها .
انظر - مثلاً :

(٤) الأضداد ،آل ياسين ،لمحمد حسين آل ياسين (بغداد ، مطبعة المعارف ، ط ١ ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) .

(٥) الأضداد ،لقطرب ،تحقيق : د/حَنّا حداد (المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار العلوم) .

(٦) الأضداد ،للأصمعى ،نشره :أوغست هفنر (بيروت ،دار الكتب العلمية) (ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد) .

(٧) الأضداد ،لأبي محمد التَوَّزى ،تحقيق : محمد حسين آل ياسين ،نُشِر فى : (مجلة المورد ، العدد الثالث ،المجلد الثامن ،١٩٧٩م) .

(٨) الأضداد ، ابن السكيت ، (نشر ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد) .

وكتاب الأضداد لأبي حاتم السجستانيّ (ت ٢٤٨ هـ) [١] ، والأضداد والضدّ [٢] لأبي عبيد القاسم بن سلّام .

وفي كتب التراجم كثير من المؤلفات التي صُنّفت في هذه الظاهرة ، غير أنّها لم تصلنا . ومن بينها : كتاب الأضداد لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ، والأضداد لأبي العبّاس ثعلب ، كما صنّف عبيد بن ذكوان – من وراقي المبرد – كتاباً في هذه الظّاهرة [٣].

كما أنّ من بين علماء هذا القرن من أفرد لها باباً في مصنّفاته كابن قتيبة [٤] .

وقلَّ أنْ نَجِد كتاباً من كتب لغويي هذا القرن لم يعرض لبعض هذه الألفاظ .

آراء لغويي القرن الثالث في التضاد :

لم أجد فيما وقع لي من مصنفات لغويي القرن الثالث من يُصَرِّح بإنكار الأضداد ، على كثرة ماصُنِّفَ فيها في هذه الفترة ، فهم يكادون يُجْمِعُون على إثبات هذه الظاهرة في اللغة، اللهم إلّا بعض تعليلات يُقْصَد منها إخراج عدة ألفاظ من نطاق الأضداد .

---

(١) الأضداد ، لأبي حاتم السجستاني ، نُشِر أيضاً (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) .

(٢) مخطوط في خزانة عاشر أفندي ، برقم (٨٧٤) . ينظر هذا في تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، ترجمة : عبدالحليم النجار (القاهرة ، دار المعارف ، ط ٥) ١٥٨/٢ .

(٣) للمزيد من التفصيل في بيان هذه المؤلفات ينظر : الأضداد ، لآل ياسين ، ص ٣٢٩ فما بعدها .

(٤) ينظر أدب الكاتب ، (باب تسمية المتضادين باسم واحد) ص ٢٠٨ فما بعدها .

غير أن الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) يذكر أن أبا العباس ثعلبا ممن ينكر الأضداد فى اللغة فيقول : " المحققون من علماء العربية ينكرون الأضداد ويدفعونها ، قال أبو العباس أحمد بن يحى : ليس فى كلام العرب ضدّ قال : لأنه لو كان فيه ضدٌ لكان الكلام محالاً ، لأنه لايكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد مثل قولهم : التلعة وهى ماعلا من الأرض وهى ما انخفض لأنها مسيل الماء إلى الوادي ، فالمسيل كله تلعه فمرة يصير إلى أعلاه فيكون تلعة ومرة ينحدر إلى أسفله فيكون تلعة فقد رجع الكلام إلى أصل واحد وإن اختلف اللفظ . وكذلك الجون هو الأسود وإذا اشتد بياض الشئ حتى يعشى البصر رئى كالأسود . " (١)

والغريب أن ثعلبا لم يصرح بهذا الرأى فى كتبه ،ولاتوجد أَيَّةُ إشارة تؤيد ماقاله الجواليقى عن ثعلب ، بل على العكس ، فقد أورد ثعلب كثيرا من الألفاظ المتضاده ونص على أنها من الأضداد . ومثل ذلك قوله : " والجون : الليل والنهار ، وهو الأبيض والأسود جميعا ، لأنه من الأضداد . والجونة الشمس وأنشد :

يبادر الجونة أن تغيبا "(٢)

كما ورد قوله : " الناهل : العطشان ، والريان ،من الأضداد "(٣) وثمة كثير من الأمثلة التى عرض لها ، سواء أكانت فى كتبه ، أم فى شرحه على الدواوين ،ولم أجده معارضا فى مثال واحد من الأمثلة التى أوردها .

---

(١) شرح أدب الكاتب ،لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقيّ ،قدم له السيد مصطفى صادق الرافعى (بيروت ،دار الكتاب العربى)ص ١٨٢.

(٢) مجالس ثعلب ،٣٠٦/١،وينظر:الجيم ،لأبى عمرو الشيبانى ،تحقيق :ابراهيم الابيارى(القاهرة ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،١٣٩٤هـ،١٩٧٤ م) ١١٨/١)

(٣) السابق نفسه ، ١٨١/١ .

ولاشك أنَّ بعض لغويي هذا القرن كانوا يُعَلِّلُون وجود التضاد ، وكان بعضهم يُخْرِج اللفظ من التَّضَادّ ، ولكنَّ ثعلباً لم يكن من بين هؤلاء اللغويين، بيد أنَّ التعليل السابق الذى نسبه الجواليقيّ لثعلب تعليل مقبول ، ذلك لأنَّ من ينظر إلى الشمس فى وسط النهار يجد بُؤْرتها سوداء ، ويصاحب هذا السواد من الأطراف لمعاناً أبيض . ومن هنا زعموا أنَّ الكلمة تَدُلُّ على البياض أيضاً (١).

فعند اختلاط اللونين الأسودِ في الأصل والأبيض ، أُطْلِقَت الكلمة على هذا المعنى المتضاد . وممَّا يؤيد قولنا فى أنَّ الكلمة فى الأصل وُضِعَت للأسود ، ما أورده المبرد عند قول الشاعر :

ترى العَبَس الحَوْلِي جَوْناً يَكُوعُهَا

لها مَسَكاً من غير عاجٍ ولا ذَبْل

قال المبرد : " والجَوْن هاهنا الأَسْوَدُ ، وهو الأغلب فيه . " (٢) فَغَلَّب المبرد هنا اللَّون الأسود على الأبيض ، لأَنَّه الأصل .

فإذا تأملنا الأمثلة الواردة فى مؤلّفات هؤلاء اللّغويين ، لانجد إلاَّ القليل منها الذي يدخل فى باب الأضداد ، ويكون دخولها فى واقع اللغة لا في أصل وضعها . فالدلالة الأصلية للكلمة لايمكن أَنْ تحمل معنى الشَّيء وضدّه . وسأوضح هذا عند عرض الأمثلة التطبيقية لهذه الظاهرة مع البيان والتفصيل إن شاء اللّه .

---

(١) المعنى اللغوي ، د/ محمد حسن جبل ، ص ١٢٤ .

(٢) الكامل ٨٧٤/٢ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، للمؤلف نفسه ، ص ٥ .

أسباب وجود التضاد فى كلام العرب عند لغويي القرن الثالث

تعددت أسباب ورود هذه الظاهرة فى كلام العرب ، وقد أشار القدماء إلى كثير منها ، وأَقَرَّها الدرس الحديث ، ومن هذه الأسباب :

(١) تعدّد اللّغات :

أشار إلى هذا عددٌ من اللغويين ، ومن بينهم قطرب الذي قال – عند عرضه للفظة (الجَوْن) – : " والجَوْن ، فى لغة قُضَاعةَ : الأسود ، وفى مايليها الأبيض . " (١) وزاد في كتاب آخر قوله : " وهذا مِنْ الأضداد . "(٢).

كما قال الأصمعي : " القُرْء عند أهل الحجاز : الطُّهْر ، وعند أهل العراق : الحَيض . "(٣) وقد عرض الأخفش لهذه اللفظة إلاّ أنّه اكتفى بقوله : " والقُرْء : انقضاءُ الحَيْض . "(٤)

---

(١) الأضداد ، ص ١١٠ ، وانظر ، ص ١٠٥ من نفس الكتاب .

(٢) الأزمنة وتلبية الجاهلية ، محمد بن المستنير الشهير بقطرب ،تحقيق: د/حاتم صالح الضامن (بيروت ،مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثانية ،١٤٠٥ هـ) ص ١٤ . وقد عرض لهذه الكلمة جُلُّ علماء هذا القرن .ويُنْظَر على سبيل المثال : شرح ديوان ذي الرمة ٤١٨/١ ،وشرح ديوان النابغة ، ص ٢١٥ ، و ص ٢٦٠ ،والمعاني الكبير ٢٩٨/١ ،وأدب الكاتب ٢٠٨ ،والكامل ،للمبرد ، ٨٧٤/٢ ،وينظر معاني الشعر ،للأشنانداني ،تحقيق عزالدين التنوخي (دمشق ،مطبوعات إحياء التراث العربي ،وزارة الثقافة والإرشادالقومي، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م) ص ١٤ .

(٣) الأضداد ،ص ٥ ،وينظر التقفية فى اللغة ،ص ٦٦، ٦٧ ،وتفسير غريب القرآن، ص ٨٦ ، ٨٧ ، والجيم ٨٩/٣ وخلق الإنسان لأبي محمدثابت بن أبي ثابت ، ص ٥ .

(٤) معاني القرآن ١٧٤/١ وينظر التفصيل فى هذه اللفظة فى :معاني القرآن وإعرابه ،للزجّاج ،شرح وتحقيق الدكتور/عبدالجليل عبده شلبى (بيروت ، عالم الكتب ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ص ٣٠١ فما بعدها .

ومنه أيضاً قول قطرب : " المُعْصِر فى لغة قيس وأسد : التى قد دنت فى الحيض . وأعصرت المرأة إِعْصَاراً . وقد دَنَا إعصارها . وبلغة الأَزْد قد ولدت أو تَعَنَّسَت ..... "(١).

فاستعمال قبيلة من قبائل العرب اللفظ لمعنى معين ، واستخدامه من قبل قبيلة أُخرى بمعنى مضاد ، يُعَد سبباً رئيساً من أسباب وجود هذه الظاهرة .

(٢) التفاؤل بالشَّىء :

ذكر اللغويون هذا السبب صراحة ، حتى إنَّ بعضهم جعل لمثل هذه الألفاظ عنواناً مُستقلاً بها(٢) " فالعرب إنَّما كانت تُسَمِّي بكلب ، وحمار ، وحَجَرٍ ، وجُعَلٍ ، وحَنْظَلَة ، وقِرْدٍ ، على التَّفَاؤُل بذلك . "(٣) فَربَّما كان تسميةُ الشَّىءِ فى المعنى وضدّه . ومن بين ماورد في مؤلفاتهم قول الهرويّ عند عرضه لقول الشاعر :

يُلاقى من تَذكُّر آلِ لَيْلَى
كما يَلْقَى السَّلِيْمُ من العِدَاد

حيث قال : " يعنى بالسَّليم اللَّديغ . قال الأصمعيّ : إنَّما سُمِّي اللديغ سَليماً ، لأَنَّهم تَطَيَّروا من اللَّدِيغِ فَقَلَبُوا المعنى ، ...... "(٤)

---

(١) الأضداد ، ص ١٠٨ .
(٢) الحيوان ، الجاحظ ، ٤٣٩/٣ .
(٣) السابق نفسه ، ٣٢٤/١ .
(٤) غريب الحديث ، للهروي ، ٧٣/١ ، ٧٤ ، وينظر : الأضداد للأَصْمَعي ، ص ٣٨ ، وغريب الحديث ، ابن قتيبة ، ٥٣٩/١ ، والكامل للمبرد ؛ ٢١٣/١ ، وديوان ذى الرمة بشرح أبي نصر ٤٥/١ ، وقد عرضت جميع كتب الأضداد الآنفة لهذا اللفظ .

وكقول الأصمعي : " ..... وسَمَّوا المفازة مَفْعَلة من فاز يفوز إذا نَجا ، وهى مَهْلَكَةٌ ، ..... وأصل المَفَازة مهلكة فتفاءلوا بالسلامة والفوز "(١).

ومن هذه الألفاظ لفظة النّاهل ، فقد ذكر كثير من علماء هذا القرن أنَّها تُطلق على العطشان وعلى الرّيّان ، وفى هذا يقول أبوحاتم تعليلاً على ماذكره الأصمعى : " ..... فإنَّما قيل للعطشان ناهل على التَّفَوُّل كما يقال المفازة للمهلكة على التفوّل .... " (٢)

كما عَلَّق بعض القدماء(٣) على معنى هذه اللفظة بقوله : إنَّ الناهل هو الذى يشرب لأوّل مرّة ، وهذا يُتَوَقَّع الأرْوَى ، وإنَّما قيل ناهل لأنَّه ذاهب يَنْهَل .

(٣) التشاؤم بالشيء :

وكما كان العرب يتفاءلون بالأشياء ، فقد كانوا - أيضاً - يتشاءمون من بعضها ، حيث يُطْلِقون المعنى المُضَادّ للمعنى المُسْتَكْرَه ، نظراً لتشاؤمهم من المعنى الأول . ومن أمثلتهم قول ابن قتيبة : " وإنَّما قيل للغراب أعور لِحدَّة بصره على الضّدّ كما قيل للحبشي: أبو البَيْضاء ."(٤)

---

(١) الأضداد ، ص ٣٨ ، وانظر : الأضداد لأبي حاتم ، ص ٩٩ ، وابن السكيت، ص ١٩٢ ،وشرح ديوان ذى الرمة ، ٤٥/١ .

(٢) الأضداد ،ص ٩٩ ،والأضداد للأصمعي ،ص ٣٧ ،والأضداد ،ابن السكيت ، ص ١٩١ ،والنوادر فى اللغة ، لأبي زيد ، ص ٥٧ ، والغريب المصنف ، ورقة (٣٤٨ أ) .

(٣) الأضداد ، للأصمعي ، ص ٣٧ .

(٤) المعاني الكبير ، ٢٥٨/١ .

(٤) تضادٌ بسبب التقاء مادّتين في صيغةٍ واحدةٍ :

ومن الأمثلة ماأورده التَّوَّزى حيث قال : " رجل مُودٍ إذا هلك، ورجل مُودٍ إذا كان ذا سلاح قويّاً . قال رؤبة :

مُودُون يَحْمُون السَّبِيلَ السَّابِلاَ

المؤدى بالهمز : التَّامُّ الأَداة والسّلاح ، وبغير الهمز: الهالك ، ومنه يقول أهل الحجاز : آدِنى عليه أي : أعدِنِي عليه . ويقولون : استأديتُه أي: استعديته . وقوله :

يَظَلّ مِنْها صَحِيحُ القوم كالمُودِي

فالمودي فى هذا الموضع الهالك . وللمودي موضع آخر يكون فيه القوي الجاد . " (١) فالمُودي الهالك وهذا من (أودى) ، والمُودى : القوى وهو من (آدى) ، ومعناه حمل أداة الحرب وأصلها المؤدي .

وقد تأتى الصِّيغة لمعنيين متضادَّيْن ، ومثله قول قطرب حكايةً عن يونس : " الرغوث التي يرغثها ولدُها من الشّاء فصارت فى معنى مَرْغُوثَة . والولد أيضا رَغُوث . والمعنى أنّه راغث لها . فصار رغوث للمفعول والفاعل . "(٢)

(٥) التطور الصوتى :

قد يحدث فى الكلمة تطوّرٌ صوتيٌّ وذلك بتقديم بعض حروف الكلمة أَوْ تأخيرها فيُصْبِح للكلمة معنيان متضادّان .

---

(١) الأضداد ، التَّوَّزى ، ص ١٨٠ ، وانظر : الكامل ، ٣٣١/١ .

(٢) الأضداد ، قطرب ، ص ٨٣ ، وانظر : الكامل ، ٢٠٨/١ ، ٢٠٩ .

ومن الأمثلة على هذا لفظة (تَلَحْلَح) ، التي تجيء بمعنى أقـــام وثبت ، وزال وذهب . فحَصل في الكلمة قَلْبٌ مكاني ، حيث قُدِّمت اللام وأُخِّـرت الحاء .

أورد هذا التفسير ابن الأنباري حكاية عن الفراء حيث قال : "...... أراد بـ " تَلَحْلَح " تَحْلَحَل ، فقَدَّم اللام وأخر الحاء ، كما قالوا : جَـــذَب وجَبَذَ ، وعاث في الأرض وعثا ، هذا تفسير الفراء . "(١).

وقد ضَمَّن المحدثون مؤلفاتهم العديد من الأسباب التي أَدَّت إلى وجود هذه الظاهرة في اللغة ، أَوْصلها بعضهم إلى سِتَّةَ عَشَرَ سَبباً (٢).

وفي الحقيقة فإنَّ اللغويين في هذا القرن بَيَّنُوا بعض هذه الأسباب ، وإن لم يُصَرِّحوا بها ومن يُدَقِّق النَّظَرَ في الأمثلة الواردة عنهم ، يَسْتَنْتِج هذه الأسباب بسهولةٍ ويُسْرٍ ، دون تَكَلُّفٍ أَوْ عناء .

---

(١) الأضداد ، ابن الأنباري ، ص ٢٣٦ .
(٢) علم الدلالة ، د/أحمد مختار ، ص ٢٠٤ فما بعدها .

مناقشة بعض الألفاظ التي قيل إنَّها متضادّه

سبق أَنْ ذكرت أَنَّ التضاد موجود فى اللغة ، ولكن وجوده يكاد يكون نادراً ، لأَنَّ الأَلفاظ الواردة عند اللغويين من السهولة تخريجها من هذا الباب .

وقد أَخْرج اللغويون بعض هذه الألفاظ من هذه الظاهرة ـ كما رأينا ـ فى أسباب الأضداد . كذلك فإنَّ علماء هذا القرن أشاروا إلى السياق ، وأهميته فى تحديد معنى اللفظة ، ولم يُغْفِلوا هذه النقطة . وهذه من النظرات الدقيقة التي تحسب فى موازين القدماء . فمتى حُكِّم السياق فإنَّ العديد من الألفاظ المتضادة تخرج من هذا الباب ، فالكلمة لايُحْكَم عليها بمفردها ، وإنَّما بوضعها فى سياقها كما قال عبد القاهر الجرجانى .(١)

ومن الأمثلة التى وردت عن لغويي هذا القرن ونَوَّهُوا فيها إلى السياق ما أورده أبونصر عند قول ذي الرمة :

ثَنَتْهُ عن الأَقْنَاص يوماً وليلةً

من الطير أَقْنَى أَشهلُ العين وَاقِعِ

حيث قال : " ..... " الأَقْنَاص " : وهي الصيد ، الواحد قَنَصٌ " ويكون " القنص " فى غير هذا الموضع ، الصائد ، وهو من الأَضْدَاد . "(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قول ابن قتيبة ـ عند بيت رؤبة :

---

(١) دلائل الاعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، د/ت) ص ٤٤ .

(٢) ديوان ذي الرمة ، بشرح أبي نصر ، ١٢٩٢/٢ .

لمَّا رأتْنِي رَاضِياً بالإِهمـــادْ

كالكُرّز المربوط بين الأوتـادْ ـ

" الإِهْمَاد السُّكون ولزوم البيت ، وهو فى موضع آخر سُرْعَةُ السير وهذا حرف من الأضداد . " (١).

إذاً فالحكم على اللفظة هنا بأنَّها من الأضداد إِذا كانت مفردة . (بمعنى منفردة عن السِّياق) ، أمَّا إِذا كانت فى سياقها فلا يُحْكَم عليها بالتضاد ، لدلالة السياق على معناها . وهناك العديد من الأمثلة التى نبه علماء هذا القرن فيها إلى السياق .(٢)

ومن الأمثلة الواردة فى مؤلفات لغويى هذا القرن وهى ليست من الأضداد قول الأصمعي : " .... ويقال أَسْرَرْتُ الحديث:كَتَمْتُهُ وأَسْرَرْتُه :أظهرته ، قال الشَّاعر :

فلمَّا رأى الحَجّاج جَرَّدَ سَيْفَـه

أَسَرَّ الحَرُوْرِيُّ الذى كان أَضْمَرا

وقال الله جل ثناؤه : ﴿ وأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأوا العَذاب ﴾(٣) أي:أظهروها " (٤) الأصل فى معنى اللفظة (أَسَرَّ) هو الإِخفاء . أَمَّا اللغويون فيقولون : إِنَّها تَأْتِي بمعنى أَعْلَنَ وأَظْهَرَ ، ماعدا

---

(١) المعانى الكبير ، ٢٨٨/١ .

(٢) انظر على سبيل المثال : شرح أشعار الهذليين ،٩١/١ ، والنخل للسجستانى ، ص ٥٩ ، وشرح شعر زهير ، ثعلب ، ص ٢٦١ .

(٣) الآية رقم (٥٤) من سورة يونس .

(٤) الأضداد ، للأصمعي ،ص ٢١ ،وانظر : الأضداد لأبي حاتم ،ص ١١٤، والأضداد لابن السكيت ،ص ١٧٦ ،وإصلاح المنطق ،ص ٢٣٥ ،٢٥٦ ،ومجاز القرآن ، ١٦/٢، ١٧ ، ٣٤ ، وتفسير غريب القرآن ، ص ٣٥٧،وغيرها .

الفرّاء الذى قال ـ عند تعرُّضه للآية السّابقة ـ : " ..... يعنى الرؤساء من المشركين ، أسرُّوها من سَفِلَتِهِمْ الَّذِيْنَ أضلُّوهم ،فأسرّوها أيِ أخْفَوْها ." (١) فتفسير الفراء مخالِفٌ لِمَن قال إِنَّ أسر بمعنى أظهر . كما أَنَّ لفظة (أضمرا) فى بيت الفرزدق رُبَّما لحقها تَصْحِيف ، فقد تكون هذه الكلمة (أَظْهَرا).ومما يؤيد هذا الرأى تشكك أبي حاتم السجستانى في بيت الفرزدق المتقدم من أن الكلمة أظهرا وليست أضمرا (٢) فان كان الامر كذلك فليس فى الكلمة تضاد . كما أن الآيات الكريمة التى ورد فيها هذا اللفظ كلها بمعنى الإسرار أَيِ الإخفاء ، وليس الضدّ .(٣)

ومن الألفاظ التي قيل بالتضادّ فيها لفظة (الصَّريم) . يقول الأصمعي : " الصَريم الصُّبْح والصَريم اللَّيْل ، ومن الصُّبْح قول بِشْرٍ يَصِفُ ثوراً :

فَبَاتَ يَقُول أَصْبِحْ لَيْلُ حَتَّى
تَكَشَّفَ عن صَرِيمَتِهِ الظَّلَام

ومن الليل قول الله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾(٤) أيِ كاللَّيْلِ . وقال أبوعَمْرٍو الشَّيبانيُّ قول بِشْرٍ عن صَرِيْمَتِهِ يَعْنِي رَمْلَتَهُ وَذَكَرَ ثَوْراً، قال: وَقَوْلُ زُهَيْرٍ :

غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فَتَرَكْتُهُ
قُعُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِلُه

---

(١) معاني القرآن ، ٤٦٩/١ .
(٢) انظر : الاضاد : ١١٤ ، ١١٥ .
(٣) فى اللهجات العربية ، ص ٢٠٥ .
(٤) الآية رقم (٢٠) من سورة القلم .

يُرِيدُ اللَّيْلَ " (١).

وقد عرض قطرب لهذا اللفظ وقال : " ...... كُلّ ما انْجلَى من شيءٍ فهو صَرِيم كاللَّيل يَنْصَرِمُ من النَّهار، والنَّهار يَنْصَرِم من اللَّيل ، ومن ذلك يُقَال : صَرِيم الزَّمان ، أَي : مُنْقَطِعٌ مِنْ مُعْظَمِه . ومِنْه يُقَال : الصُّرْمة من البيوت ، أَي القِطْعَة . ومنه يقال : سَيْفٌ صارِمٌ . ومنه يقال : صَرَمَ النَّاس النَّخَل . ومنه يُقَال : صَرِيمَتي ، أَي عَزْمِي وَقَطْعِي الامر . " (٢) .

فالمدلول الجامع هنا والاصل هو (القطع) ، وبناء على ما أورده قطرب " تكون الدلالة قد تخصّصت باللَّيل مرة وبالنَّهار أُخْرى؛لأنَّ كلاًّ منهما يَنْقَطِع عن صاحبه ، فَيَصِحُّ على كلا المُنْقطعين أَنْ يُقَال (صَرِيم) وبهذا الشَّكل من النظر نستطيع معرفة منشأ التضاد فى هذه اللفظة ، وهو منشأ ولَّده تطوّرُ الدلالة عن طريق التَّخصيص " (٣) وأَرَى أَنَّ التضادَّ سببه التلازم بين المعنيين ، كما أَنَّ النَّهار هو الذى ينصرم من اللَّيل وليس العكس ، ودلِيلُنا على أَنَّ اللَّيل هو الاصل ماوَرَد من آيات قرآنيّة يَرِد فيها لفظ اللَّيل أولاً ، ثم يُثنِّي بالنهار ، كما أَنَّ النهار هو الذى يَنْسَلِخ من اللَّيل قال تعالى : ﴿ وآيَةٌ لَهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾(٤) فهذا المثال مِمّا تُكُلِّفَ فيه القول بالتّضادّ .

ومن الألفاظ الواردة أَيْضاً فى هذا الباب لفظة (وراء) حيث قال

---

(١) الأضداد ،للأصمعي ، ص ٤١ ، ٤٢ ، والأضداد لأبي حاتم ،ص ١٠٥،والأضداد لابن السكيت ،ص ١٩٥ ،وأدب الكاتب ،ص ٢٠٩ ،وشرح شعر زهير ،ثعلب ص ١١٢ ، والأزمنة ، ص ٥٠ ، والكامل ، ٣٠٤/١،٣٠٥ .

(٢) الأضداد ، قطرب ، ص ١٢٢ .

(٣) الأضداد فى اللغة ، آل ياسين ، ص ١٤٠ .

(٤) الآية رقم (٣٧) من سورة يس .

جل علماء القرن الثالث إنَّ هذه اللفظة من الأضداد، فهي تأتي بمعنى خَلْف ، وقُدَّام (١) .

وقد استدلَّ اللغويون بالعديد من الشواهد القرآنيّة والشعريّة بيد أنّ الأخفش قال في تفسير الآية الكريمة : ﴿ ومن ورائه عذابٌ غليظٌ ﴾(٢) " أي : من أمامه ، وإنَّما قال " وراء " أي أنَّه وراء ماهو فيه ، كما تقول للرجل : هذا من ورائك ، أي: سيأتي عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ، لأنَّ ما أنتَ فيه قد كان مثل ذلك ، فهو وراءه، وقال: ﴿ وكان وراءهم ملكٌ ﴾(٣) ، في هذا المعنى ، أي : كان وراء ماهُمْ فيه . " (٤) .

فالأحفش هنا حلّل الآيتين ولم يَقُل فيهما بالتضاد ، فهي إذن من المُوَاراة . والمواراة تشمل المعنيين الخلف والامام إذا استترا ، فإذا كُنْت تشاهده فلا يُعَدُّ الأمامُ وراءً . (٥)

وأرى أنَّ هذا التحليل هو الذي جعل القدماء يقولون في اللفظة بالتضاد، وهكذا فإن كثيراً من الألفاظ المتضادّة إذا دُقِّق فيها النظر خرجت من هذه الظاهرة .

وهذا التأويل وإنْ ساغ في بعض الكلمات لايطّرِد فيها ، ولا يُلْغِي التضاد من اللغة . وقُصَارى أمره أنْ يُقلِّلَ ألفاظه .

---

(١) انظر: الأضداد للأصمعي ،ص ٢٠،والأضداد ،لأبي حاتم ،ص ٧١- ٩٥،والأضداد لقطرب ،ص ١٠٥،١٠٦،والأضداد لابن السكيت ،ص ١٧٥ .

(٢) الآية رقم (١٤) من سورة ابراهيم .

(٣) الآية رقم (٧٩) من سورة الكهف .

(٤) معاني القرآن ، ٣٧٤/٢ .

(٥) ينظر : الأضداد ،آل ياسين ،ص ١٤٥ .

الفصل السابع

الدلالة الصرفية

وتشتمل على :-

- مفهوم الدلالة الصرفية
- كلمة مختصرة عن نشأة الصرف
- لغويو القرن الثالث والدلالة الصرفية

الدلالة الصرفية

تمهيد :

ونعنى بها الدّلالات التى تُحَدِّدها صيغُ الكلمات وبنيتها ، فباختلاف الصِّيغة تختلف دلالة الكلمة ، سواء أكان هذا الاختلاف في الصيغة نفسها أم في حركتها .

تَنَبَّه علماء العربيّة القدماء إلى تغيُّر دلالة البِنْية تَبَعاً للتغيُّر الذي يعتريها ، فبحثوا نظمها ، ودرسوها دراسةً مستويةً ، وكان لهم السّبق في هذا الميدان ، حيث حصروا المفردات ، وبَحَثوا أُصولها ومشتقاتها فى أوزان معينة ، وأَثْبَتوا كلّ مايطرأ على بنية الكلمة من إعلال ، وإبدال ، وقلب ، وزيادة ، وحذف ، وما إلى ذلك .

أَدركوا كلّ هذا في وقت مبكِّر لمعرفتهم التّامّة بمدى أهمّيّة هذا العلم ، وأثره في سلامة الكلمات التي يُحَاك منها هذا النسيج اللّغوي من منظومٍ ومنثور .

وقد أَقَرَّ لهم من جاء بعدهم من اللغويين . يقول ابن يعيش :
" اعلم أَنَّ الألفاظ أدلّةٌ على المعاني وقوالب لها ، وإنَّما اعتنوا بها وأَصْلحوها لتكون أَذْهَب فى الدَّلالة . ولَمَّا كان المعنى يكون على أَحْوال كثيرة كمعنى المُضِي ، والحال ، والاستقبال ، والفاعليَّةِ ، والمفعوليَّة ، وغيرها ، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كلّ حال منها ماسةً،لم يكن بُدٌّ من لفظ خاص يَدُلّ على ذلك المعنى بعينه فلهذا وجب التصريف واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتغيير ونحو ذلك ، ليدلَّ كلُّ لفظ على المعنى المراد نحو : ضرب يضرب ، اضرب ، لاتضرب ، ضارب مضروب .... " (١)

---

(١) شرح التصريف الملوكى ، ص ١٨ .

فلا شك أَنَّ الدراسات الصرفية السليمة ضمان لدراسة الدلالة ، وتحديدها التحديد الدقيق ، فلا دلالة بلا صرف كما يرى فيرث (١) .

وقد أشاد العديد من اللغويين المحدَثين بجهود علماء العربيّة القدامى في هذا المجال ، فيُقَرِّر بعضهم أَنَّ " هذه الشعبة من دراسة اللغة ، وإِجادة القول فيها أَفْرَدَت الصرفيين العرب بمكان لايدانيه أَيِ مكان آخر فى عالم اللغويين قديماً أو حديثاً ، ولايزال كشفهم عن النظام الصرفيّ العربيِّ موضع الإِعجاب والاحترام ، وسيظل دائماً كذلك في نظر اللّغويّين في مختلف أنحاء العالم . " (٢) .

وقد اقترن علم الصرف فى تأليفه قديماً بعلم النحو ، نظراً لتلازم العلمين . ففى هذه المرحلة كان النحو والصرف ضمن اللغة وفقْهِها ، فاستعان العلماءُ بالنّحو لبيان الظواهر العامة فى الدرس الدلالي من لفظ ومعنى واستعمال ، كَأَنْ يتكلّم فقهاء اللغة فى أصل الاشتقاق أو أصل الصيغة . (٣)

فالكلمة أساسها الصّوتُ ، وأساس الجملة الكلمة " فالصوت والكلمة والتركيب النَّحْويّ هي الوحدات الثلاث للكلام المتصل . " (٤) .

أمّا بالنسبة للمعنى فأول مايُؤَدِّيه من الوحدات الثلاث السابقة إِنَّما هو الكلمة (٥). فمستويات الدراسة اللغوية ،والصوتيّة ، والصرفيّة ،

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ـ د/ تمّام حسان ، ص ٢٨٦ .
(٢) اللغة معناها ومبناها ، د/تمّام حسان ، ص ١٥ .
(٣) الأصول ، د/تمّام حسان ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وينظر : علم اللغة ، د/ السعران ، ص ٢٢٥ ، والتطبيق الصرفي ، د/عبده الراجحي ،ص ٥ .
(٤) دور الكلمة فى اللغة ، ص ٣٥ .
(٥) وظيفة البنية فى تحديد الدلالة ،د/ابراهيم بركات (المنصورة ،عامر للطباعة والنشر ،١٤٠٨ هـ) ص ١١

والنحوية ، والدلاليّة متّصلة ، " والدرس الصرفيّ فى العربية مقدّمة للدرس النحويّ . وهما متلازمان لاينفصلان فى الدرس اللغوي الحديث ، لأنّ الصرف باهتمامه ببنية الكلمة إنّما هو من أجل توظيفها فى تركيب نحويٍّ . "(١)

كلمة مختصرة عن نشأة الصرف :

وقد كانت النشأة الأولى لهذا العلم مبكرة ، وصنّف العديد من القدماء فى هذا الفن ، وإن كان بعض هذه المؤلفات قدْ فُقِد ، إلاّ أنّ ما وصلنا منها يَدلّ على مابُذِل من جهود قديمة فى هذا المستوى .

ومن أوائل المصنفات التى وصلتنا ، معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥ هـ) ، جمع فيه مؤلفه بين العلوم العربية المختلفة ، من نحو ، وصرف ، ودلالة ، وأصوات ، وَضَمَّنها معجمه ، فكان حافلاً بالآراء اللغوية الدقيقة .

تلاه تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، الذى خَلَّف لنا سفراً عظيماً ، ضمّ بين دفتيه كَمَّاً من العلوم العربية ، وختمه بمباحث عديدة فى علم التصريف ، سواء أكان ذلك فى الأسماء أم فى الأفعال . حيث عرض للعديد من الصيغ الصرفية ، مُوَضِّحاً أصولها ، ومالحقها من زوائد ، وأماكن زيادتها ، كما بَيَّن مواطن التقاء وافتراق الصيغ فى دلالتها ... وغير ذلك مِمَّا عرض له فى ثنايا كتابه .

وسنتناول بعض ماورد عنهما من مسائل تصريفية ، مِمَّا له آثره فى الجانب الدلاليّ . (*)

---

(١) الدلالة اللغوية عند العرب ،د/عبد الكريم مجاهد ، ص ١٨٣ .
(*) ينظر : ص ٢٥١ من هذا البحث .

واستمر هذا التأليف المتداخل حتّى نهاية القرن الثالث تقريباً، فقد ضَمَّت مؤلفات غالبيّة علماء هذا القرن كثيراً من العلوم اللُّغويّة ، ولم يَندّ عن هذا المنهج إلاَّ عدد قليل من اللغويين ممن خَصّوا بعض مؤلفاتهم بمستوى من مستويات الدرس اللغوي .

ومن بين ماعرض له لغويو هذا القرن المستوى الصرفي ، فقد اشتملت بعض مؤلفاتهم على كثير من المباحث الصرفية ، كالغريب المصنف(١) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، الذى أفرد جزءاً من كتابه لأمثلة الأسماء والأفعال . وابن السكيت (٢٤٤ هـ)(٢) الذى عرض للعديد من الصيغ الصرفية ، وابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الذى أفرد كتابا للأبنية (٣).

إلاَّ أَنَّ أَوّل مؤلف مستقلّ فى الصرف - مِمَّا وصل إلينا - هو " كتاب التصريف "(٤) لأَبي عثمان المازنى (٢٤٩ هـ) . يقول الحاج خليفه : "وأوّل من دَوَّن علم التصريف أبوعثمان المازنيّ ، وكان قبل ذلك مُنْدرجاً فى علم النحو " (٥) كما نجد غالبية مؤلفات لغويي القرن الثالث قد اشتملت على كثير من المباحث الصرفيّة ، الّتي عالجوا من خلالها العديد من مسائل

---

(١) ينظر : الغريب المصنف ورقة (٢٧٥ ب) كتاب أمثلة الأسماء ، وورقة (٣١٠ أ) كتاب الأفعال .

(٢) فى كتابه : إصلاح المنطق .

(٣) فى كتابه : أدب الكاتب ، ص ٤٣٣ فما بعدها .

(٤) كتاب التصريف ، لأبي عثمان المازني ، شرحه الإمام أبي الفتح عثمان ابن جنى ، بتحقيق : إبراهيم مصطفى - وعبد الله أمين (القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) .

(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفه (بغداد ، مكتبة المثنى) ٤١٢/١ .

الصرف كمعاني الصيغ ، وأنواع الزيادة ، وماقَدْ يطرأ على بنية الكلمات من عللٍ صرفيهٍ لاسبيل إلى استقصائها فى هذا الموضع .

ومن بين ماأَولاه الصرفيون جُلَّ اهتمامهم الجانبُ الدلاليُّ ، حيث عُنُوا بمدلولات الأوزان الصرفيَّةِ ، وآَثر الزيادة فيِ إبراز المعنى ، مُبَيّنين أَنّ كلّ زيادةٍ فيِ المبنى تدلّ على زيادة فى المعنى . (١)

كذلك وضّحوا أَنواع الزيادة ، وأهمّيّة كلّ منها ، فيقول المازنيُّ: " فَمِمّا يُزَاد مايُلْحِق بناءً ببناء ، ومنه مايكون للمدِّ ، ومنه مايلحق ولا يتكلّم به إلاّ بزائد ، لأَنَّه وُضِع على المعنى الذيِ أرادوا بهذه الهيئة . " (٢)

أيِ أَنَّ الزيادة على ثلاثة أضرب : " زيادة لمعنىً ، وزيادة لإلحاق بناء ببناء ، وزيادة بناء فقط لايراد به شيء مِمّا تقدَّم . فأمّا ما زيد لمعنىً فنحو ألف " فاعل " ، إذا قلت : " ضارب وعالم " ، ونحو حروف المضارعة فى الفعل . وأَمّا زيادة الإلحاق فنحو الواو فيِ كوثر أُلْحِق ببناء جعفرٍ . وأَمّا مازيد للبناء فقط : فنحو ألف " حمار ورسالة " وَ واو " عجوز " وياء صحيفة" "(٣) . أَيِ ماكان للمدّ كما ذكر ذلك المازني .

---

(١) هذا رأيِ أَبيِ العباس ثعلب ، وقد أورده الشيخ / رضيِ الدين محمد بن الحسن الاستراباذيِ فى شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق :محمد نورالحسن وآخرين (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م) ٦٧/١ .

(٢) المنصف ١٣/١ .

(٣) الموجز فى النحو ، أبوبكر محمد بن السراج ، تحقيق : مصطفى الشويحيِ ، وبن سالم دامرجيِ (بيروت ،لبنان ،مؤسسة بدران)ص ١٤٤.

ومايعنينا فى هذا الموضع الزيادة المعنوية ، وهى مازيد من الأحرف على بنية الكلمة الأصليّة ، وأثر هذه الزيادة فى المعنى ، سواء أكانت بأحد حروف (اليوم تنساه) ، أم بتكرار حرفٍ من أصول الكلمة.

ويُعَدُّ الغرض المعنويُّ من أسْمَى أغراض الزيادة ، لأنَّه يُصَوِّر لنا ماحَدَث للكلمة من زيادةٍ ، ومن ثَمَّ أهميتها فِي تحديد المعنى ، سواء أكانت فِي الأسماء أم فِي الأفعال .

ومن الأسماء الّتى يُزَادُ فيها لمعنىً : اسم الفاعل ، والمفعول ، وصيغ المبالغة ، والصّفة المشبَّهة باسم الفاعل ، وأسماء الزمان والمكان .

ولكلِّ صيغة من صيغ المشتقات السابقة دلالاتها الخاصة بها ، كالتجدّد والحدوث فِي اسم الفاعل ، والثبوت والدوام فى الصفة المشبهة ، وكإرادة التَّنصِيص على التكثير فى صيغ المبالغة ، وغير ذلك من الدلالات المتصلة بهذه المشتقات .

وقد يحدث التَحَوّل بين هذه الصيغ ، كتَحَوّل اسم المفعول إلى الصفة المشبّهة ، أو تحويل الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل .(١)

كما حَدَّد القدماء صيغاً لجموع التكسير (أعنى الصيغ القياسية)، موضحين ماكان منها للكثرة أو القلة . ولاسبيل إلى استقصاء كل ماورد عنهم مِمّا يتصل بتصريف الأسماء .(٢)

---

(١) لمزيد من التفصيل ينظر : تصريف الأسماء ،محمد الطنطاوي (المملكة العربية السعودية ،المدينة المنوره ،مطابع الجامعة الاسلامية ،الطبعة السادسة ،١٤٠٨ هـ) ص ١٠٥ فما بعدها . حيث ذكر عدداً من الضوابط الدقيقة للتحويل .

(٢) السابق نفسه ، ص ٢٠٢ فما بعدها .

كذلك الشأن بالنسبة للأفعال ، فقد حدّد القدماء لها صيغاً معينة ، مُبَيّنين المجرّد منها والمزيد ، والغرض من زيادتها ومواضعها ، وما كان له منها أثر في إبراز المعنى . ومن بين ماعرضوا له من الصيغ المزيدة صيغة (أفعل) .

تعدّدت معاني هذه الصيغه ، إلاّ أنّ المعنى الغالب عليها التعدية [١] فالجذر الأصليّ للصيغة (ف ع ل) ، ومتى زيدت الهمزة فى أول الجذر ، أفادت هذه الوحدة الصرفيّة معنىً زائداً عمّا كانت عليه من قبل ، حيث تجعل الفاعلَ مفعولاً ، كقولنا : (جلس زيد) ، و (أجلست زيدا) ، فوقع الحَدَثُ على زيد بعد أنْ كان واقعاً منه .

ومن معانيها ـ أيضاً ـ المطاوعة ، والصّيرورة ، والتعريض ،وسلب الفعل عن الفاعل ، والدُّعاء ، والإعانة وغيرها من المعانى .[٢].

ومن بين هذه الصيغ مايأتى لمعنيين متضادّين ، كقول ابن قتيبة فى (باب أفعلت بمعنيين متضادّيْنِ) " ..... و " أَسْرَرت الشَّيءَ : أَخْفَيْتُه وأَعلَنْتُه . " [٣].

ولاسبيل إلى ذكر كُلِّ ماورد عن علماء العربيَّة القدماء فى هذا الموضع ، كما أَنّ مانَصْبُو إليه هو بيان ماسَجَّلَه لغويو القرن الثالث من معالم دلاليّة صرفيّة لها أهميتها في الوظيفة الدلالية ، وبيان أقوالهم فى هذا الشأن .

وهذا ماسنعرض له بشيء من البيان ،مؤيدين ذلك بالأدلة والشواهد التطبيقية الواردة في ثنايا مؤلفاتهم .

---

(١) ينظر : الكتاب ، لسيبويه ٤/٥٥ .

(٢) للمزيد من الايضاح فى معانِي الصيغ ينظر : المُغْنِي فى تصريف الأفعال، محمد عبدالخالق عظيمه (القاهرة ،مطبعة الاستقامة ،الطبعة الثالثة)ص ١٠٨ فما بعدها .

لغويو القرن الثالث والدّلالة الصرفيّة

قبل أَنْ نبدأ فى إبراز المعالم الدلاليّة الصرفيّة عند لغويي القرن الثّالث ، يحسن بنا إبراز بعض الجهود الدلاليّة السابقة عليهم . فقد أُشار إلى بعض هذه المعالم الخليلُ بن أحمد وسيبويه . ومن بينها :

قول الخليل : " صَرَّ الجُنْدُب صَرِيراً ، وَصَرْصَر الأَخْطَب صَرْصَرَةً . فكأنَّهم توهّموا فى صوت الجُنْدُبِ مَدّاً وتَوَهَّمُوا في صوت الأَخطب تَرْجِيعاً ونحو ذلك مختلف "(١) فباختلاف الصيغة اختلفت الدلالة ، كما هو واضح من النصّ السابق .

والأمثلة من هذا النوع عديدةٌ في معجم الخليل . وفى كتاب تلميذه سيبويه العديد من المعالم الدلالية الصرفيّة ، من بينها قوله : " ومن المصادر التى جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النَّزَوَان ، والنَّقَزان ، وإنَّمَا هذه الأَشياء فى زَعْزَعة البدن واهْتِزَازِه فى ارتفاع .... " (٢).

كما ذكر فى موطن آخر من كتابه أَنَّ صيغ المبالغة تُفِيد معنى التكثير حيث يقول : " وأَجْرُوا اسم الفاعل ، إذا أَرادوا أَنْ يُبَالِغُوا فى الأمر، مُجْرَاه إذا كان على بناء فاعل ، لأَنَّه يريد به ما أَراد بفاعل من إيقاع الفعل ، إلاّ أَنَّه يريد أَنْ يُحدِّث عن المبالغة ، فَمِمَّا هو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى : فَعُولٌ ، وفَعَّال ، ومِفْعَال ، وفَعِل ، وقد جاء فَعِيل .... " (٣)

---

(١) العين ، ٥٦/١ .
(٢) الكتاب ، ١٤/٤ .
(٣) السابق نفسه ، ١١٠/١ .

يتضح من النص السابق ماتُؤَدِيه صيغ المبالغة من معنى التكثير . فالفعل (قَتَل) على زِنَة فَعَل يدلّ على الحدث ، مضافاً إليه الزمن . فلو أَردنا أَنْ نصوغ منه على زنة (فَعَّال) لقلنا : (قَتَّال) ، وهذه الصيغة أحدثت معنىً زائداً على المعنى السابق وهو التكثير ، فباختلاف الصيغة اختلف المدلول .

كما تحدّث عن مجموعة من الصيغ المتفقة والمختلفة في المعنى ،كفَعَل وأَفْعَل بمعنىً واحدٍ (١) وأَفْعَل وفَعَل باختلاف معنى ، كقوله :"وتقول : أَمْرَضْتُه : أي جعلتُه مريضاً ومَرَّضْتُه ، أي قُمْتُ عليه ووليته .... "(٢).

كما عرض سيبويه لكثير من الصيغ ، مبيناً أثرها فى الدلالة ، كدلالة صيغة اسْتَفْعَل على الطلب (٣) ، ودلالة فَعَّل (٤) على التكثير ، ودلالة فَاعَل على المشاركة ، وأثر الزيادة فى إبراز المعنى (٥) .

ولسنا فى هذا الموضع بصدد استقصاء كل ماورد في كتاب سيبويه ، وما أوردته هو على سبيل المثال لا الحصر .

فإذا ماانتقلنا إلى لغويى القرن الثالث الهجريّ ، وجدنا فى مؤلفاتهم عدداً من المعالم الدلالية الصرفية ، وهي فى جملتها تتمثل فى جانبين :

---

(١) السابق نفسه ، ٦١/٤ .
(٢) السابق نفسه ، ٦٢/٤ .
(٣) السابق نفسه ، ٧٠/٤ .
(٤) السابق نفسه ، ٦٤/٤ .
(٥) السابق نفسه ، ٥٥/٤ .

جوانب الدلالة الصرفية :

(١) دلالة الصيغة بالزيادة .

(٢) دلالة الصيغة باختلاف الحركة .

أولاً : دلالة الصيغة بالزيادة :

أدرك اللّغويُّون فى هذا القرن فروقَ الدلالات بين الصيغ الصرفية ، كما أَدْرَكها من سبقهم من اللغويين ، إلاَّ أنَّ غالبيّة علماء هذا القرن وضَّحُوا ماكان مُبْهَماً عند سابقيهم من القدماء ، حتى إنَّ بعضهم أَلَّف فى بعض هذه الصِّيغ مؤلَّفاتٍ خاصّةً (١). فَتَنَبَّهوا للوحدات الصرفية التى تَعْتَرِي الكلمة ، وأَثر ذلك فى المعنى . وأَبانُوا عن كثيرٍ من الصيغ الدَّالَّةِ على معانٍ خاصّةٍ بها ، والصيغ التى تأتِي بمعنى واحد.كل هذا من أجل إبراز الوظائف الدّلاليّة للصيغ .

ومن بين ماورد فى مؤلّفاتهم ـ مِمَّا يَنْدَرِج تحت هذه الدلالة ـ قول الفراء فى قوله تعالى : ﴿ ثم لأُصَلِّبَنْكُم ﴾(٢) مشددة و (لأَصْلُبَنْكم) بالتخفيف قرأها بعض أهل مكة . وهو مثل قولك : قَتَلْتُ القوم وَقَتَّلْتهم ، إذا فشا القتل جاز التشديد . " (٣)

---

(١) انظر : كتاب فعل وأفعل ، للأصمعي ، تحقيق : عبدالكريم الغزباوي (مكة المكرمة ، مجلة البحث العلمي ، عدد (٤) ، ١٤٠١ هـ)وينظر: إصلاح المنطق ، فقد اشتمل على الآف الصيغ حتى كاد يكون كتاباً فى الصيغ .

(٢) الآية رقم (٢٤) من سورة الأعراف .

(٣) معاني القرآن ، الفراء ، ٣٩١/١ .

فربط الفراء فى هذا الموضع بين صيغة (فَعَّل) ودلالاتها على التكثير، فقوله : (إذا فَشَا القتل جاز التشديد) ، إشارة إلى أَنَّ التضعيف هنا يُفيد معنىً زائداً ، وهو شيوع القتل وكثرته .

كما تَنَبَّه إلى الفرق بين صيغتي (أفعل وافتعل) حيث قال ـ في قوله تعالى : ﴿ فأُتْبَع سببا ﴾ (١) ـ " ..... قرئت فأَتْبع واتّبع. وأَتْبع أحسن من اتّبع ، لأَنَّ اتبعت الرجل إذا كان يسير وأَنت تسير وراءه . وإِذا قلت : أَتْبَعته ـ بقطع الألف ـ فكأَنَّك قفوته . "(٢)

وهنا يَتَّضِح ترجيح الفراء قراءة عامّة قُرَّاء أهل الكوفة ، ولاغرو في ذلك لأنّه كوفيّ . وخالفه غيره ، واستحسن قراءة عامة قراء المدينة والبصرة بهمزة الوصل ، ومعناه : سلَكَ وسارَ من قول القائل : اتَّبَعْتُ أثر فُلانٍ : إذا قَفَوْتَه ، وسرت وراءه . وأَمّا أَتبع بهمزة القطع فمعناه : لحق به (٣) وقد عَرَض الفراء لكثير من الأمثله التي أبان فيها الفروق الدقيقة بين الصيغ وأثر هذه الفروق في توجيه المعنى .(٤)

ومن علماء هذا القرن : الأَصمعيّ الّذى وضَّح بعض الصيغ الّتي عرض لها ، وما ورد عن العرب مِمّا تَمَثَّلَتْ به من الكلمات .

ومن بين ما أورده فى كتابه قوله عند عرضه لكلمة " خَدَجَ " :" ويقال:

---

(١) الآية رقم (٨٥) من سورة الكهف .
(٢) معاني القرآن ، الفراء ، ١٥٨/٢ ، وانظر : إصلاح المنطق ، ص ٢٥٦ ، وأدب الكاتب ،ص ٣٥٣ .
(٣) تفسير الطبرى ، ١٠/١٦ ، جامع البيان فى تفسير القرآن .
(٤) للمزيد من الأمثلة ينظر ، ١٣١/٢ وذلك عند تفسيره كلمة (تفَجَّر)، و ٨١/٣ كلمة (جَبّار) ، و ١٧١/٣ عند بيانه لكلمة (أكَبّ) وغيرها من الأمثلة .

أَخْدَجتِ الناقة ولَدَها : أي : ولَدَتْه ناقصاً للوقت ، وهي مُخْدِجٌ ، والولد مُخْدَجٌ . وصَلاةٌ مُخْدَجَةٌ : ناقصة الركوع والسجود ، والمصدر الإخداج . فأمّا خَدَجَت فرمت بولدها قبل الوقت ناقصاً كان أو غير ناقص ، وهي خادِجٌ ، الولد خَدِيج ومَخْدُوج والمصدر الخِدَاج ، ومنه سُمِّيَت خَدِيج وخدِيْجَة . "(١)

فَفَرَّق الأصمعي في نَصِّه السابق بين العديد من الأبنيه ، كاسم الفاعل ، والمفعول ، والصفة المشبهة ، وغيرها . وإن لم يوضّح معنى كل بناء ، إلا أنَّ الصيغة تدلّ على المعنى ، وهذا مالايحتاج إلى إيضاح .

كما أفرد أبوعبيد القاسم بن سلام جزءاً من كتابه (٢) عن أمثلة الأسماء والأفعال ، تمثلت في قُرَابة أربعين لوحة ، ضَمَّنها عدداً من الصيغ الصرفية .

فإذا ماانتقلنا إلى أبي عثمان المازني ، وجدناه قد وضّح أنواع الزيادة ، وما يكون منها لمعنىً ، أو غير ذلك حيث يقول : " فَمِمَّا يُزاد مايلحق بناءً ببناء ، ومنه مايكون للمد . ومنه مايلحق للمعنى . وفيه مايلحق في الكلام ولا يُتَكلم به إلاّ بزائد ، لأنَّه وُضِع على المعنى الذي أرادوا بهذه الهيئة . " (٣) وقد تناول ابن جني نَصّ المازني بالشرح ، فتحدّث عن كل زيادة على حدة ، وذكر بعض مواضع الزيادة المعنوية ، كالتنوين الذي يدخل على الكلام علامةً للخفَّة ، وحروف المضارعة ودلالاتها ، وزيادة الألف في (أنا) ، وغرض الزيادة منها وألف الندبة التي إنَّما

---

(١) كتاب فعل وأفعل ، ص ٤٧٩ .

(٢) غريب المنصف ، ورقة (٢٧٥ ب) فما بعدها ، و (٣١٠ أ) فما بعدها .

(٣) المنصف ، ١٣/١ .

تُزَاد " لمدِّ الصوت وإظهار التَّفجُّع على المندوب " (١) وذَيَّل تفصيله هذا بقوله : " فهذه الأشياء ونَحْوها مِمّا زِيدَ للمعنى ، ألاَ ترى أنَّ الدَّلالة على ذلك المعنى تزول بزوال ذلك الزَّائِدِ ...... " (٢)

ونَصُّ ابن جنى لايحتاج إلى بيان ، فقد وضَّح وفَصَّل بما يكفى .
فأبو الفتح وغيره من العلماء القدماء أدركوا القيمة الدِّلاليّة للوحدة الصرفية (٣) قبل إدراك علم اللغة الحديث له بأكثر من أحد عشر قرناً .

ويطالعنا ابْنُ السكيت فى منتصف القرن الثالث بكتابه (إصلاح المنطق) ، الذى يكاد يكون مُخَصَّصاً للصيغ الصرفيّة ، مُبَيِّناً الفروق الدقيقة بين المبانى .

ومِمّا مَثَّل به قوله : " ويقال : قد أَجْرَم من الجُرْم . ويقال : قد جَرَمَ النَّخلَة يَجْرِمُها جرماً ، إذا صَرَمَها . وهذا زمن الجِرَام والجَرَام ، أَى الصَّرام ، حكاها أبوعَمْرو . والجُرَّام ، الصُّرَّام . قال :

أَسهلت وانْتَصبت كجِذْع مَنيفة
جرداء يَحْصَرُ دونَها جُرَّامها (٤)

وتَمْرٌ جَرِيمٌ ، أى : مَصْرُوم . " (٥)

---

(١) السابق نفسه ، ١٥/١ .
(٢) السابق نفسه ، ١٥/١ .
(٣) اختلف اللغويون المحدثون فى إطلاق هذا المصطلح فأطلق عليه فندريس (دال الماهية) أو النسبة وأطلق عليه د/ريمون طحان اسم : " المميز " ، انظر الألسنية العربية ، ص ١٢٩ ، وبعض اللغويين اكتفى بنقل المصطلح كما هو (المورفيم) وبعضهم ترجمه بمعنى (الوحدة الصرفية) .
(٤) لم يرد فى متن الكتاب الشطر الأول من البيت فأثبته .
(٥) إصلاح المنطق ، ص ٢٦٣ .

فَفَرَّق ابن السكيت ـ كما هو واضح ـ بَيْنَ معانى الصيغ الآنفة الذكر ، فاختلاف الصيغة يتبعه اختلاف فى المدلول .

وقد تَوَسَّع ابن قتيبة فى حديثه عن الصيغ ، وبيان مايأتى منها بمعنىً واحد وباختلاف معنى ، أو ماجاء منها بمعنيين متضادَّيْن ، أو غيرها ممّا ضَمَّنَه كتابه أدب الكاتب وغيره من مؤلفاته .

ففي كتابه السابق أَفْرَد العديد من الأبواب التي فَرَّق فيها بين الصيغ نظراً لاختلاف دلالاتها .

ومن بين هذه الأَبواب " باب اختلاف الأَبنية في الحرف الواحد لاختلاف المعانى " (١) ، فزيادة الوحدة الصرفية (المورفيم) فى أول الصيغة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها ، له أثره فى الدلالة .

ومن الأمثلة الواردة تحت هذا الباب قوله : " قالوا : " رجل مُبطَّنٌ " إذا كان خميص البطن ، و " بَطِين " إذا كان عظيم البطن ، و "مَبْطُون " إذا كان عليل البَطْن ، و " بَطِنٌ " إذا كان مَنْهُوماً نهماً ، و " مِبْطَانٌ " إذا ضخم بَطْنُه من كثرة الأكل . " (٢).

فالمادة الأصلية للمواد السابقة هى (بَ طْ ن) على زنة (فَعْل) ، والبطن خلاف الظهر ، فزيادة الوحدات الصرفية فى الصيغ الآنفة الذكر ،

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٣٢٦ ، وقد أورد هذا فى كتابه تأويل مشكل القرآن تحت عنوان : " وقد يكتنف الشّيءَ معان فيُشتق لكلّ معنى منها اسم من اسم ذلك الشئ . " ، ص ١٧ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٣٢٦ ، وينظر تأويل مشكل القرآن ، ص ١٧ ، وينظر النوادر لأبى زيد ، ص ٥٣١ .

أَدّى بالتالي إلى اختلاف مدلولها . فلولا هذه الصيغ لتداخلت معاني هذه الألفاظ التي اشْتُقَّت من مادّةٍ واحدةٍ .

وقد فَرَّق ابن قتيبة بَيْن معاني كثيرٍ من الصيغ المختلفة المباني .(١)

كذلك بَيَّن دلالاتٍ بعض الصيغ ، كدلالة صيغة (استفعل) وماتحتمله من دلالات أُخْرَى تبعاً للسِّيَاق الموضوعة فيه .

وممَّا ذكره مَجِيء هذه الصِّيغةِ بمعنى السؤال كقوله : " اسْتَوْهَبْتُه كذا " أي : سَأَلْتُه هِبَتَهُ لِي . " وتَأتى بمعنى " وَجَدْتُهُ كذلك ، تقول : اسْتَجَدْتُهُ " أي : أَصَبْتُه جيداً ، ...... وتَأْتِي استفعلت بمعنى فَعَلْت وأَفْعَلت ، تقول : " اسْتَقَرّ في مكانه " كقولك قَرَّ .... وتأتى استفعلت بمعنى التحول من حال الى حال ، كقولهم : اسْتَنْوَق الجَمَلُ "(٢) فمورفيم الألف والسِّين والتَّاء أعطى الصِّيغَة مَدْلُولاً زائداً عَمّا كانت عليه .

كما أَنّ المبرد من بين العلماء الذين عرضوا للصيغ الصرفية ، مُبَيِّناً بعض معانيها .

ومن بين ماذكره قوله : " ... وفَعِيل يقع اسماً للفاعل ، ويقع اسماً للمفعول ، فَأَمّا الفاعل فمثل رحيمٍ وعَلِيمٍ وحكيمٍ وشهيدٍ ، وأَمّا ماكان للمفعول فنحو جَريحٍ وقتيلٍ وصريعٍ . " (٣) وزاد فى موطن آخر مجىء هذه الصيغة أيضاً بمعنى مُفْعِل كأَلِيم بمعنى مُؤْلِم وجَدِيب بمعنى مُجْدِب .(٤)

---

(١) للمزيد ينظر : ص ٣٢٧ ومابعدها . من أدب الكاتب .
(٢) السابق نفسه ، ص ٤٦٨ ، وينظر الكتاب ٧٠/٤ .
(٣) الكامل ، ٩٧/١ .
(٤) السابق نفسه ، ٢٦٠/١ ، وانظر : معاني القرآن للأخفش ، ص ٤٠٢، ٤٠٣ .

فوضَّح فى النص السابق ماتخرج إليه هذه الصيغة عن المعنى المعدّ لها ، وذكر أنَّها تأتى بمعنى الفاعل والمفعول ـ أما صيغة (مفعل) فهى الصيغة الثانية لاسم الفاعل .

ومن الأمثلة ـ أيضاً ـ بيانه أنَّ صيغة (فَاعَلْت) تدل على المشاركة من اثنين فصاعداً نحو قاتلت ، وضاربت . وقد تكون للواحد نحو (عاقبت اللص) ، و (عافاه الله) (١) وممّا وضحه أيضاً بعض الصيغ التى تفيد معنى الكثرة . ومن بينها صيغة " الفِعِّيلى " فيقول : " وقولك : " كيف دِلِّيلاَكَ) ، فهى كثرةُ الدّلالة . و " الفِعِّيلَى " إنَّما تُسْتَعمل فى الكثرة ، يقال : " القِتِّيتَى " لكثرة النَّميمة ، و " الهِجِّيرَى " لكثرة الكلمة المتردِّدة على لسان الرَّجل .... " (٢)

وممّا أورده أيضاً مجىء صيغة فَعُول بمعنى فاعل ، يستوى فى ذلك المذكر والمؤنث ، كرجل قَتُول ، وامرأة قتول .(٣)

ولاسبيل إلى إحصاء كل ماورد عن هذا العالم فى هذا المجال ، فقد ضَمَّن كتابيه (الكامل ، والمقتضب) عدداً من الصيغ ، موضحاً معانى بعضها ، وتاركاً بعضها الآخر لوضوحها (٤).

وممّا سبق يتضح لنا إدراك علماء العربية للصيغ ، وما يلحقها من زيادة ، سواء أكانت بأحد حروف الزيادة ، أم بتكرير حرف من أصول الكلمة ، مُنَبِّهِينَ على ماتُحْدِثُهُ من اختلافٍ في المعنى .

---

(١) السابق نفسه ، ص ٣٢٩/١ ، ٣٣٠ .
(٢) السابق نفسه ، ٧١٤/٢ ، وينظر المنقوص والممدود ـ للفراء ، تحقيق : عبدالعزيز الميمني (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م) ص ١٦ .
(٣) المقتضب ، ١٦٥/٣ .
(٤) للمزيد ينظر : الكامل ، ٣٢٦/١ ، ٢٨٨ .

ثانياً : دلالة الصيغة باختلاف الحركة :

كما أنّ من ملاحظات لغويي هذا القرن ادراكهم الوظيفة الدلالية للحركات ، وأثرها فى إبراز المعنى ، حتى إنّ بعضهم عرض لهذا النوع بالتفصيل والبيان كما سيرد ذكره .

وقد تحدث عن هذا الجانب جُلّ اللغويين ، وأمثلة هذا النوع كثيرة ، من بينها قول الفراء عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ من خِطْبَة النساء ﴾(١) حيث قال : " الخِطْبَة مصدر بمنزلة الخِطْب ، وهو مثل قولك : إنَّه لحسن القِعْدة والجِلْسة ، يريد القعود والجلوس ، والخُطْبة مثل الرسالة التي لها أَوَّلٌ وآخِرٌ .... "(٢)

فحركة الفاء هى التى فَرقت بين معنى الصيغتين . (فِعْلَه ، وفُعْلَه) وقوله ـ فى قوله تعالى : ﴿ بشِقِّ الأَنْفُس ﴾(٣) ـ : " أكثر القراء على كسر الشين ومعناها : إلاّ بِجَهْدِ الأَنْفُسِ . وكأنّه اسم، وكأنّ الشَّقّ فِعل ، كما تُوهِّم أنَّ الكُرْه الاسم وأنَّ الكَرْه الفعل . وقد قرأ به بعضهم (إلاّ بَشَقِّ الأَنْفُس) وقد يجوز فى قوله : (بِشِقِّ الأنفس) أنْ تذهب إلى أنَّ الجَهد ينقص من قوة الرجل ونَفْسه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من قوته ، فتكون الكسرة على أنّه كالنصف .... "(٤) فَفَرَّق بين المصدر والاسم بحركة مُعَلِّلاً ذلك . فالجهد موجود فى الصيغتين لكن الفراء تلمس معنى عميقاً فى دلالة الكسر، حيث تتضاعف المشَقَّة حتّى تذهب بنصف النفس الإنسانيّة .

---

(١) الآية رقم (٢٣٥) من سورة البقرة .

(٢) معاني القرآن ، ١٥٢/١ ، وانظر معاني القرآن للأخفش ، ٧٧/١ ، و إصلاح المنطق ، ص ٢٣٧ ، وأدب الكاتب ، ص ٣٦٦ .

(٣) الآية رقم (١٦) من سورة النحل .

(٤) معاني القرآن ، الفراء ، ٩٧/٢ .

كما فَرَّقَ الأخفش بين دلالتي الصيغتين (فِعْل ، وفَعْل) وذلك عند بيانه للآية الكريمة : ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خفيفاً ﴾(١) فقال : " لأنَّ الحَمْل ماكان في الجوف ، والحِمْل ماكان على الظهر ، وقال: ﴿ وتضع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها ﴾(٢) "(٣) .

كذلك بَيَّن الأخفش فرق مابين (الغِلّ ، و الغُلّ) حيث ذكر أنَّ الغل مايكون في الصدور ، على حين أنَّ الغُلّ مايُغَلُّ به (٤) .

وقد وضَّح غالبيَّة علماء هذا القرن تباين معنى الصيغتين : (فَعْل ، و فُعْل) ، ومثلوا عليهما بكلمة (الكُرْه) ، فذكروا أنَّ الكَرْه) بمعنى الإِكراه والقهر أي : (يكرهك غيرك عليه) ، بينما (الكُرْه) بضم الفاء بمعنى المشقَّةِ .(٥) .

وقد اشتمل كتاب ابن السكيت على العديد من الأمثلة التي تندرج تحت هذا النوع ، وقد فَصَّل وبَيَّن ماكان من هذه الصيغ مختلفاً في الدلالة بسبب الحركة ، وماكان متفقاً في دلالته على الرغم من اختلاف الحركة . ومِمَّا مَثَّل به قوله : " الوَقْرُ : الثِّقَلُ في الأذن ، من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وفي آذانِنَا وَقْرٌ ﴾(٦) . ويُقَال منه: قد وُقِرَتْ أُذنُه فهي موقورة ، ..... والوِقْرُ : الثِّقَل يُحمل على رأسٍ أو ظَهْرٍ ، من

---

(١) الآية رقم (١٨٩) من سورة الأعراف .
(٢) الآية رقم (٢) من سورة الحج .
(٣) معاني القرآن ، ٣١٥/٢ ، وينظر : أدب الكاتب ، ص ٣٠٩ .
(٤) معاني القرآن ٢٩٨/٢ .
(٥) ينظر على سبيل المثال : إصلاح المنطق ، ص ٩٠ ، وأدب الكاتب ، ص ٣٠٨ ، وتفسير غريب القرآن ، ص ١٢٢ وغيرها .
(٦) الآية رقم (٥) من سورة فصلت .

قوله تبارك وتعالى : ﴿ فالحاملات وِقْراً ﴾(١) ويقال : جاء يحمل وِقْرَه ..... "(٢).

فمن النَّصِّ السابق نرى الفرق بين الصِّيغتين ، حيث وضّح ابن السكيت مدلول كل منها على حدة ، مُسْتَدِلاً على ذلك بشواهد قرآنية تثبت ماذهب إليه . وقد أَفْرَد المؤلف عدداً من الأبواب فى كتابه لمثل هذا النوع من الصيغ (٣) .

إلا أَنَّ ابن قتيبة كان أكثر وضوحاً مِمَّن سبقه من العلماء فى بيان أثر الحركة فى اختلاف المعنى،فقد أفرد جُزْءاً من كتابه للحديث عن هذه الصيغ وسمه (بكتاب تقويم اللسان)(٤) . وقد ضَمَّن هذا الكتاب جملة من الأبواب ، خَصَّ الباب الأول والثانيِ منه بالحديث عن هذه الصيغ ، إضافة إلى ماأورده فى ثنايا كتابه .

كما تحدّث عن أثر الحركة فى اختلاف المعنى فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) فيقول : " وقد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين . فيقولون : " رَجُلٌ لُعْنَةٌ " ، إذا كان يَلْعَنُهُ النَّاسُ . فإن كان هو الَّذى يلعن الناس ، قالوا : " رَجُلٌ لُعَنَةٌ " ، فحركوا العين بالفتح . و " رَجُلٌ سُبَّةٌ " إذا كان يَسُبُّه الناس ، فإذا كان هو يسبُّ الناس قالوا : " رجل سُبَبَةٌ " . وكذلك : " هُزْأَةٌ ، وهُزَأَةٌ " و " سُخْرَةٌ ، وسُخَرَةٌ .... " (٥).

---

(١) الآية رقم (٢) من سورة الذاريات .
(٢) إصلاح المنطق ،ص ٤٠٣،وانظر : أدب الكاتب ،ص ٣٢٣.
(٣) للمزيد من الأمثلة ينظر: إصلاح المنطق ،باب (فعل وفعل)باختلاف معنى ص ٣ فما بعدها ،وباب (فعل وفعل) ص ٣٧ وغيرهامما ضمنه كتابه .
(٤) أدب الكاتب ص ٣٠٧ فما بعدها .
(٥) تأويل مشكل القرآن ،ص ١٥، ١٦ ،وينظر : أدب الكاتب ،ص ٣٣٢ .

كذلك بَيَّن الفرق بين صيغتي : (مِفْعَل ، ومَفْعِل) فيقول : "........ وأكثر ما جاء - ممّا يُستعمل مكسور الميم - نحو " مِقْطَع " وَ " مِبْضَع " و " مِخْرَزٍ " و " مِحْلَبٍ " للقَدَحِ الذي يُحلَب فيه ، فإن جعلت شيئاً من هذا مكاناً فتحت الميم ، فالمَقْطَع : الموضع الذي يُقْطع فيه ، والمِقْطَع : الشيء الذي يُقْطَع به ...." (١) فهنا يتمثّل الفرق بين الصيغتين بحركة الميم الزائدة ، فإنْ كانت مفتوحة فهي تدلّ على اسم مكان ، أمّا إذا كانت مكسوره فإنّها تدلّ على اسم الآلة .

وقد أدرج تحت باب الحروف الّتي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها بعض الصيغ التي تندرج تحت هذه الدلالة . كقوله : " المَنْسِرُ " جماعةٌ من الخيل ، و " المِنْسَر " - بكسر الميم - مِنْسَر الطائر . "(٢)

وبعد هذا التطواف في مؤلفات لغويي القرن الثالث لاحظنا مدى تنبُّهِ علماء هذا القرن للبِنية ودقتهم في التفريق بين الدلالات ، سواء أكان ذلك بزيادة الوحدات الصرفية، من سوابق ولواحق وحشايا ، أم كان بالحركة .

وإنْ دَلّ هذا على شيء فإنّما يدل على تتبعهم للغتهم ، وتمكُّنِهم من وصف كلماتها وصفاً دقيقاً حِفاظاً منهم على عدم تداخل معانيها .

---

(١) أدب الكاتب ، ص ٥٥٧ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٣٢٣ ، ولمزيد من الأمثله ينظر : كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني ، ص ١٠٢ ، مادة (ط ن ء) والكامل للمبرد، ١٣٩٤/٣ ، ١٣٩٥ ، مادة (خ ل ف) ، ومجالس ثعلب ٢٠٠/١ مادة (س ر ب) وغيرها من الأمثلة .

الخاتمة

الخاتمـــــــة

وبعد هذا التطواف فى مؤلفات اللغويين القدماء والمحدثين ، الذى عرضت من خلاله للعديد من المعالم الدلالية عند لغويي القرن الثالث الهجري ، محاولا إبراز ما انطوت عليه مؤلفاتهم من هذه المعالم ، التى لا أغالي إذا قلت : إنها تكاد تكون شبه مكتملة .

وقد استنرت فى إثبات هذه المعالم بما توصلت إليه الدراسات الدلالية فى العصر الحديث .

انطوت هذه الدراسة على سبعة فصول ، يسبقها مقدمة وتمهيد . وضّحت فى المقدمة أهمية البحث الدلالي فى الدراسات العربية ، والأسباب التى دعتنى لاختيار هذا الموضوع ، مع بيان المنهج الذى سرت عليه فى هذه الدراسة .

وقد بينت فى التمهيد المفهوم العام للدلالة قديماً وحديثاً ، مع إعطاء خلاصة سريعة عن مستويات الدراسة اللغوية ، ذيلت ذلك بنبذة موجزة عن الدراسات الدلالية القديمة .

وفى الفصل الأول تناولت جهود لغويي القرن الثالث فى تحديد الدلالة ، وبيان أنواعها ، خاتماً الفصل بما وصل إليه الدرس الدلالى الحديث .

كما تحدثت فى الفصل الثاني عن تحرير معاني ألفاظ اللغة ، ومنهج اللغويين فى هذا التحرير ، موضحاً دقتهم فى بيان الفروق الدلالية بين الألفاظ .

ودرست فى الفصل الثالث ظاهرة التطور الدلالى ، ومدى أثر هذه الظاهرة على لغتنا العربية . فذكرت أن التطور واقع فى لغتنا خاصة بعد انفصال العصرين الجاهلي والإسلامى عن بعضهما ، حيث نُقِلَت مدلولات بعض الألفاظ ، وخُصّص معنى بعضها الآخر بعد أن كان عاماً ، وعممت مدلولات بعض الألفاظ بعد أن كانت خاصة . مؤيدا كل ما أورده بالأمثلة التطبيقية من واقع مؤلفات لغويي القرن الثالث .

وفى الفصل الرابع عرضت للعلاقة بين الألفاظ والمعاني فذكرت مادار حولها من جدل ونقاش من الهنود وفلاسفة اليونان وحتى العصر الحديث . فتتبعت مسيرة هذه الظاهرة ، مبيناً آراء لغويى هذا القرن فيها ، وذلك من خلال المستويات التطبيقية المنثوره فى ثنايا مؤلفاتهم .

وفى الفصل الخامس تحدثت عن نظرية الحقول الدلالية ، بادئاً بالتعريف بها ، مع عرض سريع لأهم النظريات التحليلية فى الدرس اللغوي الحديث ، ثم بسطت القول فى نظرية الحقول ، متتبعا فى ذلك أشهر الدراسات الغربية فى هذا المجال ، ومطبقا ذلك على ماورد فى مؤلفات اللغويين القدماء ، مبينا أسبقية العرب المطلقة فى التطرق لهذه النظرية ــ فكرة وتطبيقا ــ .

وعقدت الفصل السادس لثلاث ظواهر دلالية ، هى الترادف ، والمشترك، والتضاد . موضحا أسباب وجود هذه الظواهر فى اللغة ، مع بيان آراء اللغويين القدماء والمحدثين فيها ، موضحا أسبقية لغويي القرن الثالث فى التنبه لهذه الظواهر وإفرادها بمؤلفات مستقلة .

أما الفصل السابع ــ والأخير ــ فقد أفردته للحديث عن الدلالة

الصرفية ، مُصدِّرا الفصل بكلمة مقتضبة عن الحركة التأليفية فى هذا العلم ، وجهود علماء القرنين الأول والثانى ، ثم وضحت معالم الدلالة الصرفية عند لغويى القرن الثالث النظرية والتطبيقية ، مؤيداً كل ما أُورده بالنصوص والشواهد الواردة فى مصنفاتهم .

وفى أثناء دراستى لهذه الظواهر الدلالية اتضح لي العديد من النتائج أوجز أهمها فيما يلى :

(١) سبق الإمام الشافعي غيره فى بيان أنواع الدلالة .

(٢) أن جهود الشافعي والجاحظ الدلالية تعد من الجهود الأول المتميزة فى الدرس الدلالى . يتجلى هذا فى وضع نظرية دلالية مبينا من خلالها التقسيم العام للدلالة مع تحديد مفهومها .

(٣) تنبه اللغويين القدماء إلى الفروق الدلالية بين الألفاظ ودقتهم فى إيضاحها .

(٤) أن ماعده لغويو هذا القرن من باب اللحن أو الخطأ ، إنما هو من قبيل التطور الذى طرأ على مدلولات بعض الألفاظ حتى عصرهم .

(٥) تصريح بعض علماء هذا القرن بالألفاظ المستحدثة بعد مجيء الإسلام مع بيان الألفاظ الجاهلية المهملة .

(٦) تنبههم لكثير من المستويات التي أثبتوا من خلالها علاقة بعض الألفاظ بمدلولاتها علاقة طبيعية . كالدوران ، والتصاقب ، والاشتقاق ، وتعليل التسميات .

(٧) سبق لغويي القرن الثالث الدراسات اللغوية الحديثة فى التطرق

لنظرية الحقول الدلالية وفكرتها وتطبيقها ، وإن لم يطلقوا عليها هذا المصطلح ، إلا أنّ ماخلفوه لنا من آسفار اشتملت على حقل دلالى أو آكثر شاهد على سبقهم .

(٨) دقة العلماء القدماء وتنبههم لقضايا تعدد اللفظ للمعنى الواحد وتعدد المعاني للفظ الواحد مع بيان ذلك فى مؤلفات مستقلة .

(٩) تميز القدماء ودقتهم فى إثبات مايطرأ على بنية الكلمة وآثر ذلك فى تحديد دلالتها .

(١٠) مارس القدماء غالبية المباحث الدلالية ممارسة تطبيقية موسعة حتى غلب هذا الجانب على الجانب النظرى . لذا كانت الدراسات الدلالية النظرية شبه مفقوده .

(١١) سبق القدماء فى معرفتهم الحقيقية لوظيفة السياق وأثره فى تحديد مدلول الكلمة .

(١٢) سبق لغويي القرن الثالث فى قولهم باشتقاق المعنوي من الحسي وذلك كاشتقاقهم كلمة النفاق من نافقاء اليربوع .

المصادر والمراجع

المخطوطات

- تأريخ دمشق ، لابن عساكر - أبى الحسن على بن الحسن - (٥٧١هـ) مصورة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، برقم ١٠٤ (تاريخ) ، عن : نسخة المكتبة بدمشق برقم ٣٣٧٨ / ١٤ (تاريخ) .

- الغريب المصنف ، للهروي - أبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) مصورة مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، برقم ٣٦٩ (لغه) عن نسخة المكتبة الوطنية بتونس برقم ١٥٧٢٨ .

الرسائل الجامعية التى لم تنشر

- المشترك اللفظي بين مفهوم اللغويين وواقع الاستعمال العربى ، لمحمد الشبيتى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية ، ١٤٠٨ هـ .

- المشترك اللفظي فى اللغة العربية ، عبدالكريم شديد محمد ، بغداد ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب ، ١٩٧٦ م .

المطبوعـــــــــــات

(أ)

- الإبل ، للأصمعي ـ عبدالملك بن قريب (٢١٦ هـ) ، نشره : أوغست هفنر ، ضمن المجموعة اللغوية (الكنز اللغوى في اللسان العربي) بيروت ، المطبعة الكاثوليكيه للآباء اليوسوعيين، ١٩٠٣ م .

- الإتقان فى علوم القرآن ، للسيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن ـ (٩١١ هـ) مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

- الأجناس من كلام العرب وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى ، لأبى عبيد القاسم بن سلّام (٢٢٤ هـ) ، تصحيح : امتيار على عرشى ، بيروت ، لبنان ، دار الرائد العربى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .

- أدب الكاتب ، لابن قتيبة ـ أبى محمد عبدالله بن مسلم ـ (٢٧٦ هـ) حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه : محمد الدالى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

- الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لقطرب ـ محمد بن المستنير ـ (٢٠٦هـ) تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ .

- أسماء خيل العرب وفرسانها ، لابن الأعرابي ـ أبي عبدالله محمد زياد ـ (٢٣١ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، مصر ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

- إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، ـ أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ـ (٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر ـ وعبدالسلام محمد هارون ، مصر، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠ م .

- الأصوات والاشارات ، أ ـ كندراتوف ، ترجمة : شوقي جلال ، سلسلة تصدر عن : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بإشراف : الدكتور أسامة أمين الخولي .

- أصول تراثية في علم اللغة ، للدكتور كريم زكي حسام الدين ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

- الأضداد ، للأصمعي ، نشره : أوغست هفنر ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد .

- الأضداد ، لابن الأنباري ـ أبي بكر محمد بن القاسم ـ (٣٢٨هـ)، تحقيق : محمد أبوالفضل ابراهيم ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

- الأضداد ، للتوّزي = الدوريات والمجلات العلمية .

- الأضداد ، للسجستاني ، أبي حاتم سهل بن محمد (٢٤٨ هـ) ، نشره: أوغست هفنر ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد .

- الاضداد ، لابن السكيت ،نشره : أوغست هفنر ،ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، بيروت ، لبنان ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢ م .

- الأضداد لقطرب ، عنى بتحقيقه والتقديم له : الدكتور حنّا حداد، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م .

- الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيب اللغوي - عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي - (٣٥١ هـ) تحقيق : عزة حسن ، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

- الاضداد في اللغة ، لمحمد حسين آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، للبطليوسي ابي محمد عبدالله بن محمد ابن السيد (٥٢١ هـ) تحقيق : الأستاذ مصطفى السقا - والدكتور حامد عبدالمجيد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١ م .

- الألسنية العربية ، للدكتور ريمون طحان ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

(ب)

- البئر ، لابن الأعرابي - أبي عبدالله محمد بن زياد - ، (٢٣١ هـ) حققه وقدم له ووضع فهارسه : الدكتور رمضان عبدالتواب ، بيروت ،

دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م .

- البحث اللغوى عند الهنود ، للدكتور أحمد مختار عمر ، لبنان، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٢ م .

- البلغة فى شذور اللغة ، نشرها : أوغست هفنر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين .

- البيان والتبيين ، للجاحظ - أبى عثمان عمرو بن بحر - (٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

(ت)

- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر، القاهرة ، دار التراث ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدى - محمد بن مرتضى - (١٠٢٥ هـ) ، لبنان ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) .

- تاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان ، نقله إلى العربية : الدكتور عبدالحليم النجار وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

- تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، طه أحمد إبراهيم ، جمع :

أحمد الشايب ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

- الترادف في اللغة ، حاكم مالك الزيادي ، الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠م .

- تصريف الأسماء ، محمد الطنطاوي ، المملكة العربية السعودية ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨ هـ .

- التصور اللغوي عند الأصوليين للدكتور السيد أحمد عبد الغفار ، المملكة العربية السعودية ، جده ، شركة ومكتبات عكاظ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، عوده خليل أبو عودة ، الأردن ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

- التطور اللغوي التأريخي ، للدكتور إبراهيم السامرائي ، بيروت ، لبنان ، دار الأندلس ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣ م .

- التطور اللغوي ، للدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ .

- التعريفات ، للجرجاني – الشريف علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ) ،ضبطه

وصححه : جماعة من العلماء باشراف الناشر ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- تفسير الطبرى = جامع البيان .

- تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

- التقفية فى اللغة ، البندنيجى - أبوبشر اليمان بن أبى اليمان - (٢٨٤ هـ) ، حققه : الدكتور خليل إبراهيم العطيه ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٦م .

(ج)

- جامع البيان ، للطبري - محمد بن جرير - (٣١٠ هـ) ، القاهرة ، مصطفى البابى الحلبي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ .

- الجيم ، لأبى عمرو الشيبانى (٢١٢ هـ) ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .

حقق الجزء الأول : إبراهيم الأبيارى - وراجعه : محمد خلف الله أحمد ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

وحقق الجزء الثانى : عبدالعليم الطحاوى - وراجعه : محمد مهدى علام ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

وحقق الجزء الثالث : عبدالكريم العزباوى - وراجعه : عبدالحميد حسن ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

(ح)

- حساب العقود ، الدلالة على الأعداد بأصابع اليدين ، شرح منظومة الشيخ على بن المغربي (٦٨٤ هـ) بشرح : على بن شعبان الصوفى ، تحقيق ونشر : بسام عبدالوهاب الجابى ، دمشق ، دار البصائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م - ١٤٠١ هـ .

- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧ م .

(خ)

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، للبغدادي - عبدالقادر بن عمر - (١٠٩٣ هـ) تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .

- الخصائص ، لابن جنى - أبى الفتح عثمان - (٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد على النجار ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، سيد قطب ، القاهرة ، عيسى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ م .

- خلق الإنسان ، للأصمعى ، نشره : أوغست هفنر ، ضمن مجموعة (الكنز اللغوى فى اللسن العربى) بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٩٠٣ م .

- خلق الإنسان ، لثابت بن أبى ثابت (من علماء اللغة فى القرن الثالث الهجري) ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، الكويت ، سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء ، ١٩٦٥ م .

- الخيل ، للأصمعى = الدوريات والمجلات العلمية .

- الخيل ، لأبى عبيدة - معمر بن المثنى التيمى - (٢٠٩هـ) رواية أبى حاتم السجستانى ، تحقيق : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد ، القاهرة ، مطبعة النهضة العربية ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(د)

- دراسات فى علم اللغة ، للدكتور كمال محمد بشر ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م .

- دراسات فى فقه اللغة ، للدكتور صبحى الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٣ م .

- دراسات لغوية ، فؤاد ترزى ، سوريا ، ١٩٦٥ م .

- الدرس الدلالى فى خصائص ابن جنى ، للدكتور أحمد سليمان ياقوت ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .

- دلائل الإعجاز ، للجرجانيّ - عبدالقاهر (٤٧١ هـ) ، قرأه وعلّق

عليه : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدني ، الناشر : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤ م .

- دلالة الألفاظ ، للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ م .

- دلالة الألفاظ عند الأصوليين – دراسة بيانية ناقدة – للدكتور محمود توفيق محمد سعد ، مصر ، مطبعة الأمانة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

- الدلالة اللغوية عند العرب ، للدكتور عبد الكريم مجاهد ، الأردن ، عمان ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، رقم الإيداع ، ١٩٨٥ م .

- دور الكلمة فى اللغة ، لاستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : الدكتور كمال محمد بشر ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ م .

- ديوان الحطيئة ، بشرح ابن السكيت – والسكرى – والسجستانى، تحقيق : نعمان أمين طه ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، الطبعة الأولى ،١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

- ديوان ذى الرمة ، شرح : الباهلي – أبونصر أحمد بن حاتم – (٢٣١ هـ) رواية أبى العباس ثعلب (٢٩١ هـ)،حققه

وقدم له وعلق عليه : الدكتور عبدالقدوس أبوصالح، دمشق ، مطبعة طربين ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

(ر)

– الرحل والمنزل ، منسوب لابن قتيبة ، نشره : أوغست هفنر ، ضمن مجموعة (البلغة فى شذور اللغة) .

– الرسالة ، للشافعيّ – محمد بن إدريس – (٢٠٤ هـ) ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

(ز)

– الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية ، الرازى – أبوحاتم أحمد بن حمدان – (ت ٣٢٢ هـ) ، تعليق : حسين بن فيض الله الهمدانى ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى ، الطبعة الثانية ،١٩٥٧ م.

(س)

– سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للأمير الصنعانى – محمد بن إسماعيل – (١١٨٢ هـ) ، بيروت ،دار الفكر ،(بدون تأريخ) .

– السلاح ، لأبى عبيد القاسم بن سلام = الدوريات والمجلات العلمية .

– سير أعلام النبلاء ، للذهبى – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان – (٧٤٨ هـ) ،أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، الجزء العاشر ،بتحقيق : محمد نعيم العرقسوسى ،بيروت ،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .

(ش)

– شرح أدب الكاتب ، للجواليقى – أبى منصور موهوب بن أحمد – (٥٤٠ هـ) قدم له : مصطفى صادق الرافعى ،بيروت ،دار الكتاب العربى .

- شرح أشعار الهذليين ، للسُّكَّرِيّ – أبى سعيد الحسن بن الحسين – (٢٧٥ هـ) ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج – وراجعه : محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م .

- شرح ديوان النابغة الذبيانى ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق : الدكتور شكرى فيصل ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

- شرح شافية ابن الحاجب ، للاستراباذيّ – رضى الدين بن محمد بن الحسن (٦٨٦ هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن – ومحمد الزفزاف ،ومحمد محى الدين عبدالحميد ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

- شرح شعر زهير بن أبى سلمى ، صنعة : أبى العباس ثعلب ، تحقيق : الدكتور فخرالدين قباوة ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .

- شرح الملوكى فى التصريف ، صنعة ابن يعيش – موفق الدين أبى البقاء – (٦٤٣ هـ) ، تحقيق : الدكتور فخرالدين قباوة ، حلب ، المكتبة العربية ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م .

- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م .

(ص)

- الصاحبى ، لابن فارس – أبى الحسين أحمد (٣٩٥ هـ) ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، (بدون تاريخ).

- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٦١ هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .

(ع)

- علم الإشارة – السيميولوجيا – ، بيرجيرو ، ترجمة عن الفرنسية : الدكتور منذر عياشي ، وقدم له : الدكتور مازن الوعر ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .

- علم الدلالة ، بيرجيرو ، ترجمة : منذر عياشي ، سوريا ، منشورات دار طلاس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

- علم الدلالة – الفصلان التاسع والعاشر من كتاب (مقدمة فى علم اللغة النظرى ، ١٩٦٨م) تأليف : جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبدالحليم الماشطة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٠م .

- علم الدلالة اطار جديد ، ف . ر – بالمر ، ترجمة : د. صبرى إبراهيم السيد ، قطر ، الدوحة ، منشورات دار قطري بن الفجاءة ، ١٤٠٧ هـ .

- علم الدلالة العربى – النظرية والتطبيق – دراسة تأريخية ، تأصيلية ، نقدية ، للدكتور فايز الداية ، سوريا ، دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .

- علم الدلالة فى الكتب العربية – دراسة لغوية فى كتب التراث – الدكتور أحمد عبدالرحمن حماد ، الإمارات العربية ، دبى ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م .

- علم اللغة ، للدكتور على عبدالواحد وافى ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، الطبعة السابعة .

- علم اللغة العام ، للدكتور توفيق محمد شاهين ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

- علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ـ ، للدكتور محمود السعران ، بيروت ، دار النهضة العربية .

- عوامل التطور اللغوي ـ دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية ـ ، للدكتور أحمد عبدالرحمن حماد ، بيروت ، لبنان ، دار الاندلس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .

- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٥ هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدى المخزومى ـ والدكتور إبراهيم السامرائى ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

(غ)

- الغرابة فى الحديث النبوى ـ دراسة لغوية تحليلية فى ضوء ما أورده أبوعبيد فى غريب الحديث ـ ، للدكتور عبدالفتاح البركاوى ، القاهرة ، مطبعة حسان ، الطبعة الأولى ،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

- غريب الحديث : لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) ، مراقبة الطبع : الدكتور محمد عبدالمعيد خان ، باعتناء وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

- غريب الحديث ، لابن قتيبة ، تحقيق : الدكتور عبدالله الجبورى، الجمهورية العراقية ، بغداد ، مطبعة العانى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) .

(ف)

- الفرق ، لثابت بن أبى ثابت ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

- الفرق ، للسجستاني ،أبي حاتم سهل بن محمد (٢٤٨ هـ تقريباً) ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، بيروت ،عالم الكتب ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .

- الفرق ، لقطرب ، تحقيق : الدكتور خليل إبراهيم العطية ، ومراجعة : الدكتور رمضان عبدالتواب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

- فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبدالتواب ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .

- الفصيح ، لأبى العباس ثعلب (٢٩١ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور عاطف مدكور ، القاهرة ، دار المعارف .

- فعل وأفعل ، للأصمعى = الدوريات والمجلات العلمية .

- فقه اللغة ، للدكتور / على عبدالواحد وافى ، القاهرة ، دار النهضة مصر ، الطبعة السادسة ، (بدون تاريخ) .

- فقه اللغة ، للدكتور محمد خضر ، بيروت ، لبنان ، دار الكتاب العربى ، ١٤٠١ هـ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

- فقه اللغة فى الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحى ، بيروت ، لبنان ، دار النهضة العربية ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

- فقه اللغة وخصائص العربية - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد - ، لمحمد مبارك ، دار الفكر ، الطبعة السابعة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

- فقه اللغة وسر العربية ، لأبى منصور الثعالبى (٤٣٠ هـ) ، حققه ورتبه ووضع فهارسه : مصطفى السقا - وإبراهيم الأبيارى - وعبدالحفيظ شلبى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .

- فى اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥م .

(ك)

- الكامل ، للمبرد - أبى العباس محمد بن يزيد (٢٩١ هـ) ،حققه

وعلق عليه وصنع فهارسه : محمد أحمد الدالى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

- الكتاب ، لسيبويه ـ أبى بشرعمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠ هـ) تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

- كشاف اصطلاحات ، للتهانوى ـ محمد على الفاروقى (المتوفى فى القرن الثانى عشر الهجرى) ، تحقيق : الدكتور لطفى عبدالبديع ، وترجم النصوص الفارسية : الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين ومراجعة : الأستاذ أمين الخولى ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م .

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، للحاج خليفه ـ مصطفى بن عبدالله (١٠٦٧ هـ) ، عنى بتصحيحه وطبعه عن نسخة المؤلف وتعليق حواشيه : محمد شرف الدين بالتقايا ـ ورفعت بيككن الكليسى ، بغداد، منشورات مكتبة المثنى ، ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م .

- الكليات ، للكنوى ـ أبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى (١٠٩٤ هـ)، تحقيق : الدكتور عدنان درويش ـ ومحمد المصرى ،دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

- كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت ، هذبه : التبريزى أبوزكريا يحى بن على الخطيب (٥٠٢ هـ) ، وقف على طبعة وضبطه وجمع رواياته : الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٨٩٥م .

(ل)

- لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، للدكتور عبدالعزيز مطر ، القاهرة ،دار المعارف ،الطبعة الثانية ،١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

- لحن العامة والتطور اللغوى ، للدكتور رمضان عبدالتواب ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م .

- لسان العرب ، لابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري - (٧١١ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء - الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

- اللسانيات واللغة العربية ، للدكتور عبدالقادر الفاسى الفهري ، بيروت ، منشورات عويدات ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

- اللغة ، ج . فندريس ، تعريب : عبدالحميد الدواخلى - ومحمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٠م .

- اللغة بين العقل والمغامرة ، للدكتور مصطفى مندور ، الاسكندرية ، منشأة المعارف (بدون تاريخ) .

- اللغة العربية - معناها ومبناها - ، للدكتور تمام حسان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .

(م)

- ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لأبى العميثل الأعرابى (٢٤٠ هـ) ، نشره : كرنكو ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٥م .

- ما اتفق لفظه واختلف معناه ، لليزيدى - إبراهيم بن أبى محمد يحيى - (٢٢٥ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبدالرحمن العثيمين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، للمبرد ، باعتناء : عبدالعزيز الميمنى الراجكوتى الأثرى ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٥٠ هـ .

- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ،للأصمعي (ت ٢١٦هـ) ،تحقيق:ماجد حسن الذهبي دمشق ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .

- مبحث في قضية الرمزية الصوتية ، للدكتور البدراوي زهران ،القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م - ١٩٨٧م .

- مجاز القرآن ، لأبي عبيد معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) ،عارضه بأصوله وعلق عليه : الدكتور محمد فؤاد سزكين ، القاهرة ،مكتبة الخانجي .

- مجالس ثعلب ،لأبي العباس أحمد بن يحى(٢٩١هـ) ،شرح وتحقيق :عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ م .

- محاضرات في علم اللسان العام ، لفر نددي سوسير ، ترجمة : عبد القادر قنيني - ومراجعة أحمد حبيبي ، الدار البيضاء ، مطابع افريقيا الشرق ، ١٩٨٧م .

- المخصص ، ابن سيده-أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى - (٤٥٨ هـ) ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

- مدخل إلى علم اللغة ، للدكتور محمود فهمي حجازى ، القاهرة ،دار الثقافة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م .

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى بك - ومحمد أبو الفضل إبراهيم - وعلى محمد البجاوي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الثالثة ، (بدون تاريخ) .

- المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة ، لابن قتيبة ، القاهرة ،مطبعة السعادة ، ١٣٤٩ هـ .

- المشترك اللغوى نظرية وتطبيقا ، للدكتور توفيق شاهين ، القاهرة ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ .

- معانى الشعر ، للأشنانداني - أبى عثمان سعيد بن هارون -(٢٨٨ هـ)، رواية أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (٣٢١ هـ) ،حقق الملحق والذيل وأعاد النظر فى تحقيق الأصل : عز الدين التنوخى ، دمشق ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

- معانى القرآن ، للأخفش - أبى الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى البصرى (٢١٥ هـ) ، تحقيق : الدكتور فائز فارس ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

- معانى القرآن ، للفراء - أبى زكريا يحى بن زياد - (٢٠٧ هـ) .
  الجزء الأول بتحقيق : أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار،القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ،الطبعة الأولى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م .
  الجزء الثانى بتحقيق : الأستاذ محمد على النجار ،الدار المصرية للتأليف والترجمة .
  الجزء الثالث بتحقيق : الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى ،ومراجعة : الأستاذ على النجدى ناصف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

- معانى القرآن وإعرابه ، لأبى اسحاق إبراهيم بن السرى - (٣١١ هـ) ، شرح وتحقيق : الدكتور عبدالجليل عبده شلبى ،بيروت ،عالمالكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

- المعاني الكبير فى أبيات المعانى ، لابن قتيبة ، حيدر أباد ،الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) ، القاهرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة .

- المعجم العربي ـ نشأته وتطوره ـ ، للدكتور حسين نصار ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م .

- معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ـ أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ـ (٥٠٣ هـ) ، تحقيق : نديم مرعشلي ، بيروت، دار الكتاب العربي ،١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد عبد الباقي ، تركيا ، استانبول ، ١٩٨٢م .

- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، مصر ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : الدكتور إبراهيم أنيس ـ والدكتور عبد الحليم منتصر ـ وعطيه الصوالحي ـ ومحمد خلف الله أحمد ، دار الفكر

- المعنى اللغوي ، للدكتور محمد حسن حسن جبل ، طبعة خاصة ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

- المغني في تصريف الأفعال ، لمحمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة احياء التراث الإسلامي ، مطابع الأهرام ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

- من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٨م .

- مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمّام حسان ، المغرب ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م .

- المنجد ،لكراع النمل ـ أبى الحسن على بن الحسن الهنائى ـ (٣١٠هـ) تحقيق : الدكتور أحمد مختار عمر ـ وضاحى عبد الباقى ، القاهرة ، مطبعة الأمانة ،١٣٩٦ هـ .

- المنصف ، لابن جنى ـ وهو شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى ـ ، تحقيق : إبراهيم مصطفى ـ وعبد الله أمين ،مصر ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، الطبعة الأولى ،١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

- منطق أرسطو ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م .

- من قضايا اللغة والنحو ، للدكتور أحمد مختار عمر ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

- المنقوص والممدود ، للفراء ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ،القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م .

- منهج البحث فى الأدب واللغة ،لانسون وماييه ،ترجمة : الدكتور محمد مندور ،بيروت ،دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ،١٩٨٢م .

- منهج البحث اللغوى بين التراث وعلم اللغة الحديث ،للدكتور على زوين، بغداد ،وزارة الثقافة والإعلام ،دار الشئون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ م) .

- الموجز فى النحو ،لابن السراج ـ أبى بكر بن محمد ـ (٣١٦هـ) ،حققه وقدم له : الدكتور مصطفى الشويمى ـ وبن سالم دامرجى ،بيروت ، لبنان ،مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر ،١٩٦٥م .

- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ،للمرزبانى ـ أبى عبد الله محمد بن عمران ـ (٣٨٤ هـ) ، وقف على طبعه واستخرج فهارسه : محب الدين الخطيب ، القاهرة ،المطبعة السلفية ومكتبتها ،الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ هـ .

(ن)

- النبات والشجر ،للأصمعى ،نشره : أوغست هفنر ،ضمن مجموعة (البلغة فى شذور اللغة) .

- نحو وعى لغوى ، للدكتور مازن المبارك ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م .

- النخل ، للسجستانى ، حققه وعلق عليه وقدم له : الدكتور إبراهيم السامرائى ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار اللواء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .

- النخل والكرم ، للأصمعى ، نشره : أوغست هفنر ، ضمن المجموعة اللغوية (البلغة فى شذور اللغة) .

- نصوص فى فقه العربية ، السيد يعقوب بكر ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١م .
- نظرات فى فقه العربية ، للدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم ، مصر ، طبعة خاصة ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

- نظرات فى اللغة ، للدكتور مصطفى رضوان ، المغرب ، منشورات جامعة قار يونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م

- النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب ، للدكتور محمد الصغير بنانى ، لبنان ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

- النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمى هلال ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٩م .

- النوادر ، لأبى مسحل الأعرابى – عبد الوهاب بن حريش (٢٣٠ هـ) ، عنى بتحقيقه : الدكتور عزة حسن ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م .

- النوادر فى اللغة ، لأبى زيد الأنصارى (٢١٦ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد ، بيروت ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م – ١٤٠١ هـ .

(و)

- الوجيز فى فقه اللغة ، لمحمد الأَنطاكى ، بيروت ، دار الشـــــروق، الطبعة الثانية .

- وظيفة البنية فى تحديد الدلالة ، للدكتور إبراهيم بركات ،المنصورة ، عامر للطباعة والنشر ، ١٤٠٨ هـ .

الدوريات والمجلات العلمية

- الأضداد ، لأبي محمد التَّوَّزي (٢٣٣ هـ) تحقيق : محمد حسين آل ياسين، نشر في بغداد ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، المجلد الثامن، ١٩٧٩ م .

- الخيل ، للأصمعي ، تحقيق : هلال ناجي ، نشر في بغداد ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد (١٢) ، ١٩٨٣ م .

- السلاح ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد (١٢) ، ١٩٨٣ م .

- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ، للدكتور أحمد نصيف الجنابي ، مقال نشر في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٣٥) الجزء الثالث ، ١٤٠٤ هـ .

- فعل وأفعل ، للأصمعي ، تحقيق : الأستاذ عبدالكريم إبراهيم العزباوي، نشر في المملكة العربية السعودية ،مكة المكرمة ،جامعة أم القرى ، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ، العدد الرابع ،١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- في تعليل الأسماء ، للدكتور محمد حسن حسن جبل ، مقال نشر في المملكة العربية السعودية ، جريدة المدينة المنوره ، ملحق التراث ، عدد (٧٦٥٦) الخميس، ٢٧ شعبان ، ١٤٠٨ هـ .

محتويات البحث

الفهرس التفصيلى لمحتويات البحث

الموضــوع	الصفحة

الفصل الثانــى

تحديد معانى ألفاظ اللغــة

الموضــــوع	الصفحـة

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس

الفصل السابع

الموضـــــوع	الصفحـــة